

مجلة الدراسات الافريقية



١٩٩٤

العدد الخامس عشر

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية



١٩٩٣

العدد الخامس عشر

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

رئيس التحرير : الأستاذ الدكتور سليمان عبد الستار خاطر
سكرتير التحرير : السيد الدكتور توفيق الحسينى عبده

ترسل المقالات والابحاث على العنوان التالى :

الأستاذ الدكتور سليمان عبد الستار خاطر

معهد البحوث والدراسات الامريكية

جامعة القاهرة

ص.ب ١٢٦١٣ اورمان / جيزة

(ج.م.ع)

كلمة هيئة التحرير

يسر معهد البحوث والدراسات الافريقية أن يواصل اصدار مجلة الدراسات الافريقية في عددها الحالى ١٥ لسنة ١٩٩٣ م بدلا من سنة ١٩٨٦ م ، علما بأن السنوات من ١٩٨٦ م حتى العدد الحالى قد سقطت من المجلة حتى يواكب الاصدار سنة النشر وذلك للأسباب خارجة عن ارادة هيئة تحرير المجلة وبناء على رغبة الكثير من السادة الزملاء أصحاب البحوث والمقالات المطلوب اصدارها •

وسوف يصدر ان شاء الله فى القريب العاجل « عدد خاص » من المجلة فى عام ١٩٩٤ م يتضمن البحوث التى نوقشت فى المؤتمر العالمى للدراسات الافريقية الذى عقد بمدينة الخرطوم فى الفترة من ١١ الى ١٤ ديسمبر ١٩٩١ م وهى البحوث التى ساهمت بها جامعة القاهرة فى هذا المؤتمر وبهذه المناسبة نود أن نعبر عن خالص الشكر للسادة الأساتذة أعضاء هيئة التدريس بالمعهد الذين يتفهمون ظروف الطباعة والمراجعة ، ولما يبذلونه من عون صادق ومساهمة فعالة فى اصدار المجلة بالبحوث والمقالات المتخصصة فى جميع فروع المعرفة فى المجال الافريقى •

ونود أن نحيط جميع السادة الباحثين والدارسين علما بأن مكتبة المعهد قد زودت بكل الأعداد التى صدرت من مجلة الدراسات الافريقية حتى الآن لتكون مرجعا لكل من يود الاطلاع والدراسة والبحث •
والله نسأل أن يوفقنا الى ما فيه الخير للوطن والعلم وخدمة الباحثين •

رئيس التحرير

(د. سليمان عبد الستار خاطر)

المحتويات

صفحة

- ١ — الأبعاد الثقافية للعلاقات العربية الافريقية
دكتور/سليمان عبد الستار خاطر
٢٦ — ١
- ٢ — مكانة الجمل في الفولكلور الصومالي
دكتور/توفيق الحسيني عبده
٩٢ — ٢٧
- ٣ — دراسة بيبلوجرافية مشروحة لمقالات الأعداد
الخمسة الأولى
دكتور/فاروق عبد الجواد شويقة
٩٣ — ١٧٠
- ٤ — اثر الأزمة الاثيوبية على السودان
١٩٣٥ — ١٩٣٦
دكتور/تمام همام تمام .
١٧١ — ٢٠٨
- ٥ — أبعاد المشكلة الاقتصادية في دول افريقيا
جنوب الصحراء
دكتور/جاء الله عبد الفضيل
٢٠٩ — ٢٦٤

« الأبعاد الثقافية للعلاقات العربية الافريقية »

— الوضع الحالى والرؤية المستقبلية —

أ.د. سليمان عبد الستار خاطر

(عميد معهد البحوث والدراسات الافريقية)

(جامعة القاهرة)

تعرض هذه الورقة مسحا عاما للأبعاد الثقافية للعلاقات العربية الافريقية ، مع نماذج للوضع الحالى ونظرة للرؤية المستقبلية فى هذا الشأن فى ضوء دور الجامعات الافريقية والعربية فى التنمية الثقافية فى افريقيا والعالم العربى ، وكذلك دور الهيئات الدولية والاقليمية المساهمة فى هذا المجال . ويمثل هذا جزءا من التعاون العربى الافريقى الذى أخذ شكل المؤسسات ذات الأهداف الميعة خلال العقدين الماضيين ، والذى نتج عن الجوار الجغرافى والتداخل السكانى والتبادل التجارى ، والتفاعل الثقافى ، من خلال مثالين هما : — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو ALECSO) . — التابعة لجامعة الدول العربية والجامعات العربية بعامة مع التركيز على معهد البحوث والدراسات الافريقية التابع لجامعة القاهرة ومعهد الدراسات الافريقية الآسيوية التابع لجامعة الخرطوم . ومن ثم انقسمت الورقة الى ثلاثة أقسام : —

(١) القسم الاول :

ويشتمل على عرض للوضع الحالى لدور المنظمة والجامعات العربية فى تدعيم العلاقات العربية الافريقية فى المجال الثقافى .

١

(م ١ — مجلة الدراسات الافريقية)

(ب) القسم الثانى :

ويعرض لبعض وسائل التدعيم التى يجب تنميتها والاهتمام بها
من الجانبين العربى والافريقى فى هذا المجال •

(ج) القسم الثالث :

نظرة للرؤية المستقبلية التى يجب أن تكون فى هذا الشأن
مع مجموعة من الاقتراحات والتوصيات التى تؤدى الى الهدف
المنشود •

وقبل البدء فى دراسة هذه الأقسام الثلاثة ، هناك سؤال يطرح
نفسه ، ألا وهو ماذا تعنى مصطلحات : « المثقف » — « الثقافة » —
العلاقات الثقافية وأبعادها ؟ وما هو المقصود منها •

— أما « المثقف » : فالمقصود به فى هذه الدراسة هو الفرد الذى
نال قسطا من التعليم الجامعى أو ما فى مستواه •

— أما « الثقافة » : فلا نقصد بها هنا الثقافة العامة فقط وإنما
الثقافة على مستوى الجامعيين والباحثين ، وما حصله الفرد خلال
تعليمه الجامعى وما بعده •

ان موضوع الثقافة من الموضوعات الحيوية الهامة لأنها عماد الحياة
الانسانية وقد شغلت العلماء قرونا طويلة ، وهى من أكثر الكلمات
صعوبة فى تعريفها ، ولم يتفق حتى الآن على قواعد محددة لها ، الا أن
هناك شواهد كثيرة تكمن فى مفهوم الثقافة وتظهر فى أمور كثيرة •

لقد قسم العلماء الثقافة الى قسمين : ثقافة مادية وأخرى
معنوية (١) وتتكون المادية ببساطة فى الأدوات والتجهيزات وأعمال
الفن ، أى كل الأشياء الطبيعية وكذلك الأشياء المادية التى يصنعها
الانسان كالملابس والمساكن والأثاث والأدوات •• وغيرها من مظاهر
الحياة • وهنا يكون الاهتمام الأول مركزا على المظاهر المادية للثقافة

وعلى التكنولوجيا المتاحة والبيئة الطبيعية ، وهذا النمط من المعلومات ضروري لفهم كيف ولماذا يسلك الناس. هذا السلوك ؟؟ ومن ثم ، تتعدد الثقافات بتعدد المجتمعات البشرية . أما الثقافة المعنوية ، فهي كل خواص المعرفة التي يلم بها الانسان ولا تدرك بالحواس مثل المهارات التكنولوجية بالمعايير والمعتقدات ووجهات النظر واللغة . وتعد الاخيرة من أهم وسائل التأثير والتبادل والمعرفة ، ومن أهم عناصرها المعنوية .

والثقافة هي كل ما ليس بيولوجيا ولكنه منقول اجتماعيا في المجتمع . وتضمن الثقافة الى جانب أساليب السلوك وسائل التفكير ، كما توضح الأساليب لفهم العالم . فاللغة تمكن الناس من تحقيق ما يرغبون عمله ، وتنظيم خبراتهم ، والتعبير عن الافكار ، فالعديد من فروع الثقافة كالأخلاق والدين والفلسفة والآدب والعلم والاقتصاد والتكنولوجيا، وغيرها تعتمد جميعا على اللغة وهي أرفع وسائل الاتصال ، لهذا السبب فانه يقال بأن الثقافة كامنة في اللغة (٢) .

وتعد القارة الافريقية من أكثر الأماكن تعقيدا بالنسبة لتعدد لغاتها ولهجاتها وكثرة قبائلها وتبعاً لذلك تتنوع الثقافات بها . واذا ما أدخلنا في اعتبارنا الاحتكاك الاوربي والعربي ونقل الثقافة الغربية الى افريقيا وآثارها سواء أكان سلبيا أو ايجابيا .لأدركنا مدى الضغط الخارجى على أسلوب الحياة وسلوك الانسان فى افريقيا وتعرض ثقافته للتغيير بفضل المزيد من معرفته عن العالم الجديد والثقافات الأخرى . واذا ما لاحظنا زيادة ذلك الانفتاح الثقافى الجديد فى افريقيا بعد التحرير فى النصف الثانى من القرن الحالى ، الأدرکنا أن التغير الثقافى هو سمة بارزة فيها ، وان كان يعطينا فهما أكثر لقابلية الثقافة للتغيير والتبديل . فالثقافة تتميز بالديناميكية المتواكبة مع مطالب الحياة المتطورة . الا أننا لا ننكر أهمية أثر العامل البيئى على الثقافة بالنسبة للمتغيرات الحديثة كالبناء اللغوى والحاسب الآلى (الكمبيوتر) وغيرها .

والثقافة بمفهومها الشمولى تعنى « مجموعة النشاط الفكرى والفنى فى معناها الواسع ، وما يتصل بها من مهارات أو يعين عليها من وسائل ، فهى موصولة بمجمل أوجه الأنشطة الاجتماعية الأخرى ، ومؤثرة فيها متأثرة بها ، معينة عليها مستعينة بها ، ليتحقق بذلك المضمون الواسع لها ، متمثلا فى تقدم شامل للمجتمع فى كل جوانب سعية الحضارى » (٣) . وهذا المعنى لا يختلف عن مضمون الشرح الوافى السابق لمعنى الثقافة فى كلا جانبيها المادى والمعنوى .

ان مهمة تصحيح مسار التعاون العربى — الافريقى تقع بالضرورة على عاتق طرفى العلاقة بصورة متوازنة ، وعليه يجب أن يعترف الطرفان « بالثقافة » ذات النمط الشمولى كمكون من مكونات التعاون الافريقى — العربى ، واعطاؤها السند الضرورى والدعم اللازم . ولا شك أن الترابط الجغرافى وحركة التواصل البشرى والتفاعل الثقافى بين العرب والافارقة لم يكن متوازنا — لكنه متبادل — بل اختلف من منطقة لاخرى (٤) ، كما تتنوع الثقافة وتختلف خصائصها من قطر لآخر . فالدور الثقافى الذى قام به العرب فى افريقيا قابله دور مماثل للأفارقة فى العالم العربى ، يبدو فى مساهمة البلاد الافريقية فى دراسة الاسلام واشاعة الثقافة الاسلامية . وقد يكون من المهم أن نشير هنا الى أن تاريخ العرب فى افريقيا يقابله أيضا تاريخ الأفارقة فى البلاد العربية .

أما « العلاقات الثقافية وأبعادها » : فالمقصود بها بحث الصلات الثقافية العربية الافريقية .

فيسكن ثلثا الأمة العربية نحو ثلث القارة الافريقية وهى أكثر الامم الافريقية على الاطلاق اذ يشكل العرب نحو ثلث سكان افريقيا . وهم يعيشون فى شمال القارة وشرقها ويتوغلون عبر الصحراء الكبرى ويخترقون الغابة المدارية فى عدة أجزاء منها ويكونون تسع دول عربية بعضها يحتوى على كثافة عالية من السكان . ومن

ثم ، ارتبطت افريقيا بالعالم العربى ارتباطا روحيا وحضاريا يستند على دعائم ومقومات راسخة فجوهر الثقافة فيها (العربية - الافريقية) واحد نظرا لوحدة التكوين البيئى لهذه الثقافة والانطلاق من فطرة الانسان وطبيعته (٥) .

ومن نافلة القول الاشارة الى خط التلاحم العربى الافريقى ، ومتاخمة العالم العربى للقارة الافريقية والى العديد من الدول التى تجمع بين انتماءاتها العربية والافريقية والى ما تردد من آراء حول الصحراء الكبرى التى رأى البعض أن تشكل عازلا بين عدة عوالم افريقية منفصلة كافريقيا البيضاء أو افريقية العربية أو المتوسطية وافريقيا الزنجية ، أو بشئ من التعميم افريقيا شمال الصحراء وافريقيا ما وراء الصحراء (٦) .

لقد كانت الصحراء بما يتخللها من دروب ومسالك على مدار التاريخ عامل اتصال وليست عامل عزل وعن طريقها وقوافل التجارة التى كانت تعبرها تمت التأثيرات الحضارية والتبادل الثقافى (٧) . ولذا ، لا ينبغي أن ننظر الى الصحراء كحد فاصل بين شمال افريقيا وغربها وجنوبها خاصة اذا عززنا هذه النظرة برغبة الدول الافريقية فى التعاون فيما بينها على مستوى القارة . لقد أسفر دور العرب فى افريقيا على امتزاج الثقافتين العربية والافريقية امتزاجا نجم عنه تاريخ عربى افريقى آن الأوان لكى يحتل مكانا رئيسيا فى تاريخ القارة الافريقية .

فلم تكن العلاقة بين العرب والأفارقة حديثة بل هناك جذور عميقة وقديمة للعلاقة بين الثقافتين الافريقية والعربية ، اذ ترجع معرفة العرب بافريقيا الى ما قبل ظهور الاسلام وخاصة بين سكان جزيرة العرب وساحل افريقيا الشرقى . فالعلاقة بين العرب والأفارقة ترجع لأكثر من ألفى عام وربما ترجع الصلة بين الجزيرة العربية وافريقيا الى أبعد من ذلك بكثير (٨) .

وقد يكون من المفيد في دراستنا لتاريخ العلاقات الثقافية العربية الافريقية أن نركز على ثلاثة مداخل رئيسية أو على ثلاثة كتل عربية اسلامية أحاطت بالقارة من شرقها وشمالها ولعبت دورا كبيرا في نقل الثقافة والمؤثرات العربية الاسلامية الى شعوب القارة وهى : —

(أ) سواحل شرق افريقيا المتصلة بسواحل الخليج والجزيرة العربية : فقد ارتبطت ببلاد اليمن وشبه الجزيرة العربية (عمان) منذ أقدم العصور التاريخية فتجار الجزيرة العربية كانوا أقدم من وطئ الساحل الشرقى لافريقيا ، حيث كان قدومهم الى هذه المناطق بغرض التجارة والاستيطان (٩) .

(ب) الصحراء الكبرى وشمال افريقيا حيث اتصلت مدن وموانئ شمال افريقيا بشعوب غرب افريقيا بواسطة شبكة من مسالك القوافل التى تخترق الصحراء الكبرى والتى تربط بين شعوب شمال افريقيا وشعوب غرب افريقيا فيما وراء الصحراء فقد وضع العرب في أوطانهم الافريقية حضارة شع نورها في مناطق كثيرة من القارة الافريقية حملها العرب معهم عبر الصحراء الكبرى الى غرب افريقيا حيث استطاعت الثقافة العربية أن تكسب مواقع هامة في غرب القارة . كما كانت ممالك غرب افريقيا القديمة تقوم بالتجارة وتمثل حلقة اتصال بين شمال القارة وافريقيا جنوب الصحراء عبر دروبها ، ومنها انتشر الاسلام تدريجيا فضلا عن الثقافة العربية ، حيث توطدت العلاقة في المجال الثقافى العربى من ناحية أخرى (١٠) . وهكذا ، نجح العرب في توطيد علاقاتهم بافريقيا المدارية في العصور الوسطى ، كما كان أسلافهم علاقاتهم الافريقية في العصور القديمة .

(ج) نهر النيل ، واتصال مصر بالسودان وشعوب وادى النيل : يعد نهر النيل المنفذ الرئيسى لدخول المؤثرات الحضارية من حوض البحر المتوسط الى قلب افريقيا ، فهو طريق مائى طبيعى امتدت الثقافة العربية من مصر عبر واديه الى قلب القارة وشرقها كما امتدت

الى وسطها في حوض الكنفو: على يد العرب الحضارمة والعمانيين •
وبانتشار العرب في السودان اكتسب السودان الصبغة العربية والثقافة
العربية ، فقد كانت هذه القبائل العربية أداة نشر للثقافة العربية في
أرجاء السودان وادي النيل فيما بين ساحل البحر الأحمر شرقا حتي
منطقة تشاد غربا أي على طول محور الحشائش السودانية (السافانا)
الشرقي الغربي ، كما انتشرت العروبة على طول نهر النيل أو المحور
الشمالي الجنوبي من حدود مصر الشمالية الى الدائرة العرضية
الثانية عشر جنوبا (١١) • فالسودان يعد ملتقى العرب وأفريقيا ،
حيث فضل الكثيرون أن يكون كذلك • وليس أدل على ذلك من أن مجرى
النيل العظيم اعتبر شريطا حيويا ربط منذ أقدم العصور بين قلب
أفريقيا وشمالها •

وعلى امتداد عدة قرون من تاريخ العرب في أفريقيا امتزجت
الثقافة العربية بالثقافات المتعددة للشعوب الأفريقية ، أو فيما يطلق
عليه علماء الاجتماع التداخل الحضاري بين الثقافات المتعددة
Acculturation ، وهو أمر أسفر عن ظهور ثقافة عربية أفريقية
واضحة المعالم (١٢) بعد أن وجدت كثير من الشعوب الأفريقية في ذلك
المزيج المركب أساسا لبناء مستقبلها السياسي والاجتماعي ، هذا
فضلا عن توغل العرب واتدماجهم في الشعوب الأفريقية ، وما ترتب
على ذلك من ظهور جنس يجمع الكثير من الصفات العربية
والأفريقية (١٣) • إن استعراب بعض الشعوب الأفريقية وتقبلها
الاسلام لا ينفي أصالتها الحضارية أو مدنياتها القديمة السابقة على
الاسلام ، كما أنه لا يتناقض مع هذه الأصول •

ولقد ظلت الثقافة العربية تحظى بمكان مرموق في أفريقيا حتي
قدوم الاستعمار الى القارة حيث بذلت جهود كبيرة من جانب القوى
الاستعمارية لاستئصال جذور الثقافة العربية في أفريقيا وقطع أواصر
العلاقات التاريخية العميقة بين الأمة العربية والأمم الأفريقية وتشويه
تاريخ العرب في أفريقيا ، إذ كان للاحتكار العربي الأفريقي آثار

حضارية وثقافية شملت كل نواحي الحياة في البلاد الافريقية التي
اتصل بها العرب وظهرت آثارها في هذه المجتمعات الافريقية بوضوح .

القسم الأول : من العالم العربى نسوق هنا نموذجين للوضع
الحالى يقومان على تدعيم العلاقات العربية الافريقية في المجال
الثقافى .

ويتمثل النموذج الأول : « المنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم » — فالتعاون في المجال الثقافى في مسار العلاقات الافريقية
العربية لم يأخذ شكل مؤسسات الا مؤخرا وفي حيز ضيق . فقد بدأ
الجهد العربى لاهياء الاتصال الثقافى الحضارى على نمط مؤسسات
عندما صدر الميثاق العربى في عام ١٩٦٤ م . وفي عام ١٩٧٠ م قامت
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كأداة متخصصة لتنمية المجالات
الفكرية والثقافية وهى مؤسسة علمية عربية تابعة لجامعة الدول العربية .
وتقوم المنظمة بدور هام في توثيق عرى العلاقات العلمية والتربوية
والثقافية بين الدول العربية والدول الافريقية . وتؤدى هذا الدور
الثقافى والعلمى متوسلة بطرق شتى لعل من أهمها نشر الثقافة واللغة
العربية في افريقيا ، واعادة كتابة تاريخ العلاقات العربية الافريقية
من أولى اهتمامات المنظمة . وقد دعمت المنظمة هذا التوجيه بإنشاء
« معهد الخرطوم الدولى للغة العربية لغير الناطقين بها »^(١٤) الذى
يقوم بنشر اللغة العربية بين أبناء الدول الافريقية عن طريق تدريب
مجموعة معلمى اللغة العربية أحدث الأساليب لتعليمها لغير الناطقين
بها . وهم يقومون بدورهم على أكمل وجه في كثير من الدول الافريقية
كما تعمل المنظمة على إصدار مجموعة من المعاجم العربية — الافريقية
للمغات الافريقية المكتوبة كالهوسا والسواحيلى — على سبيل المثال —
والتي تفيد أبناء القارة الذين تتناولهم العلاقات العربية — الافريقية
في شتى المجالات . وتعمل كل هذه المحاولات وغيرها في الوقت الحاضر
على تدعيم العلاقات العربية — الافريقية في المجال الثقافى من جانب

جامعة الدول العربية ومنظمتها • كما تسعى جاهدة بالاسهام في المجال لمزيد من التعاون الثقافي العربى الافريقى مستقبلا •

لقد شهدت فترة السبعينات عدة محاولات لتأكيد علاقة المثقفين العرب والافارقة بصورة منظمة وكان لاتحاد الجامعات الافريقية وروابط المعلمين وأساتذة التاريخ والدراسات الافريقية والصحفين جهد مقدر في هذا الشأن ، كما شهدت تلك الفترة انعقاد سلسلة من الندوات أمها عدد من المفكرين وصدرت عنها دراسات متخصصة وتوصيات محددة تدعم التعاون الثقافي الافريقى - العربى (١٥) •

وكان عام ١٩٨٢ م أوصت المنظمة والادارة الثقافية لمنظمة الوحدة الافريقية بإنشاء المعهد الثقافى الافريقى العربى الذى يعنى بالبحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ويفسح المجال لتنشيط البيئة الثقافية والرأى العام المستنير حول قضايا التعاون العربى - الافريقى • الا أن تنفيذ هذا المشروع لم يكتمل بعد رغم موافقة منظمة الوحدة الافريقية والجامعة العربية عليه (١٦) • وأرى أنه من الضرورى أن يجد مساندة فعالة من اتحادى الجامعات الافريقية والعربية • لقد أصدرت اللجنة الدائمة للتعاون العربى الافريقى والذى انعقد في الكويت في يونية ١٩٨٩ م • قرارا بإنشاء هذا المعهد • وأكد القرار ضرورة اتخاذ الاجراءات التنفيذية من جانب الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، على أن ينشأ المعهد خلال عام ١٩٩٠ م • وأن يبدأ نشاطه في عام ١٩٩١ م وأن توفر له الاموال المناسبة • ويبقى سؤال : هل سيتم تنفيذ هذا المشروع الثقافى الهام أم سيلقى مصير المشروعات الثقافية التى طرحت من قبل ؟

أما النموذج الثانى : فلا تدخر الجامعات العربية بعامة جهدا في تدعيم العلاقات العربية الافريقية في المجال الثقافى تقوم جميعها باستقبال أعداد كبيرة من أبناء القارة الافريقية لتلقى العلم على أيدي

أساتذتها في جميع كلياتها ومعاهدها الجامعية المتخصصة • ولعل من أهم هذه المعاهد معهد الدراسات الافريقية الآسيوية التابع لجامعة الخرطوم ، الذي تحقق انشاؤه من بين برنامج العمل الذي وافقت عليه قمة عام ١٩٧٧ م وكون له — فيما بعد — مجموعة عمل طرحت برامج عديدة عن التعاون التعليمي والثقافي والفني والاعلامي ، من بينها انشاء مؤسسات علمية ومتخصصة في الدراسة المتعلقة بالشئون العربية والافريقية (١٧) •

ولم يكن غريبا أن تنشئ جامعة القاهرة في مصر معهدا متخصصا للدراسات الافريقية وهو قديم أنشئ في عام ١٩٤٧ م باسم معهد الدراسات السودانية ثم تم تطويره الى الوضع الحالي عام ١٩٧٠ م • وهو يقوم على بحث ودراسة مشاكل القارة الافريقية سعيا لوضع الحلول الممكنة لهذه المشاكل بقدر ما لديه من طاقة وسعة أكاديمية • وهو وحدة على مستوى الدراسات العليا ، تقوم باستقبال خريجي الجامعات المصرية وما في مستواها من الجامعات العربية والافريقية ومنحهم درجة الدبلوم والماجستير والدكتوراه من أقسامه الستة التي تخصصت في كل مجالات الدراسات الافريقية من : تاريخ — جغرافيا — لغات افريقية — أنثروبولوجيا — موارد طبيعية — نظم سياسية واقتصادية • فهو مركزا للدراسات الافريقية الشاملة •

وقد نصت المادة الأولى من مشروع اللائحة الداخلية للمعهد على أن الغرض منه هو النهوض بالبحوث والدراسات الافريقية وتنظيم برامج دراسية وتدريبية للعاملين في مجال الدراسات الافريقية ونشر البحوث والدراسات وتأليف الكتب والمراجع وتبادل النشرات العلمية وعقد مؤتمرات وندوات واجتماعات علمية في مجال هذه البحوث •

ولا شك في أن التعليم العالي أو الجامعي هو وسيلة اعداد القوى البشرية القادرة فنيا على تسيير المجتمع • فهو عماد البحوث والدراسات الفكرية ، مما يجعل التعليم العالي يتحمل بهذه الصفة مسؤولية

تحقيق « الذاتية الثقافية » ، التي تمثل الخصوصية الحضارية للمجتمع (١٨) .

— القسم الثانى : وهو عرض لبعض وسائل التدعيم التي يجب أن تنمى وتلقى اهتماما من الجانب العربى والافريقى من بينها : اللغة — العلوم المختلفة — مراكز البحوث والدراسات والباحثين ، وغيرها .

أما عن اللغة : لقد أدى الجوار الجغرافى فى شمال القارة الافريقية وشرقها بين الدول العربية والعالم والعالم الافريقى فى بقية أنحاء القارة الى وقوع جزء كبير من العالم العربى فى افريقيا ، وأن تجمع جامعاته بين عضوية اتحاد الجامعات العربية واتحاد الجامعات الافريقية ، وأن عددا كبيرا من الدول الافريقية والتي تقع على خط الالتحام العربى الافريقى تتحدث العربية بجانب لغاتها القومية والرسومية .

ولا شك أن العلاقة التي تربط بين افريقيا والعالم العربى قديمة قدم التاريخ وهى علاقة تتمثل فى صور شتى ، وقد انعكس كل ذلك فى أنماط العلاقات القائمة بين اللغة العربية والكثير من اللغات المنتشرة فى القارة الافريقية ، حيث كان لانتشار العرب فى افريقيا أثر فى انتشار اللغة العربية ، كما كان لانتشار الاسلام بين الافارقة أثره الكبير فى انتشار اللغة العربية لغة القرآن . وقد كانت اللغة العربية دائما من أقدم اللغات المكتوبة ذات الادبيات الرفيعة فى القارة الافريقية وظلت الثقافة العربية تحظى بمكان مرموق حتى قدوم الاستعمار للقارة ، كما ظلت اللغة العربية لغة العلم والتواصل الفكرى تخدم العلاقات التجارية والصلات الدبلوماسية فى كثير من الاقطار الافريقية ، حتى غلب الاستعمار الاوروبى على المنظمة فى القرن ١٩ م ، حيث بذلت جهود كبيرة من جانب القوى الاستعمارية لكتابة اللغات الافريقية بحروف لاتينية بدلا من الخط العربى ، لاستئصال جذور الثقافة العربية فى

افريقيا ، وقطع أواصر العلاقات التاريخية العميقة بين الامة العربية والامم الافريقية وتشوية تاريخ العرب في افريقيا •

وليس أدل على تأثير العرب في افريقيا من أن اللغات الافريقية المنتشرة في أغلب المناطق التي تتكلم اللغة غير الاوربية كالسواحيلي (Swahili) في قطاع كبير من شرق افريقيا والهوسا (Housa) في معظم غرب افريقيا والبانتيو في الشرق والجنوب قد جاءت هذه اللغات في تحد للحكم الانجليزي والفرنسي في افريقيا • وأن تضم مفرداتها كثيرا من الكلمات العربية المقترضة ، ودخلت اللغات الافريقية الكبرى عالم التدوين والكتابة وأوجدت به انتاجا رفيعا • لقد اقتبست بعض هذه اللغات فوق استعمالها للحرف العربي بعض الكلمات والمدلولات العربية مما دعم حركة التفاعل وقوى أواصر التواصل • فكثير من الالفاظ في السواحيلية في شرق افريقيا عربية الاصل ، قدرها البعض بـ ٦٠٪ من الالفاظ المستخدمة في الحياة العامة ، واللغة السواحيلية لغة افريقية عربية (٢٠) • وينسحب هذا الشيء أيضا على لغة الهوسا المنتشرة في غرب افريقيا • في حين قدرها آخرون أن نسبة كبيرة من أساس مصطلحات لغة السواحيلي والهوسا من اللغة العربية (٢١) • كما توجد بعض المصطلحات السياسية باللغة العربية والامثلة عليها كثيرة — فعلى سبيل المثال رئيس (Raisi) ، شريعة (Sharia) سياسة (Siasa) ، ادارة (Idera) ، وزير (Wasiri) • لقد أخذت تلك اللغات الافريقية العديد من الالفاظ والكلمات في مجال الدين والتجارة والادب وغيرها من شتى مظاهر الحياة والمعيشة وتركت اللغة العربية بصماتها الواضحة في تلك اللغات (٢٢) •

لقد بلغ من قوة الالتقاء الثقافي بين العرب والافارقة أن دونت كثير من اللغات الافريقية بالحروف الهجائية العربية الى جانب ذلك كانت اللغة العربية هي لغة الثقافة وما تزال آثارها ماثلة في المخطوطات العربية التي تزخر بها المكتبات العلمية في كثير من الجامعات الافريقية ومكتبات العواصم الاوربية الكبرى •

: والحقيقة أن الأثر الثقافي للعرب لم يقتصر على اللغة بل امتد إلى الثقافة بمعناها ومدلولها الواسع ، اذ وجدت في شرق القارة وعلى طول ساحلها الشرقي وفي قطاع كبير من غربها مراكز ثقافية هامة • يعود ذلك إلى انتشار اللغة بشكل واسع في القرن ٦ م عندما اتسعت الممالك الإسلامية عبر القارة من غربها إلى شرقها في ذلك الوقت (٣٣) ، كما أنها تحيط به اللغات الأفريقية الثلاث السابقة في التوزيع بالقارة في الوقت الحاضر • وقد صاحب مسالك وطرق انتشار اللغة العربية في إفريقيا العادات والتقاليد والحضارة العربية أيضا •

أما عن العلوم : فالعلاقات الثقافية العربية الإفريقية الحالية لم تحدث من فراغ فالماضي متصل بالحاضر ، وينعكس من خلال زوايا كثيرة منها زوايا الثقافة العربية الإسلامية والتكيف الثقافي الفكري • فلم تكن العلاقات بينهما حديثة بل هناك جذور للعلاقات الثقافية بين الإفارقة والعرب • فدائما ما تركز العلاقات الثقافية وتدعينا قديما وحديثا على العلوم الإنسانية • ولكن ، لابد من العمل على تدعيم المجال الثقافي بين العالم العربي والقارة الإفريقية في العلوم الطبيعية والتطبيقية وأيضا تبادل واستخدام وسائل التقنية والتعليمية الحديثة التي تحتاجها الجامعات في الطرفين لتنمي مستواها وموادها الدراسية وتحسين حال خريجها لتواكب العصر وتلحق بركب الجامعات الأجنبية التي ترتبط بها ، حيث صارت أوروبا وأمريكا قبلة لأعداد هائلة للتدريس العاملة بالجامعات الإفريقية والعربية التي أطلعته ومكنتهم من التعرف على العلوم الحديثة • وحتى تنمو العلاقات الثقافية نموا مفيدا للعالمين الإفريقي والعربي ، يحسن أن يكثف الاتصال الثقافي والفكري والاجتماعي بين المثقفين والعلماء في اللقاءات والأنشطة المختلفة •

أما عن مراكز البحوث والدراسات الإفريقية : فقد أنشئت العديد من المعاهد ومراكز البحوث والدراسات الإفريقية في الجامعات العربية التي اهتمت بالدراسات الإفريقية ، وقيام المراكز التعليمية العربية في العديد من الدول التي اهتمت بتدريس واعتماد المعلمين

في تدريس اللغة العربية لأبناء القارة الافريقية ، كما يوجد في بعض الجامعات الافريقية مراكز ومعاهد للدراسات العربية • ولكن السؤال هنا : كم عدد هذه المراكز والمعاهد في كلا الجانبين في الوقت الحاضر ؟ انها ضئيلة العدد جدا بل انها لا تتجاوز أصابع اليد في العالم العربي وفي الجامعات الافريقية •

لا شك أن النشاط العلمي بالجامعات ومراكز البحوث العربية لكل ما يتعلق وتاريخها وحضارتها ونوعية الروابط التاريخية والثقافية المختلفة التي أقيمت بيننا فهي ضعيفة جدا ، وهذا بسبب قلة وندرة المتخصصين وعدم اهتمام الباحثين العرب بصفة عامة بهذا المجال من الدراسات الافريقية ، في حين تعددت مراكز معاهد البحوث الافريقية في الجامعات الاجنبية ، بل تكاد تكون كل جامعة فيها تفرد خلية بحث حول افريقيا في الاتجاهات العلمية المختلفة وتشجع باحثيها على هذا التخصص (٣٤) •

ولم تكن الدراسات العربية الحديثة بافريقيا عناية كافية ، فان أكثر ما كتب عن العلاقات الثقافية الافريقية في الماضي تناول دور الاسلام في افريقيا فقط دون غيره من العلوم المختلفة سواء الانسانية أو غيرها • ولم ينك اثر العرب في افريقيا الاهتمام الواجب من الجامعات ومعاهد البحوث العربية فالتأثيرات الثقافية — السابقة توضح لنا روابط الشعوب الافريقية بالشعوب العربية ، وأنها بطبيعة الحال لا تعنى مجرد علاقات هامشية وانما بلغت هذه العلاقات مرحلة التعايش بفضل التبادل البشري وسكنى مجاليات عربية في المجتمعات الافريقية أو سكنى أفارقة في مجتمعات عربية • ومثل هذه العلاقات كانت تقتضي بطبيعة الحال تبادل التجارب الانسانية والعادات ووسائل المعرفة والمعتقدات • وقد يكون من المهم أن نشير هنا الى تاريخ العرب في افريقيا يقابله أيضا تاريخ الافارقة في البلاد العربية • ويحتاج هذا الامر الى دراسة وبحث وتوثيق وكتابة على أيدي مراكز ومعاهد

البحث الافريقية والعربية وليس بالنقل من المصادر الاجنبية التي عمدت — كثيرا — الى تشويه هذه العلاقات الثقافية العربية •

ولعل من أهم وسائل تدعيم العلاقات الثقافية العربية الافريقية ، تبادل الطلاب والباحثين وهيئات التدريس والمعلومات والمطبوعات بين الجامعات العربية والجامعات الافريقية ، والعمل على اللقاءات المشتركة بين الجانبين لتبادل الرأي والمشورة ومناقشة الامور العلمية والثقافية المختلفة ، وأيضا سفر أعضاء كل من الطرفين الى دول الطرف الآخر للاقامة والبحث والدراسة الميدانية وجمع المادة العلمية وحل المشكلات على الطبيعة ، — على سبيل المثال لا الحصر — دراسة النباتات — الحيوان المراعى والثروة الحيوانية — المواد المعدنية — مشكلة الجفاف والتصحر — موارد المياه — الطاقة — وأهمها دراسة اللغة بين أهلها والاقامة والتسجيل من أفواه أصحابها حتى يكتسب الباحث كل مهارات اللغة وقواعدها ، حتى يجيدها ويحسن التخاطب بها •

— **القسم الثالث :** وهو الرؤية المستقبلية : أن هناك أشياء كثيرة تشد الافارقة والغرب بعضهم الى بعض ، انها ضرورة العصر المؤسسة على تواصلهم القديم ، وتربطهم الجغرافى ، وطموحهم لتحقيق التنمية الكاملة الشاملة • ولن يتحقق هذا ما دمنا فى عزلة ثقافية • فالتعاون حركة شاملة والثقافة بكل أنماطها احدى دعائمه الهامة وهى روح التعاون وقلبه النابض وعقله المخطط (٣٥) • لهذه الاسباب مجتمعة لا بد من تقوية الجانب الثقافى فى اطار التعاون الشامل لانه الاقوى والاكثر دواما ونفعا للبشر • ومن هنا تتضح أهمية الجامعات لما تقدمه ويمكن أن تكون عليه التنمية الثقافية •

لقد أصبحنا فى حاجة ملحة الى التعاون الان أكثر من أى وقت مضى • فالخالة الحالية للعلاقات الثقافية العربية الافريقية تدعو الى الضرورة المستمرة لانشاء المؤسسات والاجهزة القادرة على مواجهة التحديات عن طريق الانسان العربى الافريقى والتعامل مع منجزات

العلم والتكنولوجيا بفهم وسيطرة كاملين ، مما يحتم على الجامعات أن تقوم بجهد في تدعيم التنمية الثقافية وتأمين مسارها والتغلب على سد الفجوة بين الثقافات الافريقية والثقافة العربية ، وهى قادرة على التصدى لما يعترض سبيل التعاون الثقافى بين الافارقة والعرب ، ويجدر بالجامعات العربية والافريقية فى الوقت الحاضر مد جسور التعاون فيما بينهما للدراسات العربية للافارقة فى الجامعات العربية والدراسات الافريقية للعرب فى الجامعات الافريقية ، بدلا من التوجه الى الجامعات الاجنبية خارج نطاق العالمين العربى والافريقى لدراسة كل منهما للآخر .

ولعل فى العمل مستقبلا على تدعيم العلاقات الثقافية بين العالمين العربى والافريقى عن طريق أمور كثيرة فيه نوعا ما من التقارب والاستفادة والسعى الى ما هو أفضل لكل من الطرفين — نذكر فيها على سبيل المثال لا الحصر — : كم العدد الآن من مراكز ومعاهد الدراسات الافريقية فى العالم العربى ، مقابل مراكز ومعاهد الدراسات العربية واللغة العربية فى الجامعات الافريقية ؟؟ فالأكثر منها والتوسع فيها والتقاء الطلبة وأعضاء هيئة التدريس من الجانبين فى كل منها لعامل هام فى مستقبل التدعيم .

ولعل ما تسعى اليه مصر الآن من انشاء الجامعة الافريقية فى أسوان ، ومركز الدراسات الافريقية الفرنسى فى الاسكندرية ، وقسم للدراسات الافريقية فى كلية الآداب جامعة القاهرة — فرع الخرطوم ، وأيضا ما تقوم به كثير من الدول الافريقية من انشاء مراكز للدراسات العربية بها ، وراء رؤية مستقبلية نحو مزيد من التعاون الثقافى فيما بين العرب والافارقة .

كما أن تبادل المطبوعات فى شكل حركة للترجمة للمؤلفات والبحوث المنشورة على نطاق واسع فى العالم العربى والافريقى بعدة لغات لرؤية مستقبلية أيضا فى تدعيم العلاقات الثقافية بين العالم العربى والافريقى .

ولعل ذلك يؤدي بنا الى سؤال في هذا الشأن : ما السبيل الى مدخل التقارب بين هذه القارة العربية الافريقية المتحدثة بعدد من اللغات القومية والرسمية التي تظهر على خريطة افريقيا الحالية ؟؟ فخرائط توزيع اللغات الرسمية بها دون خريطة توزيع اللغات القومية الرئيسية المنتشرة (الهوسا - السواحلية - البانتو) توضح ثلاث مجموعات وهى : - (أ) - مجموعة المتحدثين باللغة العربية (ب) مجموعة المتحدثين باللغة الانجليزية (الانجلوفون Anglo - Phone) (ج) مجموعة المتحدثين باللغة الفرنسية (الفرنكوفون Franco - Phone).

وعليه ، ففى ضوء خريطتى توزيع اللغات الرسمية واللغات القومية لافريقيا يمكن أن ندرس وسائل تدعيم النظرة المستقبلية للعلاقات العربية والافريقية فى المجال الثقافى ، واضعين فى الاعتبار ألا نلقى اللوم على الجانب دون آخر فى تدعيم هذه العلاقات الثقافية بينهما أو السعى الى ذلك مستقبلا .

وأود أن أشير هنا الى أن وسائل الاعلام المختلفة يمكن أن تقوم بدور كبير وأن تنجح فى مجال العلاقات الثقافية العربية الافريقية على المستوى الإقليمى أكثر منه على مستوى القارة . . .

• • • • • وأخيرا ، أورد بعض المقترحات والتوصيات التى ذكرها كثير من الكتاب والباحثين والندوات العديدة فى مجال التعاون الثقافى العربى - الافريقى :

— انشاء مركز عربى افريقى للبحوث بين الثقافات العربية الافريقية والابغناد العربية الافريقية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

— تنظيم دورات لتعليم اللغة العربية للافارقة فى بعض الدول العربية التى تتوفر بها معاهد متخصصة فى هذا المجال على غرار ما ينظم لفائدة عدد من طلبة وأساتذة أوروبا وأمريكا .

— تبادل المفكرين والاساتذة والفقهاء بين البلدان الافريقية والعربية •

— تشجيع التبادل الجامعي والعلمي لاساتذة أقسام الدراسات الافريقية في الجامعات العربية والاسلامية وأخرى للدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الافريقية •

— العمل على أن يتعرف العرب والمسلمون على الافارقة بكيفية مباشرة دون الاعتماد على المصادر الاجنبية ما أمكن • وكذلك بالنسبة الى الافارقة ليتعرفوا على العرب وثقافتهم وحضارتهم مباشرة أيضا • وعليه ، ينبغي على الباحثين عربا وأفارقة أن يتحروا موضوعية ما يأخذونه عن المصادر الاجنبية فيما يتعلق بالعلاقات العربية الافريقية •

دعوة الجامعات والكليات في البلاد العربية والاسلامية الى الاهتمام بتقديم المنح للطلاب الافارقة في جميع فروع المعرفة • وخاصة في مجال الدراسات العربية والاسلامية •

— توجيه الدراسات العليا بالجامعات الغربية نحو أغداد جيل جديد من الباحثين المتخصصين في الشؤون الافريقية ، مع دعم الدراسات الاكاديمية العربية الافريقية من خلال عرض وتحليل وجهات النظر الافريقية والمشكلات التي تواجه البلاد العربية والافريقية من واقعها المعاصر ، مع العمل على ابراز ونشر وجهات النظر العربية للرأى العام الافريقى بهدف الوصول الى أرض مشتركة للفهم المتبادل •

— تكثيف اللقاءات بين اتحادى الجامعات الافريقية والجامعات العربية ، في حوار فكرى يزيد من التعاون ويخلق مناخا فكريا مناسباً لانطلاقة جديدة تجعل المعرفة سلاحا والثقافة وعاء والتخطيط العلمى نبراسا ، سواء لقاءات جماعية أو ثنائية أو مؤتمرات وندوات متخصصة •

— تشجيع العمل المشترك وتوثيقه في مجال العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الافريقية : مثل القيام بمشروعات بحوث مشتركة بين الجامعات الافريقية والجامعات العربية •

(أ) تشجيع اجراء ترجمات من الآداب الافريقية الى اللغة العربية ومن اللغة العربية الى اللغات الافريقية الرئيسية وأيضا ترجمة البحوث والمجلات العلمية بلغات عربية وأوربية وأفريقية •

(ب) دعوة الجامعات العربية الى العناية بالدراسات المتعلقة بالحضارة الافريقية والتراث الافريقى وادراجها ضمن مقرراتها ، وتشجيع الجامعات الافريقية لتعنى بالدراسات العربية الاسلامية بحثا وتدریسا •

(ج) — اجراء البحوث المشتركة في القضايا التى تهم افريقيا والوطن العربى مثل قضايا التصحر والجفاف والامن الغذائى وهجرة العقول والعمالة وغيرها •

(د) — تشجيع الدراسات المقارنة للغات الافريقية واللغة العربية •

(هـ) — الدعوة الى تبادل الاساتذة والمطبوعات والمعلومات والخبرات والممتحنين الخارجيين •

(و) — تشجيع انشاء المعاهد والمراكز التى تعنى بالدراسات المقارنة والتقابلية في جامعات المنطقتين على نسق معهد الدراسات الافريقية الآسيوية بجامعة الخرطوم ، ومركز الدراسات الافريقية بجامعة « لاجوس » ، ومعهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة •

(الهوامش)

- (١) سعاد شعبان ، (١٩٨٧) ، ص ص ١٢ — ١٣ .
- (٢) أنظر أدناه ، اللغة العربية أكثر تأثيراً في افريقيا في نقل اللقافة وتبادلها وسنركز عليها لأنها من محاور العلاقات الثقافية .
- (٣) محيى الدين صابر ، (١٩٨٣) ص ٩ .
- (٤) يوسف فضل حسن ، (١٩٨٩) ، ص ٨ ، ص ص ١٥ — ١٦ .
- (٥) محمد السيد غلاب ، (١٩٨٦) ، ص ٢٩ .
- (٦) جمال زكريا قاسم ، (١٩٨٠) ، ص ص ٤ — ٥ وأيضا للمزيد عن دراسة هذه النماذج من التقسيمات الافريقية المختلفة ، يمكن الرجوع الى : —
- عبد العزيز كامل ، (١٩٦٢) . — Bovil, C. F., (1968).
- (٧) — Hailey, L., (1970).
- (٨) يوسف فضل حسن ، (كتاب العرب و افريقيا) ، ص ٢٧ .
- (٩) سليمان عبد الستار المالكي ، (١٩٨٧) ، ص ١٢١ .
- (١٠) سليمان عبد الستار خاطر ، (١٩٨٨) ، ص ص ١٠٠ — ١٠٦ .
- (١١) محمد السيد غلاب ، (١٩٨٦) ، ص ٤٤ .
- (١٢) جمال زكريا قاسم ، (١٩٨٧) ، ص ١٨ .
- (١٣) للمزيد أنظر المراجع التالية : —
محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشرى ، القاهرة ١٩٨١ .
محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ، القاهرة ١٩٦٥
(سلسلة دراسات افريقية ١) ، (الدار المصرية للتأليف والترجمة) .
(— Seligman, C. G., Races of Africa, London, 1951).
- (١٤) طه حسن النور ، (١٩٨٢) ، ص ص ١٥٠ — ١٦٢ .
- (١٥) يوسف فضل حسن ، (١٩٨٩) ، ص ١٨ .
- (١٦) جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الاسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٨٥ . ص ٢٢ .

- (١٧) محمد عمر بشير ، (١٩٨٢) ، ص ١٠ .
- (١٨) محيى الدين صابر ، (١٩٨٣) ، ص ١٠٨ وص ١١٥ .
- (١٩) للمزيد أنظر : — الأمين أبو منجه (١٩٨٩) و — المزروعى (١٩٨٩) .
- (٢٠) اللغة السواحيلية نتيجة اختلاط اللغة العربية بلغة ابانتو .
— Encyklopaedia Britannica, Vol., 29, P. 629.
- عن : شوقى عطا الله الجمل ، (١٩٨٧) ، ص ص ١٤٨ — ١٤٩ .
- (٢١) يحيى رجب ، (١٨٧٨) ، ص ٢٨٥ .
- (٢٢) للمزيد أنظر : مجلة مجمع اللغة العربية — القاهرة ، عدد ٤٢ وما بعده (سلسلة) . مقالات : مصطفى حجازى عن : أثر اللغة العربية فى لغة الهوسا وآدابها .
- (٢٣) سليمان عبد الستار خاطر ، (١٩٨٨) ، ص ١١٠ .
- (٢٤) عبد الجليل التميمى ، (١٩٨٦) ، ص ٥٧ .
- (٢٥) الشاذلى العيارى ، (١٩٨٧) .
- (٢٦) استفدت من بعض المقترحات والتوصيات التى وردت المصادر
الآتية : —
- (ندوة الرباط — ندوة كلية الآداب ، جامعة القاهرة) .
- (يوسف فضل حسن ، (١٩٨٩) ، ص ص ٢٤ — ٢٦) .

(المراجع)

أولا : المراجع العربية : —

١ — إبراهيم على طرخان :

— دولة مالى الاسلامية ، لقاهرة ، ١٩٧٣ . (الاسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى ، ص ٩ وما يليها) .
(دولة ، ص ١٩٨) .

٢ — اشانلى العيارى :

— « التعاون العربى الافريقى بين الماضى والحاضر » مجلة الدراسات العربية الافريقية ، العدد الأول ، ١٩٨٧ .

٣ — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : دراسة فى العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الافريقية ، القاهرة . (المنظمة) ، ١٩٧٨ .

٤ — سعاد شعبان :

— الثقافة فى بعض الدول العربية والافريقية ، (سلسلة الدراسات الخاصة / ٣١) — معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ،
١٩٨٧ . ص ص ١٢ — ١٣ .

٥ — سليمان عبد الستار خاطر :

— مدن اقليم غرب افريقيا ، دراسة جغرافية تحليلية مجلة البحوث والدراسات العربية العدد ١٦ / معهد البحوث والدراسات العربية / القاهرة ١٩٨٨ ص ص ٩٥ — ١٣٦ .

٦ — طه حسن النور :

— « العلاقات الثقافية بين العرب والآفارقة » ، شئون عربية ، عدد / ٢١ ، فبراير ١٩٨٢ . ص ص ١٥٠ — ١٦٢ .

٧ — عبد الرحمن بدوى :

— « افريقيا والثقافة العربية » ، مجلة نهضة افريقيا ، العدد / ١٨ ، أكتوبر ١٩٦١ .

٨ — عبد المجيد رزق الله :

— « الثقافة العربية فى افريقيا » ، الفكر ، العدد / ١١ ، مارس ١٩٦٦ ص ص ٢ — ٤ .

٩ - عبد العزيز كامل :

- نحو تخطيط علمى لدراستنا الافريقية ، الموسم الثقافى ، الجمعية الجغرافية المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

١٠- يحيى الدين صابر :

- قضايا الثقافة العربية المعاصرة ، تونس ، ١٩٨٣ . ص ٩ .

١١- معهد البحوث والدراسات العربية : « العلاقات العربية الافريقية » ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

(ا) يحيى رجب :

- الخلفية السياسية المعاصرة للعلاقات العربية الافريقية . انتشار اللغة العربية والثقافة العربية فى افريقيا .

١٢- محمد احمد خلف الله :

- « الجذور التاريخية للعلاقات بين العرب والأفارقة » ، المستقبل العربى ، عدد ١٠ ، نوفمبر ١٩٧٩ ص ٥٠ - ٥٩ .

١٣- محمد عمر بشير :

- العلاقات العربية الافريقية ، دراسة تحليلية ، معهد الدراسات الافريقية الآسيوية - جامعة الخرطوم ، ١٩٨٤ .

١٤- محمود خيرى عيسى :

- العلاقات العربية الافريقية : دراسة تحليلية فى أبعادها المختلفة ، ١٩٧٨ (معهد الدراسات والبحوث العربية) .

١٥- ندوة « الأبعاد الثقافية للتنمية فى البلاد الافريقية والعربية » ، ١٤ - ١٦ أكتوبر ١٩٨٩ م - قاعة الشارقة ، جامعة الخرطوم .

(ا) يوسف فضل حسن :

- دور الجامعات الافريقية والعربية فى التنمية الثقافية .

(ب) محمد عمر بشير :

- التعاون الثقافى بين الجامعات العربية والافريقية ، التحديات والمخاطر .

(ج) الامين ابو منحة :

المظاهر اللغوية فى العلاقات بين افريقيا والعالم العربى .

(د) عبد الجبار عيد مصطفى :

- اسهامات ذاتية فى تحليل العلاقات العربية الافريقية سياسيا واقتصاديا وثقافيا .

(هـ) — Ali A. Mazrui, The Semitic Impact on
Africa Arab and Jewish Influences.

١٦ — ندوة « افريقيا والثقافة العربية الاسلامية » ، (منشورات المنظمة
الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة) ، (الايسيسكو) ، منظمة
المؤتمر الاسلامي . الرباط ، ٢٣ — ٢٥ يولية ١٩٨٦ .

(ا) محمد السيد غلاب :

— العرب والاسلام في افريقيا .

(ب) ثيوفيل أوبنفا :

— التعاون اللقافي العربي الافريقي ، مثال : المركز الدولي
لحضارة البانتو (سيسيا) .

(ج) الحسن نداو :

— الافاق الثقافية في افريقيا : دور الاسلام .

(د) أبو بكر خالد باه :

— رسالة الاسلام ودورها في الثقافة الافريقية .

(هـ) عبد الجليل التميمي :

— الابعاد الحضارية للصلات المغربية الافريقية خلال
العصر الحديث .

١٧ — ندوة « العلاقات الافريقية العربية في الثمانيات » ، جامعة الدول
العربية — الامانة العامة ، القاهرة ، ٢١ — ٢٤ يناير ١٩٨٠ .

(ا) جمال زكريا قاسم :

— تاريخ العرب في افريقيا .

١٨ — ندوة « العرب في افريقيا » ، الجذور التاريخية والواقع المعاصر ،
كلية الآداب — جامعة القاهرة ، ٤ — ٦ أبريل ١٩٨٧ . (اشراف :
رؤوف عباس حامد) .

(ا) جمال زكريا قاسم :

— تاريخ العرب في افريقيا سبيل للتقارب أم التباعد .

(ب) سليمان عبد الفنى المالكى :

— دور العرب وتأثيرهم في شرق افريقيا .

(ج) شوقي عطا الله الجبل :

— دور العرب الحضارى فى افريقيا .

- ١٩— ندوة « العلاقات العربية الافريقية » ، الخرطوم ، ١٨ — ٢٠ فبراير ١٩٨٧ ، (معهد الدراسات الافريقية الآسيوية — جامعة الخرطوم) .
- ٢٠— ندوة « العلاقات الثقافية العربية الافريقية » ، الخرطوم ، ٢١ — ٢٦ فبراير ١٩٨١ (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — معهد الدراسات الافريقية الآسيوية جامعة الخرطوم) .

(أ) جيمس ذهب قاجنده :

— تأثير العربية على اللغات الافريقية .

- ٢١— ندوة « العرب و افريقيا » ، عمان / الاردن ، أبريل ٢٥ — ٢٩ ، ١٩٨٣ .
- ٢٢— ندوة « العرب و افريقيا » ، بحوث ومناقشات ، الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربى ، بيروت ، المركز ١٩٨٤ .

٢٣— هرسكوفتز ملفيل ، ولیم ياسكوب :

— الثقافة الافريقية ، ترجمة / عبد الملك الناشف ، القاهرة ١٩٦٦ .

٢٤— يوسف فضل حسن :

— نبذة عن الدراسات العربية فى الجامعات الافريقية والدراسات الافريقية فى الجامعات العربية ، ندوة الشارقة ، ١٩٧٦ .

—٢٥

— العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الافريقية ، تونس ، ١٩٨٥ (المنظمة) — ادارة الثقافة . (أعده للنشر) .

—٢٦

— الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، فى كتاب العرب و افريقيا ، ص ٢٧ .

ثانيا : المراجع غير العربية : —

- 1 — Ali A. Mazrui, «Black Africa and the Arabs», Foreign Affairs, (An American quarterly review), July 1975. Vol. 53 - No. 4, P. 720.
- 2 — Bovil, C.F., The Caravans of the Old sahara and the Golden trade of the Moors, London, 1968.
- 3 — Hailey, L., An African Survey, London, 1970.

مكانة الجمل في الفولكلور الصومالى « دراسة فى الانثربولوجيا الثقافية »

مقدمة من :

دكتور / توفيق الحسينى عبده
أستاذ الانثربولوجيا المساعد
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة

مقدمة :

تحتل بعض الحيوانات مركزا هاما فى الحياة الاجتماعية للشعوب ،
ففى شرق افريقيا تعتمد الشعوب الرعوية على الماشية على اساس
أنها حيوان الرعى الأكثر ملائمة للبيئة ، أما فى المناطق القطبية فان
حيوان الرنة يلعب دورا بارزا فى تكيف الناس هناك للظروف الجغرافية
الصعبة التى يعيشون فيها ، ويسود منطقة الساحل الشمالى لافريقيا
وأجزاء كبيرة من الوطن العربى حرفة رعى الغنم والماعز ، أما فى
الصومال فان الجمل يعد الحيوان الملائم للظروف الطبيعية والبشرية
السائدة فى هذا القطر العربى الافريقى .

ولذلك فقد اكتسب الجمل أهمية اجتماعية واقتصادية جعلته فى مكان
الصدارة من حيوانات الرعى الأخرى ، فلا غرو أن يكون الجمل هو محور
الحياة الاجتماعية والثقافية لعدد كبير من سكان الصومال ، وبالتالى
أصبح مصدر اهتمامهم ومبعث مدحهم واقتدارهم يمتدحونه فى شتى
المناسبات وذلك بذكر العديد من الاوصاف والفوائد التى يمكن أن
يجتنيها الراعى وأهله وسكان مجتمعه من الجمل . مما شكل تراثا قوميا
على جانب كبير من الأهمية وحفظ للأجيال القادمة سجلا هائلا من
الوان الادب الشعبى بصوره المتعددة سواء ما كان منها فى صورة
نثر أو شعر أو حكم ومواعظ تجرى مجرى الامثال الثقافية وبذلك
زخرت الثقافة الصومالية بكنز لا يستهان به .

ومن وظائف هذا التراث الشعبى تأكيد الروح القومية للشعب
واضفاء خصائص مميزة للشخصية الصومالية • تأتي أهميتها فى حفظ
وبقاء الوحدة الوطنية بين سكان المجتمع مهما تباعدت بهم الاقاليم
واختلفت مواقعهم فى الزمان وبالمكان •

ولقد استمد الصوماليون من صفات الجمل وخصائصه الصفات
والخصائص والقيم الاجتماعية التى تتميز بها الشخصية الصومالية ،
فإذا كان الجمل صبورا يتحمل الجوع والعطش لفترة طويلة نجد
أن الصومالى يواجه البيئية القاسية التى يعيش فيها بصبر وجلد قلما
يوجد لدى شعب آخر •

وإذا كان الجمل كريما يعطى الكبار والصغار الغذاء فى كل الاوقات
ومختلف الاماكن ، فان الصومالى يتميز بطابع الكرم وحب العطاء
ولا يظن بما لديه على أقاربه جيرانه وضيوفه ، بل قد يضحي راعى
الجمل بالحيوان الذى يحبه فى سبيل تأصيل وترسيخ قيمة الكرم
والبذل التى اعتاد عليها اذا دعت الضرورة ذلك •

ومن دراستنا للفولكلور الصومالى وتحليل القيم الثقافية التى
تتضمنها نجد أن هناك قدرا من التطابق بين الصفات والخصائص التى
يتحلى بها الجمل وأهمها الصبر والذكاء والقناعة والكرم وبين القيم
الثقافية التى تتميز شخصية الفرد الصومالى •

ولقد اجمع الكتاب من العرب والاجانب الذى درسوا المجتمع
الصومالى عن قرب على ذلك فوصفوا شخصية الفرد الصومالى بأنه ذكى
صبور قنوع يرضى بالقليل ، وهو عفيف النفس يأبى الجشع ولذلك
فهو شديد الحساسية ، حريص على شعوره ، معتر بنفسه شديد
الاعتداد بها كما أنه لين العريكة طيب المعشر • كما يتميز الصوماليون
بالهدوء والمسالمة ، ولا يكرهون الغرباء بل يميلون لمساعدتهم ويسارعون
الى خدمتهم • ويتميز خلق الصومالى بالامانة الشديدة ، ويمكن للمرء
أن يلمس هذه الفضيلة فى أى صومالى مهما كان فقيرا •

الانثربولوجيا والفولكلور :

تهتم الانثربولوجيا الثقافية بدراسة الثقافة السائدة عند شعب من الشعوب ، وإبراز الخصائص والسمات والعناصر التي توجد في المجتمع •

والثقافة بالمعنى المبسط هي طريقة معيشة مجتمع ما ، سواء أكان ذلك المجتمع بدائيا أو متخلفا أو ناميا أو متقدما ، والثقافة من صنع الانسان وهي ظاهرة طبيعية تخضع لقوانين الطبيعة مثل قانون التطور وقانون البقاء للأصلح ، ولذلك فهي تدرس بمناهج علمية لا تختلف عن المناهج التي تستخدمها العلوم الطبيعية • ان قدرة الانسان على انتاج الثقافة هي خاصية تميز الانسان عن باقي الثدييات والحيوانات جميعا • ومن أهم عناصر الثقافة اللغة ، فمن طريقها تجمع وتسجل الثقافة وتنتقل من جيل الى الآخر وبالتالي تنمو وتتقدم ، كما أن الثقافة تزود اللغة معظم مضمونها فهي التي تعطى الانسان الموضوعات التي يتكلم عنها (١) •

ويمكن القول أن الانثربولوجيا الثقافية تهتم بدراسة السلوك الانساني في ماضيه وحاضره ، ولما كانت ثقافة الانسان (العرف والتقاليد والمعتقدات والممارسات ... الخ) هي الوسيلة التي تمكنه من الاتصال بالآخرين سواء جماعته المحلية أو الجماعات الاخرى المحيطة ، بما لها من خصائص اجتماعية في بيئتها الطبيعية المتباينة لذا كان أحد أهداف الانثربولوجيا الثقافية هو دراسة هذا التباين أو التشابه الثقافي هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى الاهتمام بتاريخ هذه الثقافات وأصولها ونموها وتطورها (٢) •

(١) عاطف وصفي : الانثربولوجيا الثقافية - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٥ - ص ٢٤ •

(٢) فاروق مصطفى اسماعيل : الانثربولوجيا الثقافية - دار المعرفة - الاسكندرية - ١٩٨٤ - ص ٢٨ •

ولقد تعددت مدارس الفكر التى تناولت العلاقة بين الانثربولوجيا والفولكلور • حتى استطاعت النظرية الانثربولوجية الانجليزية أن تثبت جدواها فى الدراسات الفولكلورية بعد جدل طويل مع المدارس الأخرى • كما وجدت هذه النظرية انصارا لها فى بلدان أخرى خارج انجلترا ، ففى المانيا رأينا تأثيرها واضحا فى مؤلفات مانهارت « الميثولوجى » وفى فرنسا كانت نظرية توالد الحكايات لجوزيف بيديه تعمل تحت تأثير المدرسة الانثربولوجية • وهذه المدرسة نفسها هى التى بسطت المادة للنظرية التطورية عند برونيتير وأيضاً عند ليتورنو (٣) •

أما فى فرنسا فقد ارتبطت الدراسات الاثنولوجية وفى مقدمتها الدراسات الشعبية بالاستعمار الفرنسى لبعض دول شمال افريقيا ، مما دفعهم الى دراسة فولكلور افريقيا البيضاء وأفريقيا السوداء — على حد تعبيرهم — مما يشغل حيزا كبيرا فى دراساتهم حتى اليوم (٤) •

وأشمل تعريف للفولكلور هو ما ذكره ايكه هو لتكرانس فى قاموسه وهو « الفولكلور هو العلم الذى يدرس التراث الروحى (اللامادى) للشعب وخاصة التراث الشفاهى ، وقد كان اسبينوزا ^{Espinosa} وكراب من بين من عرفوا بتنظيم ومجال العلم ، فيذهب اسبينوزا الى أن علم الفولكلور هى ذلك الفرع من المعرفة الانسانية الذى يجمع ويصنف ويدرس مواد الفولكلور بطريقة علمية • وذلك من أجل تفسير حياة الشعوب وثقافتها عبر العصور » • ويقول كراب أن « مجال الفولكلور هو اعادة بناء صورة التاريخ الروحى للإنسان لا كما يتمثل

(٣) يورى سولوكوف : علم الفولكلور ، تضاياه وتاريخه — ترجمة حلمى شعراوى ، عبد الحميد حواس — الهيئة العامة للكتاب — القاهرة ١٩٧١ ، ص ١٧ •

(٤) نبيلة ابراهيم : الدراسات الشعبية — دار المريخ — الرياض ١٩٨٥ — ص ١٩ •

في الاعمال البارزة للشعراء والقنّانين والمفكرين ، ولكن كما تتضح
في أصوات الشعب غير المصقولة « (١) .

هدف البحث :

يعتمد البحث على المنهج المقارن Comparative Method كمنهج في
الانثربولوجيا والفولكلور تخضع فيه الظواهر الثقافية للمقارنة
والتحليل .

وإذا كان عالم الانثربولوجيا الثقافية هرسكوفينر قد صاغ نظرية
المناطق الثقافية في افريقيا وأبرز فيها دور الماشية عند الشعوب الرعوية
في شرق افريقيا في المركب المعروف بمركب الماشية Cattle Complex
على أساس أن السمات الثقافية والنظم الاجتماعية ترتبط عند هذه
الشعوب بالماشية .

فإننا نود أن نكشف عن دور الجمال في المجتمع الصومالي ، وإلى
أي حد ترتبط السمات والعناصر الثقافية من خلال تحليل الفولكلور
الصومالي ، ولذلك نطلق على مثل تلك المجتمعات الرعوية مركب الجمال
Camel Complex .

ولذلك فإن المقارنة التي نستخدمها في هذه الحالة هي أسلوب
« المقارنة الإقليمية المركزة » التي تستخدم داخل حدود إقليمية معينة
للتعرف على الأنماط الأساسية التي يمكن تصنيف الأشكال الاجتماعية
تبعاً لها .

هدف البحث :

يهدف البحث أساساً إلى :

- ١ - مدى ملائمة المدخل الانثربولوجي الثقافي لدراسة الفولكلور .
- ٢ - التعرف على الدور الثقافي والاجتماعي للجمال في حياة الشعب

الصومالي .

(١) أبكة هولتكرانس قاموس الانثولوجيا والفولكلور - ترجمة
د. محمد الجوهري ، د. حسن الشامي - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ -
ص ٢٨٦ .

٣ — تحليل عناصر الفولكلور الصومالي وإبراز الوظائف التي يؤديها •

٤ — دور البيئة في تشكيل الظواهر الفولكلورية •

٥ — وظيفة الفولكلور كعامل من عوامل تماسك الوحدة الوطنية •

٦ — الوظيفة التربوية للفولكلور من خلال العادات والتقاليد وانتقالها عبر الاجيال •

٧ — مقارنة المناطق الثقافية الرعوية في شرق افريقيا وفي الصومال من خلال الاعتماد على حيوان الرعى •

فروض البحث :

ويقوم البحث على اختبار الفروض التالية : —

— يكشف الفولكلور عن القيم الثقافية التي يعتنقها المجتمع من خلال المعتقدات والعادات والتقاليد ، كما يستخدم الادب الشعبي كوسائل للتعبير عن هذه القيم •

— للفولكلور وظائف متعددة يؤديها في المجتمع ، فبالإضافة الى الوظيفة الترفيهية وهي تسلية وامتناع الناس ، فهناك الوظيفة التعليمية ، فالامثال والاشعار تحتوى على حكمة عدد كبير من الاجيال • هذه بالإضافة الى الهدف الاخلاقي •

— أن حيوان الرعى الأكثر ملائمة للبيئة هو الذى يستحوذ على اهتمام الناس ، وبالتالي يحتل مكانة في قلوب الشعب ، ينعكس أثره واضحا في كل ما يصدر عنهم من سلوك وتصرفات •

— تؤكد فنون الادب الشعبي على استقرار واستمرار الثقافة وتعلم الصغار التقاليد والممارسات المقبولة اجتماعيا •

أما تقسيم وتصنيف موضوعات المادة الفولكلورية (*) فقد تطابقت آراء العلماء فيها ، وأن اختلفت في ترتيبها وأهميتها • وأهم التصنيفات هي : —

(أ) تصنيف دوروسون :

- ١ — ميدان الادب الشفاهي •
- ٢ — الحياة الشعبية أو الثقافة المادية •
- ٣ — العادات الاجتماعية الشعبية (ويضمنها المعتقدات الشعبية) •
- ٤ — فنون الاداء الشعبى (الموسيقى الشعبية ، الرقص ، الدراما) •

(ب) تصنيف بويكارت ولاوفر :

- ١ — المعتقدات الشعبية •
- ٢ — العادات والتقاليد •
- ٣ — التراث القصصى الشعبى •
- ٤ — الحكاية الخرافية •

(ج) تصنيف الدكتور الجوهري :

- ١ — المعتقدات والمعارف الشعبية •
- ٢ — العادات والتقاليد الشعبية •
- ٣ — الادب الشعبى •
- ٤ — الثقافة المادية والفنون الشعبية •

(*) انظر مرضا شاملا لهذه التصنيفات في :

محمد الجوهري : علم الفولكلور ، ج ١ ، الطبعة الرابعة — دار المعارف — القاهرة ١٩٨١ — صفحات من ٨٧ — ١٣٤ •

وسوف نسير في دراستنا على التصنيف الاخير مقتصرين على العناصر الثلاثة الاولى ، على أن نستكمل العنصر الرابع وهو الثقافة المادية والفنون الشعبية في دراسة قادمة بمشيئة الله في المستقبل القريب .

أولا : المعتقدات والمعارف الشعبية

هي المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجى والعالم فوق الطبيعى ، وقد تكون معتقدات قد نبعت من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الالهام ، أو أنها كانت أصلا معتقدات دينية اسلامية أو مسيحية أو غير ذلك ، ثم تحولت في صدور الناس الى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث الكامن على مدى الاجيال ، فلم تعد معتقدات دينية رسمية بالمعنى الصحيح ، ... وهى لا تلقن من الآخرين ولكنها تختمر في صدور اصحابها وتتشكل بصورة مبالغ فيها احيانا حيث يلعب الخيال الفردى دوره ليعطيها طابعا خاصا ، وهى مع تمكنها في اعماق النفس الانسانية موجودة في كل مكان سواء عند الريفيين أو الحضريين وفي كل طبقات المجتمع (١) .

وتتميز موضوعات المعتقدات والمعارف الشعبية بوجود آثار وبقايا الثقافات القديمة بينياتهما الاجتماعية والاقتصادية المبكرة (كالمجتمع الاقطاعى أو القبلى) فلن تجد وجها للحياة أو للنشاط في المجتمع الانسانى لا يعكس بدرجة أو بأخرى خبرة المراحل الماضية للحضارة الانسانية ، ولا أساس لان تجعل من الفولكلور ميدانا منفصلا من ميادين المعرفة بناء على هذه الخاصية وحدها . حيث يمكن أن نلاحظ البقايا في النواحي المادية للثقافة مثلما تلاحظ في العادات والتقاليد والآراء الشائعة واللغة والفن ، وباختصار في نواحي الحياة الاجتماعية .

(١) محمد الجوهري : علم الفولكلور ، الجزء الاول ، دار المعارف - الطبعة الرابعة - اقلقاهرة ١٩٨١ ، ص ١٠٠ .

ولذلك فاننا نتفق مع سوكولوف عالم الفولكلور الروسى الذى يرى أن الفولكلور ليس صدى للماضى فحسب ، ولكنه فى نفس الوقت - صوت الحاضر المدوى - اننا لو اخضعنا الفولكلور لفكرة الماضى الحى (التى شاعت حيننا تحت تأثير النزعة المثالية الرومانسية) فسيعنى ذلك وجوب تجاوز الدور الذى يقوم به الفولكلور فى الوقت الحاضر ، فضلا عن أنه لن يصور لنا بوضوح وظيفته الاجتماعية (١) .

وتتنوع موضوعات المعتقدات والمعارف الشعبية تنوعا كبيرا ، ولقد اتفق العلماء على أن أهم هذه الموضوعات هى : الأولياء - الكائنات فوق العنصرية - السحر - الطب الشعبى - الاحلام - حول الجسم الانسانى - حول الحيوان - النباتات - الاحجار والمعادن - الاماكن - الزمن - الاوائل والواخر - الاتجاهات - الألوان - الاعداد - الانطولوجيا - الروح - الطهارة (٢) .

ولا يمكن لباحث أن يجمع كل هذه الموضوعات فى مبحث واحد . وسنقتصر على دراسة بعض هذه الموضوعات بما يتفق مع موضوعنا .

١ - المعتقدات والدين الاسلامى :

تتصل المعتقدات والمعارف الشعبية فى الصومال اتصالا وثيقا بالدين الاسلامى وتعاليمه من جانب وبالثقافة العربية من جانب آخر ، ولقد دخل الدين الاسلامى بلاد الصومال عبر البحر الاحمر منذ القرن الاول الهجرى واعتنقه السكان عن ايمان ورغبة وليس عن طريق القتال أو الرهبة . وقد أدى انتشار الاسلام فى الصومال كعقيدة وثقافة الى توحيد الشعب الصومالى فى أمة واحدة مع تعدد قبائله . ومع أن اللغة الصومالية الكوشية الاصل قد بقيت كلغة رسمية ، الا أن كل الكتابات

(١) يورى سوكولوف : الفولكلور « قضاياها وتاريخه » ترجمة حلمى شعراوى ، عبد الحميد حواس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧١ ، ص ٢٧ .

(٢) محمد الجوهري : علم الفولكلور - الجزء الثانى - الطبعة الاولى - دار المعارف القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٣٧ .

تؤكد على تمسك شعب الصومال بالتعاليم والمبادئ الإسلامية والتشدد في تطبيقها على مذهب الامام الشافعي •

ويحتفل الاهالى بالاعياد والمواسم الدينية بحماس واضح ويقيمون الولايم لاهياء المناسبات الدينية في كل أرجاء الصومال • وهكذا انتشرت الثقافة العربية الإسلامية بين ربوعه وظلت مزدهرة حتى الآن ، رغم وقوع الصومال تحت وطأة الاستعمار الإوروبى لثلاث دول مختلفة اللغة والثقافة هي فرنسا وإيطاليا وبريطانيا ، التي حاولت كل منها بثتى الطرق طمس الثقافة واللغة الصومالية والقضاء على المعتقدات والمعارف الشعبية فى البلاد ، ولم يتأثر بهذه الغزوة الثقافية الا بعض سكان المدن والحضر ، بينما ظل سكان البادية (نحو ٨٠٪ من السكان يمارسون حياتهم الرعوية المعتمدة على رعى الجمال أساسا بنفس الطريقة التي كان عليها أجدادهم • وبذلك احتفظ التراث الشعبى الصومالى بطابعة المميز •

٢ - الطرق الصوفية :

يواظب الصوماليون على أداء شعائر الدين الإسلامى ويطبقون تعاليمه فى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية • وتبدو النزعة الدينية واضحة عند أفراد الشعب وتبلغ نسبة المسلمين الصوماليين نحو ٩٩٪ من مجموع السكان ، ومن المظاهر الواضحة عند الصوماليين المواظبة على أداء الصلوات جماعة فى المساجد فى بساطة ودون أبهة وبدع •

وقد ساعد على انتشار الإسلام فى انحاء الصومال الجهود التي قامت بها الطرق الصوفية ويكاد يندرج تحت لوائها جميع أفراد الشعب الصومالى وبصفة خاصة الرعاة فى الشمال • ولهذه الطرق الصوفية آدابها وأورادها التي يعتنقها الاتباع بكل إيمان ، كما تقام للأولياء المشايخ الذين أسسوها الموالد والاحتفالات فى طول البلاد وعرضها

وتتسم الموالد الدينية للاولياء بتلاوة القصائد والاشعار فى مدح آل البيت والائمة الصالحين ، ويلتف المريدون والاتباع حول حلقات الذكر التى تقام فى مختلف المناسبات •

وكما كانت للتنظيمات الدينية من خلال الطرق الصوفية الدور البارز فى انتشار الاسلام ، فقد كانت هذه التنظيمات من العوامل القوية التى أدت الى صمود الشعب الصومالى المسلم فى وجه المحاولات المتعددة للمستعمرين والمبشرين ، كما قامت العديد من المراكز الدينية والمساجد التى تدرس فيها العلوم الاسلامية فى طول البلاد وعرضها •

وأهم الطرق الصوفية (١) هى :

(أ) الطرق القادرية :

وهى أول طريقة صوفية دخلت الى الصومال على يد مؤسسها عبد القادر الجيلانى (١٠٧٧ - ١١٦٦ م) الذى دفن فى بغداد • وسار على نهجه أتباعه ومريدوه فنشروا الطريقة داخل البلاد ، ومنهم الشيخ ابراهيم جبرو ، كما أن انشأ الشيخ عويس بن محمد البراوى زاوية ومسجدا لها فى جوبا العليا فى قرية تسمى « تو جحله » حيث يقام مولده فى احتفال كبير يستمر لمدة ثلاثة أيام • ومن مشايخ الطريقة أيضا الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشاشى فى مقديشيو ، والشيخ عبد الله يوسف القلقوتى الذى قام بنشر الطريقة فى شمال الصومال فى مديرية مجرتين •

(ب) الطريقة الاحمدية :

وقد أسسها الشيخ « سيد أحمد بن ادريس الفاسى » المدفون فى بلدة عسير باليمن • وقد نشرها فى الصومال الشيخ على ميه درجبا ، وهو صومالى اكتسب شهرة عريضة وذاع صيته وعرف بصلاحه وتقواه • وتوفى فى مركة حيث دفن فيها وأقيم له ضريح هناك •

(١) عبد النعم عبد الحلیم : صوماليا ، مكتبة الشرق بالفجالة - القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٢٠٥ وما بعدها .

(ج) الطريقة الصالحة :

نسبة الى الشيخ « محمد بن صالح » • وبعد وفاته قام بنشر طريقته في الصومال الشيخ « محمد جوليدي » أحد تلاميذه ، وكان الشيخ صالح قد عينه خليفة للطريقة في الصومال •

وهناك طرق صوفية أخرى أقل شهرة ومكانة ، مما يبين أن الطرق الصوفية قد شملت كل أجزاء الصومال وأن مشايخها بعد وفاتهم يحتلون مكانة عالية في نفوس الشعب بصفاتهم من الأولياء الصالحين •

٣ - الأولياء :

وبما أن الظروف الطبيعية من رياح وأمطار وغيرها ، تلعب دورا بارزا في حياة الصوماليين ، فلا بد أن يوجد في المعتقدات ما يعكس قلق الناس وشعورهم بخطورة الظواهر الطبيعية ، وضرورة تواجد من يستطيع أن يمنع أو يدفع أو يقلل من تلك الاخطار المهددة بهم ، وقد يكون هذا الشخص في صورة ولي أو تقى يعيشوا في حمايته وينتفعوا ببركته ، وهذا ما يرويه المعتقد الآتي :

يعتقد الصوماليون أن الولي الشيخ عويس القرني - وله مقام على شاطئ مقديشيو - يمنع طغيان البحر عن المدينة ، كما يعتقدون أنه يمنع أيضا هبوب الرياح الشديدة التي يعتبرونها علامة على قلة الامطار • وفي بداية موسم المطر من كل عام يذهب الصوماليون الى مكان وضريح الشيخ عويس وينحرون الذبائح وهم يرددون المقطع الأخير من دعاء الاستسقاء « استغفروا ربكم أنه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا » ثم يخرجون في جماعات ويطوفون بشوارع مقديشيو وهم يرددون هذا الدعاء •

ومن هذه المعتقدات التي تتصل بالجمل ما يروى في الاعتقاد المسمى « جشني » وهو ينتشر بين سكان وسط الصومال وجنوبها • اذ ينظر السكان الى كومة من التلال بها احجار معينة على أنها مقدسة ويقولون

بأن هذه التلال هي أماكن هبوط الأولياء ، اذ أنه عندما حانت وفاة الولي « أوماد » أو « الشيخ محمد » وضع فوق جملة وسار الجمل حتى توقف عند هذه التلال ، ويعتقدون أن الجمل الذي كان يحمل جثمان الولي توقف عندما حان وقت الصلاة عليه ، ولم يستأنف الجمل سيره الا بعد أدى الاتباع الصلاة عليه .

واعتاد الناس كلما مروا على هذه التلال اضافة حجر ، وقد تنحرو الذبائح تقربا للولي . وينسب الى الولي « أوماد » أنه يختص بحماية المحاصيل الزراعية ، اذ يستعين الزراع به لدفع خطر الطيور عن المحاصيل ، وذلك بأن يجمعوا حفنة من التراب من حول مقبرته وينثرونها في الحقول .

ويتضح من دراسة المعتقدات والمعارف الشعبية فيما يتصل بالأولياء والمشايع أن هناك مراتب أو طبقات . ولذلك تتفاوت منزلتهم عند الناس ، ويمكن تصنيفهم على النحو التالي : -

(أ) أولياء على المستوى القومى :

أى يحتفل بهم كل الشعب الصومالى ، وهؤلاء هم العلماء العرب الذين تركوا الجزيرة العربية في وقت مبكر ، وهاجروا الى الصومال وبذلوا جهودا ملحوظة في نشر الاسلام وتوجيه الناس الى تعاليمه السمحة ، ولذلك فقد جمعوا بين الدين والعلم في آن واحد ، وبعد حياتهم الحافلة بالاعمال الجلية دفنوا في الاراضى الصومالية ، وأقام الناس لهم الاضرحة التى يزورها الاهالى كل سنة في موعد وفاة الولي ، ومثال ذلك الشيخ « يوسف الكونين » التى تعد زيارة ضريحه من مظاهر الزيارات الشعبية السنوية في الصومال . ويضاف الى هؤلاء الأولياء أيضا ، أئمة الطرق الصوفية مثل الشيخ عبد القادر الجيلانى المدفون في بغداد .

(ب) أولياء على المستوى القبلى :

وهم الأجداد الأول للقبائل الصومالية الكبيرة ، الذين أسهموا في تأسيس القبائل الرئيسية ، وعلموا اتباعهم مبادئ الدين الحنيف ووضعوا القواعد والاعراف لتنظيم شئون الناس وارساء مبادئ العدل والتحكيم بين فروع القبيلة المختلفة ، لذلك أقام لهم أفراد القبيلة بعد وفاتهم أضرحة في أماكن استقرار هذه القبائل يزورها الناس كل سنة احتفاء بهم واحياء لذكراهم .

(ج) أولياء على مستوى العشيرة :

عندما يتولى أمر العشيرة أحد الأفراد المشهود لهم بالعدل والامام بشئون الدين وتطبيق أحكام الشريعة في مجالس الحكم ، فان أفراد عشيرته ينظرون اليه نظرة اجلال واحترام ، وبعد وفاته يرفعونه الى مرتبة الأولياء الصالحين . وتخليدا لذكراه يقيمون له ضريحا بالقرب من مكان العشيرة حيث يزورونه كل عام في احتفال مهيب .

٤ - التقويم وظاهرة التفاؤل :

يستخدم الصوماليون نوعين من التقويم احدهما شمسي والآخر قمرى . وفائدة التقويم الشمسي تحديد مواعيد الفصولين المطيرين وهما فصل الربيع أو جو Ju وفصل الخريف دايير Dayer ومعرفة هذا التقويم هام عند زراع الجنوب الذين يعتمدون عليه لتحديد بدء زراعاتهم . كما أنه هام لرعاة الشمال الذين يستعينون به لتنظيم هجراتهم وتحركاتهم نحو المراعى الجديدة .

وظاهرة التفاؤل والتشاؤم تتضح في تفضيل أيام بعينها يتفاعل بها الناس دون البعض الآخر .

وحيث أن التقويم القمرى يعتمد على منازل النجوم في السماء بالنسبة للقمر ، فان هذه المنازل تعكس اعتقاد الناس في الصومال لظاهرتى التفاؤل والتشاؤم ، وعلى عكس انتشار الظاهرة عالميا بالتشاؤم من الرقم ١٣ ، فان المنزل الثالث عشر ويسمى « العواء » يعتبر من

حسن الطالع عن سكان مجرتين الذى يسمونه « در رضى » وكذلك عند سكان منطقة الـاوجادين ويسمونه « ناسو جيلى » • أى صدر الجمل كما يتفاعل به سكان بنادر ويسمونه « كوجدن » • أما المنزل السادس فى فصل جو يسمى « جج مدو » أى جج الاسود ويعد شؤما (١) •

ومن مظاهر التفاؤل والتشاؤم تجنب الزواج فى شهور معينة ، ويستعين الناس برجال الدين لعمل الاستخارة عن طريق المسابح لتحديد أى الأوقات تعد فألا أو شؤما بالنسبة لهم عندما يعتزمون إبرام أمر من الأمور أو يقدمون على أى عمل كالزواج أو السفر •

وهناك علاقة وثيقة بين البيئة أو النشاط الاقتصادى الممارس وبين ظواهر كالتطير أو الفأل الحسن أو السيء • فحيث أن الناس فى شمال الصومال تعمل أساسا بالرعى وبخاصة رعى الجمال فإن اللبن يعد من الاطعمة المقدسة أو المفضلة ، ويقال أن سلطان مجرتين فى الماضى كانت مراسم توليته تتضمن صب اللبن فوق رأسه لأكسابه الصبغة المقدسة التى تتناسب مع منصبه • أما فى الجنوب حيث تسود الزراعة فلا ينظر للبن هذه النظرة • ولكن كانت بعض القبائل فى الجنوب التى تمارس الزراعة تثر التراب عند تنصيب الزعيم أو الحاكم ، باعتبار التراب من التربة الزراعية وهى مصدر الخير والنماء والرزق •

واستطرادا لدور البيئة فى تشكيل المادة الفولكلورية فيما يتصل بالمعتقدات والمعارف الشعبية نود الإشارة الى ظهور « الزار » — يسمى فى الصومال « سار » — فى كل من مصر الزراعية وجنوب الصومال الزراعى ، ولا تختلف طقوس الزار فى الشكل والمضمون والوظيفة فى كل من مصر والصومال الا قليلا ، بل يوجد أيضا فى السودان وبلدان أخرى •

وطبقا لنظرية الانتشار الثقافى ، فانه من المحتمل أن يكون قد وجد فى مركز معين ومنه انتقل الى بقية المراكز والبلدان • وتقول بعض

(١) نفس المرجع ، ص ٤٤ •

الكتابات (١) أن الزار معبود وثنى قديم تحول في المسيحية والاسلام الى روح شريرة ، ويرجع الزار في منشئة الى قبائل الأجاو الحامية التي تسكن اريتريا ، وقبل انتشار الاسلام بينهم كانوا يسمونه جار « وهم اسم اله السماء عندهم » ، ومن هؤلاء الاجاو انتقل الزار الى الاحباش الذين سموه « زار » بلغتهم الامهرية وعن الاحباش أخذه الجالا الذين ادخلوه الى الصومال •

وتذكر دائرة المعارف الاسلامية أن الزار انتقل الى الحجاز على يد العبيد الاحباش ابان تجارة الرقيق ، ودخل مصر في القرن التاسع عشر ويرجح أنه نقل اليها من السودان •

وبذلك تصدق المبادئ النظرية التي صاغها عالم الفولكلور الدكتور محمد الجوهري - والتي وردت في مقدمة هذا الفصل - من أن المعتقدات والمعارف الشعبية كانت أصلا معتقدات وثنية ومرت عبر العصر الاسلامي والمسيحي قبل أن تتحول في صدور الناس الى اشكام أخرى جديدة بفعل التراث الكامن على مدى الاجيال •

وتجرى طقوس الزار في الصومال عادة داخل بيت الضحية (من تدعى أن عليها أسياد) بعد أن يفرش بفاخر الرياش والابسطة ، وتقفل النوافذ بأحكام لابعاد « الهواء الخبيث » أو أعين الذكور حيث تتصاعد أعمدة هائلة من دخان البخور في كل أركان الغرفة المعتمدة الاضاءة ، ويختنق الكل الا المريدين الذين تعودوا على هذا الجو •

أما ضحية الزار فتجلس في منتصف الغرفة متدثرة يوشاح شفاف ، وشعرها يتساقط على وجهها وكتفها ويحيط بهار أفراد الكورس وقد يكون من الجنسين • فإذا افترض أن جسم الضحية يسكنه أحد الارواح وليكن « الواذ هوبيه » نترنم « العقلد » التي نترنم كل طقوس الزار كما يلي :

(١) نفس المرجع ، ص ٣٢٤ •

• واد هوييه يريد •

• نعجة بعلامة سوداء على رأسها •

• تمتد الى اسفل حتى اثرائها (قربانا للضحية) •

• وكوخا مريحا بستائر كثيفة •

• وديوالى من حرير (حزام مزركش على خصر السيدات) (١) •

ثانيا : العادات والتقاليد الشعبية

العادة — فيما يتصل بتعريفها — ظاهرة اساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية الانسانية ، هي حقيقة أصيلة من حقائق الوجود الاجتماعى نصادفها فى كل مجتمع وتؤدى الكثير من الوظائف الاجتماعية الهامة ، عند الشعوب البدائية ، كما عند الشعوب المتقدمة ، عند الشعوب فى حالة الاستقرار ، وفى حالات الانتقال والاضطراب والتحول ، وهى موجودة فى المجتمعات التقليدية التى يتمتع فيها التراث بقوة قاهرة و ارادة مطلقة ، كما انها استطاعت ان تحافظ على كيانها ووجودها فى ظل مجتمعاتها العلمانية المتطورة ، وابتكرت لذلك عديدا من الاشكال والصور الجديدة التى تناسب العصر (٢) •

أما اذا نظرنا الى المجالات التى تمارس فيها العادات ووظائفها ، فنجدها متعددة ومتنوعة أشد التنوع فهى تشمل العالم غير الانسانى وفوق الانسانى ، كما تشمل حياة الانسان نفسه البيولوجية والاجتماعية على السواء (الميلاد ، الموت ، الزواج ، العلاقات مع الجيران ، المجتمعات المحلية ، القرية ، والمدينة الخ) كما تشمل مجالات الزمن أو تعطى حدود الزمن (كالمناسبات المرتبطة بتتابع العام سواء

(١) وزارة الاعلام والارشاد القومى : الثقافة والفنون فى الصومال ، مقديشيو ١٩٧٤ ص ٢٠ •

(٢) محمد الجوهري : علم الفولكلور — الجزء الأول — ص ١٠٦ •

أكان تقويما شمسيا أو قمريا والمواسم وفترات الانتقال ، والاقوات
الحرجة ، والتاريخ والذكريات ... الخ . فاذا نظرنا الى وظائف العادات
في جملتها وجدنا صورة كاملة للحياة تعطى بهاءها وتضفى عليها شرعيتها
ومعناها (١) .

وهناك ثلاث مجالات رئيسية يمكن ان تدور حولها العادات والتقاليد
الشعبية عند أى شعب من الشعوب وهى عادات تتصل بدورة حياة الفرد
وعادات تتصل بالاعیاد والمناسبات وعادات وتقاليد ترتبط بمركز الفرد
في المجتمع . وسنحاول ان نطبق هذه المجالات على المجتمع الصومالى
مع ابراز دور الجمال فى كل منها .

تشمل الجمال حيزا كبيرا فى مجال العادات والتقاليد الصومالية ،
وترتبط بدورة حياة الفرد كلها من الميلاد حتى الوفاة .

١ - عادات الميلاد والتسمية :

يعد ميلاد الطفل مناسبة هامة يحتفل بها الأهالى وبصفة خاصة اذا
كان المولود ذكرا . فتطلق الزغاريد وتنشد الاغانى وتقام حلبات
الرقص . كما يتفاؤل الصوماليون بولادة الاطفال التوائم ويعتبرونها
حدثا غير عاديا يدعو الى البشر والسرور والفال الحسن .

ومن العادات المتصلة بواقعة الميلاد ، انه عندما يولد الطفل تقوم
النساء بربط حبله السرى ببعض من ذيل احدى اناث الحيوانات الحلوبة،
وغالبا ماتكون ناقة حلوبة ، فاذا لم يتيسر فبقرة أو ماعز ، ويخصص
الحيوان الحلوب الذى أخذ الشعر من ذيلة لامداد الطفل باللبن اذا لم يكن
لبن الأم كافيا . ومن العادات المتصلة بالتسمية ان أسم المولود له دلالة
عقائدية كبيرة لدى الاسرة ولا يطلق الاسم بمجرد الميلاد ولا ينفرد بالتسمية
الام أو الاب ولكن لابد من استشارة أحد رجال الدين فى تسمية المولود

(١) نفس المرجع ، ص ص ١١٠ - ١١١ .

ويقوم رجل الدين باداء بعض الطقوس والممارسات التى من شأنها التعرف على مدى التوافق بين التسمية المختارة والظروف العامة • ويلجأ الناس الى مثل هذه الاستشارة الدينية للتفاؤل وجلب الحظ السعيد للمولود وأسرته ووسيلة لنوال البركة بصفة هذا الشيخ اعلم بأمور الدين منهم • وهنا تظهر أيضا مدى تأثر العبادات والتقاليد فى الصومال بالناحية الدينية الاسلامية ومدى احترام الاهالى لرجال الدين •

وبعد اختيار اسم المولود يقام احتفال يحضره الاقارب والجيران حيث تذبح الذبائح ابتهاجا بهذه المناسبة • كما تقدم للمولود بعض الهدايا ، وفى بعض الاحيان يقدم للطفل جمل صغير كهدية ، ينضم الى قطيع الاسرة ، عندما يكبر الطفل يعرف بأن هذا الجمل جملك ، يقال ان من هذه الهدية قد يكون المرء قطيعا كاملا يتعهده بالرعاية والعناية داخل قطيع الاسرة ، حتى ينفصل الشاب بقطيعة عندما يتزوج •

وتعد تربية الاطفال من الواجبات الهامة التى يعطيها الوالدان عناية خاصة ، وخلال طفولتهم قد تعجز الام عن ارضاع طفلها فى عامه الاول أو أقل بسبب عدم كفاية اللبن المتاح للصغير أو اذا كانت الام مريضة مثلا • • ومثل هذا الطفل يمكن أن يعيش لو تناول لبن الحيوانات بدلا من لبن الام • وفى مثل هذه السن الحرجة فان أفضل لبن للطفل هو لبن الجمال لان الحيوانات الاخرى لا يمكن الاعتماد على لبنها فى أى وقت ، وهذه الحالة تصورها اغنية العمل التالية : —

أيها الطفل السائر على أربع
الذى لا يعرف الا والديه
أن الجمل هو الذى يربيك (١)

Abokor, A. Cali : The Camel in Somali Oral Tradition, (١)
Scandinivian Institut of African Studies, UPPSALA, 1987, P. 6.

ومن هذا الوقت المبكر في الطفولة تنبش العلاقة بين الاطفال والحيوانات الرعوية ، وتتولد لدى الطفل الصومالي نزعة عاطفية نحو الجمال تستمر معه طوال حياته ، ومن هنا تتولد المشاعر والاحاسيس التي نراها واضحة لدى الشعب الصومالي لتعكس مدى حبه واعترازه بالجمال ، يعبر عن هذا الحب وتلك العاطفة شعرا أو نثرا أو اغنية أو أى شكل آخر من أشكال التعبير •

٢ - التنشئة الاجتماعية ومعسكرات الجمال :

عندما يصل عمر الاطفال الى نحو ٩ أو ١٠ سنوات فانه يتم الفصل بين الجنسين في المبيت والعمل ، فتنضم البنات لجماعة النساء للمساعدة في رعى الغنم والماعز وتعليم شئون البيت والعناية بالاطفال ، بينما يرسل الفتيان مع اخوانهم وأبناء عموماتهم للانضمام الى شباب الرعاة في معسكرات الجمال •

ويتألف المعسكر من مكان متسع في الصحراء ويحيط به سور خارجي من الشوك الغليظ بهدف حماية الجمال من الحيوانات المفترسة • وداخل هذا السور المحمي تبني فواصل لمبيت القطيع ، ويقسم المعسكر بعدد الرعاة المشتركين فيه ، وفي وسط المعسكر يخلى مكان نظيف لينام الرعاة ، وقد يضم المعسكر الواحد خمسة أو ستة قطعان من الجمال ، ويتألف كل قطيع من حوالي ١٠٠ جمل •

وعادة يكون الرعاة المشتركين في معسكر واحد من الاقارب العاصيين ذوى النسب الابوى حتى يتعاونوا كجماعة قرابية في رعى وسقاية جمالهم ، وهذا يعكس الطابع العاصب لوجدات رعى الجمال ويرتبط تقليديا بدور الجمال في المجتمع الصومالي • فمع أن كل فرد من شباب الرعاة - المشتركين في المعسكر - يمتلك القطيع الذي يرعاه ملكية فردية ، الا أن البدنة تنتظر الى ابل أعضائها كملكية جماعية •

ويتعلم الفتيان في معسكرات الجمال بعيدا عن أحضان الوالدين كل مبادئ الحياة الرعوية وما تتطلبه من الصبر والجلد ، ففي هذه

المعسكرات تتميز الحياة بأنها قاسية وجافة ، ولا يقدر عليها الا الشبان
الاقوياء ، وحيث أن هذه المعسكرات تقام بعيدا عن المساكن ، فان الجمال
تكون في رعاية وحوزة شباب الرعاة غير المتزوجين ، وقلما يخرج الرجل
المتزوج معهم الا في أحوال نادرة .

ولبن الجمال يكاد يكون هو الطعام والشراب الوحيد المتاح دائما لكل
سكان المعسكر ويعتمدون عليه بشكل مطلق اذ نادرا ما يوجد ماء للشرب .
وفي الفصول الجافة عندما يشح اللبن بسبب قلة عدد الجمال الحلوبة
فان القاعدة المتعارف عليها هي أن يقسم اللبن المتاح على كل الرعاة
في المعسكر ، بعض النظر عن كمية اللبن المحلوب من قطيع شخص بعينه .
وعادة يشرب صغار الرعاة وجه اناء اللبن أولا بصفقتهم في مرحلة التكوين
الجسمي .

وتتجسد معانى التكافل والتضامن الاخوى جماعة المعسكر لمعيشتهم
معا حياة مشتركة في السراء والضراء ، وتتجلى مظاهر هذه الوحدة
الرعوية في أوقات الشدة عندما يعم القحط وتندر المياه وتقل المراعى ،
حينئذ ينتقل الرعاة دائما من والى الآبار لسقي جمالهم تعلوهم الاثربة
ويشرد ذهنهم وليس لهم أكواخ أو مأوى تحميهم من قسوة الطبيعة .
ومما يعزز مشاعر الاخوة بين شباب الرعاة كبارا وصغارا في حياة
المعسكر ، أنهم جميعا ينامون على فراش واحد مصنوع من الحشائش
ويقع وسط المعسكر حيث يحرسون الجمال ويتسامرون ، ولذلك فهم
يدعون « رفاق الحصيرة Ordaa Waddag » وذلك تعبيرا عن وحدة
جماعة المعسكر التى هي انعكاس لوحدة البدنة .

ولكن رغم هذه الوحدة فان كل شاب يهتم بقطيعه من الجمال ،
وعلى ذلك فهم يجمعون بين التضامن الاقتصادي الجماعى والاهتمام
في الوقت نفسه بمصالحهم الشخصية .

ولذلك يضرب المثل الصومالى الآتى :

« ان الجمال مشاعة بين الرعاة ولكن لكل منهم قطيع منفصل » (١) •

٣ - عادات وتقالييد الزواج :

لكل مجتمع عاداته وتقاليده فى الزواج تتفق مع الظروف الاجتماعية والثقافية • ويمكن القول أن عادات الزواج تعكس الى حد كبير معايير وقيم المجتمع بما تتطلبه من شروط وما تضعه من اجراءات عند تكوين الاسرة • ولذلك فهى تزخر بقدر هائل من الميراث الثقافى الذى تكون جيلا بعد جيل ورسم الممارسات والاجراءات التى تتبع منذ التفكير فى الزواج حتى انجاب الاطفال •

ويتجمع أفراد المجتمع خلال الحركة الرعوية القصيرة حول المقرات السكنية (الحالات) ، ويحدث هذا فى فصل الربيع حيث تتاح الفرصة للاختلاط الشبان والشابات بعد الانتهاء من الاعمال اليومية المعتادة ، وفى المساء يتسامر الشباب من الجنسين ويمرحون ويغنون ويشتركون معا فى حلقات رقص جماعية ، كما يتفاخرون فى أغانيهم بثروتهم الكبيرة من القطيع وانتسابهم الى بدنات قوية ، ومثل هذه اللقاءات الجماعية تمكن الفتى من اختيار الفتاة التى يريد أن يتزوجها ، فاذا استقر رأيه عليها من حيث الشكل فهناك معايير أخرى توضع فى الاعتبار قبل المضي قدما فى اجراءات الخطبة ، مثل مركز أهل الفتاة الاجتماعى ومقدار ثروتهم وغير ذلك من الاعتبارات التى يقررها كبار العائلة ، اذ أن اختبار القرين ليس قرار الفرد وحده ، فالوالدان والاقارب وبخاصة الاقارب العاصبون يمارسون اشرافا على كافة الامور المتعلقة بالزواج وتكوين الاسر الجديدة ، لان الزواج لا يربط الزوجين فقط ، ولكنه يؤسس علاقة جديدة وهامة بين البدنتين المتصاهرتين ينعكس أثرها — كما سيتبين فيما بعد — فى كل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية •

(١). Lewis, I.M. : Pastoral Democracy, Op. Cit., P. 74.

وتبدأ اجراءات الخطبة بأن يقوم أحد كبار عائلة الفتى بالاتصال بأهل الفتاة كخطوة أولية للتعارف وإبداء الرغبة في المصاهرة بين العائلتين ، فإذا قبل طلب الزواج ، يناقش الطرفان اجراءات الخطبة ومدفوعات الزواج وفي مقدمتها هدية الخطبة « جباتى Gabbaati » وتُدفع عادة من القطيع في المناطق الرعوية أو نقدا في المراكز الحضرية . وبعد تقديم هذه الهدية تعلن الخطبة على الناس ويمتنع أهل الفتاة عن قبول عروص زواج أخرى لابنتهم والا دفعوا تعويضا لأهل العريس . كذلك يفقد العريس مدفوعات الخطبة إذا تأخر عن اتمام باقى اجراءات الزواج في المواعيد المتفق عليها بين الطرفين .

ويعرف المهر في الصومال باسم « ياراد Yarad » ويتكون من مدفوعات وهدايا الخطبة التي يقدمها أهل العريس وما يتلواها من هدايا ومدفوعات تشكل في مجموعها مهر العروس . وعادة يتوقف مقدار المهر المدفوع على درجة ثراء العريس وعائلته ، وتمثل الجمال أعلى قيمة اجتماعية تدفع كمهر وكلما زاد عدد الجمال في هذا المهر كلما زاد مقدار الاحترام الذى يلقاه الشخص المقبل على الزواج من أصهاره ، كما ترتفع أيضا منزلة العروس التي يدفع لها مهرا أكبر من الجمال . ورغم أن المهر يشمل أيضا عددا من الماعز والغنم إلا أن الجمال تعد هى العنصر الهام في مكونات المهر ، وحول عددها وأنواعها يدور النقاش والجدل بين العائلتين المتصاهرتين حتى يصلوا الى اتفاق يرضى الطرفين .

وبجانب المهر المتفق عليه ، يساهم أهل الفتاة بمدفوعات أخرى تسمى « ديباد Dibbad » وهى عبارة عن هدايا للعروسين من أهل الزوجة وتشمل الجمال الحلوبة وجمال الحمل كما تضم أيضا مقومات المعيشة الرعوية المستقلة (عش الزوجية) مثل الحصير والجلود وكل اجراء الكوخ المتنقل ومفروشات من الداخل بالإضافة أيضا الى عدد من الغنم والماعز . وما لم يكن الفتى مستقلا من الناحية الاقتصادية فإن الجزء الأكبر من المهر يساهم به والده بالإضافة الى قطيع الفتى .

نفسه الذى نماء من نسل قطيع صغير اهدى اليه عند الميلاد •
أما المساهمات الاخرى فى المهر فيساهم بها أقاربه العاصبين وأيضا
أقاربه المصاهرين فان المهر المدفوع لها يضاف الى قطيع والدها ، وجزء
صغير منه يوزع على نفس مجموعة الاقارب الذين يساهمون فى مهر
شباب العائلة (١) •

والهدف الرئيسى من هذه الهدايا هو امداد الزوجين بمستلزمات
منزل الزوجية ، وعدد كاف من الغنم والماعز والجمال لتأسيس وحدة
رعوية مستقلة سرعان ما تنمو لتصبح قطيع كبير يمكن الاسرة من القيام
بالفرائض وواجباته نحو أقاربه الذين ساهموا فى مهره وهكذا تمضى
الحياة الرعوية بين أخذ وعطاء • ولذلك فان منزل الزوجية ومتعلقاته
هو هدية من أهل الزوجة لصهرهم الجديدة • وتتم احتفالات الزفاف
عند أهل العروس وعلى نفقتهم ويمكث العروسان بضعة أشهر أو حتى
انجاب الطفل الاول قبل أن تنتقل الزوجة وبيتها الجديد وقطيعها الى
الاقامة عند أهل الزوج فيما يعرف بالاقامة الوالدية •

ولما كانت النظم الاجتماعية — فى أى مجتمع من المجتمعات — تتبع
من الخصائص البنائية للمجتمع الذى توجد فيه ، فان نظام الزواج
يوظف لحفظ وتماسك المجتمع الصومالى ويتوافق مع الثقافة الرعوية
السائدة • ويمكن التعرف على نمط الزواج المفضل والوظائف الاجتماعية
التي يحققها من خلال تحليل العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية
والحياة الرعوية •

يقوم التنظيم الاجتماعى للقبائل الصومالية على أساس توزيع
الاراضى الرعوية على العشائر والبدنات داخل اقليم القبيلة ككل •
أى أن هناك تناظر بين الاراضى الرعوية والوحدات القرابة العاصبة

(١) Lewis, I.M. : The Northern Pastoral Somali of the Horn
in Gibbs, J. (People of Africa Holt, R. and Winston N.Y. 1965, P. 340.

في كل إقليم وعلى عكس كثير من المجتمعات العربية يسود المجتمع الصومالي نمط الزواج الاغتصابي أو الاكسوجامي ، وهو يقضى بأن يتزوج الفرد من خارج العشيرة أو حتى القبيلة . حيث لا يفضل أفراد المجتمع الزواج من أبناء أو بنات العممة أو الخؤولة المتوازية Parallel-Cousin Marriage أو المتقاطعة Cross-Cousin Marriage لا يفضلون الزواج من داخل العشيرة أو القبيلة وهو ما يعرف بالزواج الداخلي أو الإندوجامي . ويرى الناس أن الزواج الإكسوجامي كنمط مفضل في المجتمع الرعوي يحقق عدة وظائف سياسية واقتصادية واجتماعية .

فمن الناحية السياسية يؤدي التصاهر بين قبيلتين الى تحالفهما ضد الاعداء الخارجيين ، كما يقلل من حدة الصراع والتنازع على أراضي المراعى ، وهذا في حد ذاته يوفر الحماية والامن لأفراد العائلات والقبائل خلال غياب أعضائها الرعاة عندما يرحلون بعيدا عن أوطانهم بحثا عن المراعى الخضراء ، أو الموارد المائية . ومن مجموع القبائل المتصاهرة عن طريق الزواج الاكسوجامي تتكون جبهة سياسية متحدة تضم مئات بل آلاف الافراد في اقليم أو منطقة معينة يمكنها أن تقوم بدور فعال في الضبط الاجتماعي وهو ما لا تستطيع أن تقوم به عائلة بمفردها أو حتى قبيلة بعينها .

ومن الناحية الاقتصادية يعد التصاهر بين قبيلتين امتدادا للإراضى والمراعى التى يملكها كل منهما ، وتبدو أهمية هذه الوظيفة الاجتماعية في البيئات الرعوية أكثر منها في أى بيئة أخرى . ذلك أنه إذا حدث جفاف أو قحط في منطقة معينة فلا بد أن يرحل سكانها خارج هذه المنطقة الى منطقة أخرى ، فإذا كان الفرد متزوجا من نفس قبيلته المقيمة في نفس المكان فلن يجد أصهارا يلجأ اليهم ، أما إذا كان متزوجا من قبيلة أخرى بعيدة فإنه يجد أمامه فرصة أفضل للنجاة بقطيع إبله ومواشيه خارج أرض قبيلته التى أصابها الجفاف أو قلت بها الأمطار ،

وأول الأماكن التي يفكر في الرحيل إليها هي أرض أصهاره ، وعلى هؤلاء الأقارب بالمصاهرة أن يستقبلوه وأفراد عائلته والا اعتبر ذلك عارا عليهم •

وعندما يصيب القحط أو يقل الطعام عند أحد الرعاة فكثيرا ما يرسل زوجته الى أهلها لكي تمده بالمساعدة والطعام اللازم وهذه عادة متبعة بين أفراد القبائل المتصاهرة ، بل أن أصهاره يغضبون منه اذا طلب المعونة من أحد غيرهم ، وهو بدوره سيقوم بنفس الدور عندما يطلب منه ذلك • وتعد هذه الوظيفة الاجتماعية في الزواج الاكسوجامي بمثابة تأمين اقتصادي ضد الكوارث والنكبات التي تصيب غالبا أعضاء المجتمعات الرعوية وتعرضهم للمجاعة والقحط بين الحين والآخر •

ومن الناحية الاجتماعية فإن رعاة الابل في الصومال قد نما لديهم الادراك بأن الزواج من داخل القبيلة يؤدي الى اضعاف النسل واصابته بكثير من الأمراض ، وقد لاحظ الراعي هذه الظاهرة بفطرته ومتابعته المستمرة للقطيع ، ولذلك نراه يختار لناقاته عند تلقيحها جملا قويا من قطيع آخر حتى يضمن نسلا صحيحا خاليا من الأمراض • كما أن أفراد المجتمع ينظرون الى أبناء وبنات العم والخال والعمة والخالة على أنهم أخوة وأخوات ولذلك لا يفضلون التزاوج بينهم ، ويعلمون هذا الاتجاه بأن الزواج من بنات العم لا يضيف دما جديدا الى العائلة، كما أن الزواج من داخل القبيلة له مخاطرة على العلاقات القرابية القائمة، فلو حدث خلاف بين الزوجين وأدى ذلك لوقوع الطلاق فقد يحدث تفكك في محيط القبيلة الواحدة يؤدي بدوره الى شقاق وخصام بين أعضائها مما يضعف من تماسكها ووحدتها في مواجهة الجماعات الاخرى المواجهة لها •

وحرصا من المجتمع على ابقاء العلاقات الاجتماعية بين القبيلتين المتظاهرتين اكسوجاميا قائمة ومستمرة في تحقيق الوظائف الأساسية لهذا الزواج ، فإن العلاقات الصهرية تستمر طوال حياة الزوج والزوجة

وحتى بعد وفاة أى منهما ، ولذلك يمارس المجتمع الصومالى ما يعرف
في الكتابات الانثربولوجية باسم الزواج الليفراتى Levirate Marriage
أو زواج الأرملة ، وأيضا الزواج السروراتى Sororate Marriage
أو الزواج من أخت الزوجة المتوفاة . ويقع على أهل
الزوج أن يبحثوا عن شخص قريب للزوج ويفضل أخو الزوج المتوفى
لكى يتزوج هذه الأرملة ويتكفل بها وبأولادها من زوجها الاول . والفكرة
الرئيسية التى يراها أهل الصومال فى ابقاء الأرملة فى كنف ورعاية أهل
الزوج هى أنها لو تزوجت من خارج القبيلة فقد يتربى أولادها فى
كنف قبيلة معادية . وعندما يكبرون قد يشتركون فى صراع أو نزاع
ضد قبيلتهم دون أن يدركوا ، لذلك يرى المجتمع أن أخوة الزوج المتوفى
أحق من غيرهم بهذه الأرملة التى تزوجت أحد رجالهم ودفع فيها مهرا
من الابل وغيرها من الماشية وهو ماساهم معظم أفراد البدنة فى دفعه
وجمعه .

ونفس الفكرة تنطبق أيضا فى الزواج السروراتى وهو امداد الزوج
بقريبة لزوجته المتوفاة ويفضل أختها حتى تربى الابناء وترث المسكن
وقطيع الغنم والماعر وبذلك تستمر العلاقات الاجتماعية بين العائلتين
المتصاهرتين رغم وفاة أحد أطراف الزواج . (١)

٤ — عادات الدفن والحداد :

تتفق عادات الدفن والحداد عند الصوماليين مع التعاليم الاسلامية
الشرعية ، وتتسم مراسم الوفاة بالبساطة والبعد عن المغالاة فى الحزن
والامساي ايماننا ورضاء بقضاء الله . وبعد اعلان الوفاة يتقبل أهل المتوفى
العزاء من الاقارب والاصدقاء فى هدوء ووقار ، كما يشيعة الى القبر
الحاضرون من الاهالى والجيران . وعند القبر يقرأ القرآن الكريم

(١) توفيق الحسينى عبده : البيئة ، الطعام ، الحياة الاجتماعية فى
الصومال ، الندوة الدولية للترن الإفريقى بمعهد الدراسات الإفريقية —
جامعة القاهرة — يناير ١٩٨٥ — ص ٩٥ .

وتوزع الصدقات من لحم الضحية على الحاضرين والقائمين بالدفن
ترحما على روح المتوفى .

فإذا كان المتوفى قد مات مقتولا وقبِلت أسرته الدية من الجمل .
فإن دفع الدية لا يبرأ ذمة أسرة القاتل ، إذ يجب عليهم لاتمام التراضي
أن يذبحوا ناقة عند قبره توزع على الحاضرين ، باعتبار الناقة هي
أثمن ما يقدم كضحية وفداء وتفكير عما ارتكبه قريبتهم من اعتداء
على شخص القتل . ولا يعادل الناقة في هذه الحالة أو الترضية أى
حيوانات أخرى مهما كان عددها . كما أن ذبح الناقة على القبر وإهدار
دمها تعدّ ترضية لروح القتل وأهله بأن دمه لم يذهب سدى ، بل كلف
أسرة قاتله أغلى شيء يمتلكونه بعد الرجال ، وبذلك يحدث التوازن
والتوازي بين اسرتى الجاني والمجنى عليه .

وكثير من الشعوب ترتدى أزياء معينة أو ذات لون أسود كعلاقة
على الحزن ، أما فى الصومال فإن ملابس الحداد تقتصر على الزوجة
وتكون هذه الملابس ذات لون أبيض . وتستمر فترة حداد الزوجة مدة
١٣٠ يوما ، فإذا لم تكن الزوجة قادرة على شراء ملابس الحداد
البياض فيكفى أن تربط رأسها بعصابة بيضاء .

وهناك بعض القيود والتحريمات على الزوجة طوال فترة الحداد ،
فلا يجب عليها أن تمشط شعرها الا يوم الجمعة ، وتبتعد تماما عن
مظاهر الزينة أو استعمالها فلا تستخدم العطور ، أو الدهون المعطرة ،
كما يجب عليها ألا تلمس الطعام بل تستخدم عند الأكل المعلقة الخشبية ،
وتتجنب أيضا أى مكان مجلس فيه الرجال .

٥ - تقاليد التحكيم (الحيز) :

ومن أهم التقاليد المتوارثة وبخاصة بين القبائل البدوية مجموعة
من الاعراف القبلية لها قوة القانون وتخضع لها جميع القبائل على
اختلافها وتقبل أحكامها ، ويطلق العرف القبلى المعروف باسم « الحيز »

في المنازعات التي تنشأ بين الجماعات أو القبائل مثل الحروب القبلية التي قد تنشأ نتيجة النزاع على المراعى أو موارد المياه أو الاخذ بالتأثر ودفع ديات القتلى وفي التعويض عن الأضرار الجسيمة والأدبية وفي المسائل الشخصية التي تتعلق بالحقوق والواجبات الزوجية وعند الطلاق أو وفاة أحد الزوجين •

ويلاحظ أن الجمال هي العملة الوحيدة المقبولة لتطبيق أحكام « الحير » التي يرتضيها الجانب المتضرر لفض النزاع والتصالح مع الطرف الآخر وانهاء الخصومة • ولكن يختلف عدد الجمال المدفوعة حيرا من مشكلة أخرى • ويعز هذا جزاءا رادعا لأن ما يؤلم المراعى أن يؤخذ ابله التي يعتبر بها وتغطى لشخص آخر • ولذلك فان دفع الديات بالجمال (مج) تجعل المرء يفكر كثيرا قبل أن يقدم على أى فعل أو جريمة من شأنها أن تفقده أغز وأغلى ممتلكاته ، مما يؤدي في النهاية إلى تحقيق الأمن واستتباب النظام في المجتمع •

ولزيادة تحقيق الضبط الاجتماعى فان من قواعد تطبيق الحير أن الشخص ليس مسئولا وحده عن جريمته ، بل يشاركه المسئولية ودفع الدية أيضا أقاربه العاصبون بصفقتهم مسئولون عن تصرفات قرييهم ، كما أن مقدار الدية قد يكون كبيرا بحيث يجرد الجانى من كل ما يملكه من جمال يعتمد عليها في معيشته ولذلك تتضامن الأسرة والقبيلة في جمع الجمال لدفعها كدية للمجنى عليه • وتتوزع نسبة الدفع بأن يدفع أفراد قبيلة القاتل ٢/٣ الدية ، بينما يدفع الثلث الباقي القاتل وأسرتة • الا أن مقدار الابل المدفوعة للدية يختلف من قبيلة لأخرى ، كما يختلف تبعا لمنزلة القتيل ومركزه الاجتماعى • وكقاعدة عامة تقدر الديات والتعويضات كالاتى : —

١٠٠ جملا للرجل البالغ •

٥٠ جملا للمرأة سواء أكانت حاملا أم لا •

٥٠ جملا للعين المفقودة أو اليد أو الرجل المقطوعة •

٢ جملا للسن المفقودة أو الاضرار المشابهة •

وتتم الترضية بين العائلتين بأن تذبح أسرة القاتل ناقة عند قبر القتيل وتوزع لحمها على الافراد الموجودين وقت الدفن وذلك في الشمال ، أما في في الجنوب فتذبح شاة ثم تقدم الدية على دفعات •

ويسمى لويس Lewis ، الاقارب المشاركون في دفع الدية بجماعة دفع الدية Dia Paying Group لأن هذه الجماعة التي تدفع اذا كانت من ناحية الجاني ، هي أيضا التي تأخذ اذا كانت من ناحية المجنى عليه ، لأن الدية لا تعطى كلها لأسرة القتيل ، بل لا يزيد النصيب المقرر لها عن عشرة من الابل ، وباقي الابل توزع على أفراد القبيلة •

ومع أن الحروب في القبيلة كادت تختفى بسبب جهود السلطات الحكومية في نشر الأمن وحفظ النظام في المجتمع ، وأيضاً بسبب زيادة وعي الناس وتخليهم عن العصبية القبلية التي كانت سائدة من قبل • إلا أن أحكام الحير لازالت واجبة التطبيق اذا دعت الحاجة اليها •

ويعرف العرف القبلي الصومالي « الحير » بين ثلاث مستويات من التشريعات والحقوق المترتبة عليها ، وهي تقريبا تقابل المتعارف عليه في التشريعات المدنية وهي : —

(أ) الجناية : القتل وجزاؤها « الدية » •

(ب) الجنحة : الاضرار البدنية وجزاؤها « الحق » •

(ج) المخالفة : كالاهانات الشتائم وجزاؤها « الحال » •

ويطبق في هذه الاعراف المبدأ القانوني بأن الجرم الأشد يجب الجرم الأقل شدة أي عدم تعدد العقوبة • ويقوم مجلس شيوخ

العشيرة أو القبيلة بتطبيق أحكام الحير وتقرير الدية أو التعويض المناسب .

وعادة يسود التآلف والتصالح جميع المتخاصمين وتعبيراً عن حسن النية وانتهاء المنازعات يتنازل صاحب التعويض عن نصف حقه تخفيفاً عن الجاني وإثباتاً للتراضى وإعادة الوثأم والمحبة بين الفريقين .

٦ - الأعياد والمواسم :

(أ) الأعياد الإسلامية :

يحتفل الصوماليين بالأعياد الدينية الإسلامية بنفس البساطة التي تسود حياتهم . ففي عيد الفطر يصنعون نوعاً من الفطائر يسمى « عنبولو » يتناولونها قبل ذهابهم لصلاة العيد وقد جرت عادة أهل الجنوب على شيء الذرة في هذا العيد وتقديمها للمحتاجين .

أما في عيد الأضحى فهم يذبحون الضحايا بعد الصلاة ويشترط في الضحية أن تكون سليمة القرون والآذان وفي بعض الجهات يفضل ذبح عنزة بيضاء . ويزور الصوماليون المقابر في الأعياد والمواسم ويحملون معهم الفطائر والشاي ويذبحون الضحايا على روح الموتى .

(ب) الأعياد الوطنية :

يحتفل الصوماليون بالأعياد الوطنية في كل أنحاء البلاد وبخاصة عيد الاستقلال والثورة . وتعطل المدارس ودور العمل ابتهاجاً بهذه الأعياد الوطنية . ومن أشهر الأعياد الوطنية في الصومال عيد رأس السنة الشمسية (دبشد) ومعنى الكلمة « أشعل النار » . ففي هذا العيد يشعل الصوماليون النيران ويخطون فوقها ، وفي الجنوب لأبد لرب كل أسرة من أن يشعل نارا كبيرة أمام كوخه ويظل يرقص حولها وينشد الأناشيد بالاشتراك مع الآخرين . وبعد الانتهاء من كل رقصة

يغرز. رب الاسرة رمحه في النار اشارة الى فقأ العين الشريرة ويستمر الاحتفال واشعال النار عدة أيام •

ولعيد (دبشد) اسماء أخرى في الصومال منها « عيد النيروز وهي تسمية فارسية ومعناها رأس السنة ، وعيد (فرعون) وهذه التسمية تدل على مبلغ قدم هذا العيد كما تدل على صلة تاريخية قديمة بمصر •

ومن أعنف الاحتفالات في اثناء عيد دبشد احتفال يجرى في بلدة أفجوى يدعى « استن » ومعنى الكلمة « اضرب » اشارة الى المعركة الكبيرة التي تحدث في هذا الاحتفال • اذ ينقسم الرجال الى فريقين متواجهين يتكون كل منهما من عدة صفوف ، ويلبس كل فريق زيا خاصا ويتخذ ألوانا يتميز بها ويرسم المحاربون على وجوههم خطوطا زرقاء ويعصبون رؤوسهم أو يضعون فوقها تيجانا ذات ذات ألوان زاهية ويحملون العصى في أيديهم ، ثم يتقدم كل فريق نحو الآخر وهو يرقص ويصيح صيحات الحرب والقتال حتى يقترب الفريقان من بعضهما اقترابا شديدا وعندئذ ترتفع الأيدي بالعصى وتهوى على الرؤوس وتسيل الدماء في هذا الاحتفال الغريب • وهدف هذه المعارك هو طرد الأرواح الشريرة وضمان سنة خصبة موفورة الزرع (١) •

ومعظم هذه الاحتفالات غير الاسلامية تؤدي الآن بشكل فولكلورى لتمثل مرحلة سابقة على عصر الثورة والنهضة • ولكن يحتفظ بها لتمثل على المسارح الوطنية وفي الاحتفالات القومية •

(١) عبد المتعم عبد الحليم : صوماليا ، مرجع سابق ، ص ٣١١
نوما بعثدها •

ثالثا - الأدب الشعبي

يجمع الباحثون في علم الفولكلور على أن الأدب الشعبي هو أقدم موضوعات الدراسة والبحث ، بل إن علم الفولكلور اقتصر في بلدان كثيرة على دراسة الأدب الشعبي بصفته أهم مكونات التراث عند شعب من الشعوب ، سواء أكان هذا الأدب شفاهيا أم لفظيا أو تعبيرا ، ومهما تعددت صور القائه فرديا أم جماعيا . وتشمل دراسة الأدب الشعبي في ثقافة من الثقافات أو شعب من الشعوب دراسة مختلف وسائل التعبير من شعر ونثر أو حكم ومواعظ وأمثال وأقوال مأثورة يتداولها الناس في مختلف المناسبات . كما تشمل أيضا الاسطورة والخرافة والحكايات الشعبية وغيرها .

والأدب الشعبي نوع من الخلق الشعبي ، ويعد الأدب الشعبي جزءا هاما من التراث الشعبي ويتضمن الحكايات الشعبية ، والأغاني الشعبية ، وأهازيج الطقوس الدينية ، والألغاز . الخ (١) .

وسوف تشتمل دراستنا للأدب الشعبي في الصومال خمسة موضوعات رئيسية هي اللغة والشعر في أغراضه المختلفة وأغاني العمل والأمثال الشعبية والروايات الأسطورية حتى نتعرف على مكانة الجمل في كل منها .

١ - اللغة الصومالية والجمل :

لاشك أن اللغة هي وعاء الأدب مهما اختلفت وسائل التعبير وتعددت طرق الالتقاء وتنوعت الموضوعات والأغراض التي يتناولها . كما أن الأدب يحفظ اللغة ويعمل على استمراريتها وتناقلها عبر الأجيال ، وأوضح الأمثلة على ذلك الأدب العربي فلا يزال علماء اللغة يستشهدون ببعض أبيات من الشعر الجاهلي لضبط أو قياس قواعد اللغة العربية في عصرنا الحاضر .

(١) أئكة هو لتكرانس : قاموس اللغويات والفولكلور ، ترجمة د. محمد الجوهري ، د. حسن الشامي - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٣٣

وهناك علاقة وثيقة بين لغة شعب من الشعوب والثقافة السائدة لديه . اذ تستجيب اللغة لمتطلبات الناس وقيمهم ونظرتهم الى الحياة . أى أن اللغة المرونة الكافية التى تجعل الفرد فى المجتمع يختار من التراكيب اللغوية عبارات تعبر عما يجيش فى صدره فى يسر وسهولة .

واللغة الصومالية * هى أوضح الامثلة على ذلك . فكما أوضحنا يعمل نحو ٧٠٪ من السكان بالرعى وبصفة خاصة برعى الجمال ، لذلك يحتل الجمل مكانا بارزا فى اللغة الصومالية مثلما يحتله فى نفوس أفراد الشعب الصومالى شمالا وجنوبا ، ونود أن نذكر بعض الامثلة التى تبين مكانة الجمل فى اللغة الصومالية وبالتالي مكانته فى كل موضوعات الفولكلور الصومالى .

تذكر مفردات اللغة الصومالية بالعديد من الكلمات أو الالفاظ التى تشير الى الجمل ، ولا يشارك الجمل فى هذه الخاصية أى حيوان أو أى شئ آخر فى المجتمع الصومالى . ويشير الصوماليون الى الجمل دائما بلفظ الجمع جيلا Geela-a ولا يشار اليه عادة بأسمه المفرد وهو أوركا Awr-ka ، كما يطلق على الجمل أسماء متعددة بتعدد الحالات التى يكون عليها ، ومنها على سبيل المثال يطلق على الجمل الاسماء التالية : —

awr-ka مفرد مذكر

awr-ta جمع مذكر

hal-sha مفرد مؤنث (تنطق hasha)

(*) تصنف اللغة الصومالية ضمن مجموعة اللغات الكوشية التى يبلغ ثلاثون لغة ولهجة يتحدث بها فى شمال شرق السودان وإريتريا والصومال وإثيوبيا والتخوم الشمالية لاقليم كينيا . ومن هذه اللغة الكوشية تعتبر الصومالية والجالا أوسع اللغات انتشارا ، ويصل عدد المتحدثين بهاتين اللغتين معا أكبر من المتحدثين باللغات الكوشية الأخرى . انظر :

Andrejewski, B.W. : Somali Poetry & Lewis, I.M., Oxford, Clarendon Press, Oxford, 1964, P. 33.

مفرد مذكر rati-ga

rakuuba-ka في حالة ركوب الجمل

للجمل الصغير ١ nirig-ga

للجمل الصغير ٢ niriga-ta

للجمل الصغير ٣ gaalin-ta

جمال (اسم جمع) geel-a

اراعى الجمال awrkiraale-ha

اراعى الجمال' geeljire-ha

سير الجمل geedi-ga

وتبدو ميزة تعدد أسماء الجمل في الادب الصومالي في حرية اختيار الاسم الذي يناسب المعنى ، ويجعل اللغة الصومالية شعراء ونثرا قادرة على التعبير في المواقف المختلفة بألفاظ تترجم حس الشاعر وتعكس حبه للجمال •

وتبدو هذه الميزة واضحة عند تجنب الاشارة الى الجمال بسوء أو تشاؤم • وعلى سبيل المثال عندما يريد الصومالي القول بأن عددا من الجمال قد ماتت أو بعضها على الاقل لا يستخدم اسم الجمع للجمع geel بن يستخدم الاسم المفرد للتقليل من هول حدث الموت • فهو يقول :

awr baa dIntey ومعناها مات جمل •

awr baa dimatey ومعناها بعض الجمال ماتت •

awritii waa dimatey ومعناها الجمال ماتت •

وعندما يتحدث عن الجمل بسرور وبهجة فهو يشير اليه باسم الجمع geeli ولذلك يقول : geelii waa daageyaa ومعناها ترعى الجمال ، لان الرعى دليل الصحة والسعادة والحياة العادية للجمال بعكس الموت الذى يعتبر نذير شؤم يجب التقليل من آثاره السيئة (١) .

٢ - الشعر :

لاشك أن الصومال هي أمة شاعرة ، ولا يرجع ذلك الى كون الشعب الصومالى شعب رعوى أساسا ، فهناك العديد من الشعوب الرعوية فى شرق وغرب افريقيا لا يرقى شعرها كما وكيفما الى مرتبة الشعر فى الصومال .

ويقول أندريجيفسكى (١) Andrejewski الذى درس الثقافة والادب الصومالى أن شعرهم هو أحد الانجازات الثقافية الرئيسية ، كما يحتل الشعر حيزا كبيرا وهاما فى الثقافة الصومالية . ولا يعد الشعر أمرا شائعا بين الصوماليين فحسب ، بل أن الالمام به وأجادته من الاشياء المحببة لدى كل فرد ، وكثير منهم يجيدون نظمه ، ويعد التراث الشعرى بمثابة القوة الدافعة والمتصلة اتصالا وثيقا بالحياة اليومية .

ولكن للتعرف على خصائص الشعر الصومالى لابد من معرفة الظروف الاجتماعية والثقافية التى لها جذور عميقة فى وجدان الشعب ، والتى يستمد منها الصوماليون الهامهم . ذلك لان الشعر الصومالى ملئ بالتصورات المعنوية ، كما أنه يهتم بالرمزية التى تعبر عن مختلف الشعائر والمناسبات والاحتفالات ، هذا بالإضافة الى ضرورة فهم ومعرفة طبيعة ومذاق الحياة الرعوية التى يعيشها معظم الشعب الصومالى .

(١) Bell, C.R.V. : The Somali Language, Longmans, Green and Co., London 1953, P. 28.

Op., Cit., P. 2.

(٢)

ومن خصائص الشعر في الصومال أنه شعر اجتماعي بمعنى أن من يقرض الشعر لا يقصره على نفسه بل يلقيه على المحيطين به لينال إعجابهم ، ويحظى الشاعر الجيد عادة ببطانة من المعجبين يتبعونه حيثما سار . فإذا حاز إعجابهم حفظوا شعره عن ظهر قلب ورددوه في مجالسهم ، وبذلك ينتشر الشعر بين الناس . ولما كان عدد الشعراء كبيرا في الصومال فإن هناك تنافس لشد انتباه المستمعين . كما يواجه الشعر غير الجيد بهجوم شديد وانتقاد حاد تجعل الشاعر يفكر كثيرا قبل أن يلقى شعره على الناس .

ومن اجتماعية الشعر أيضا أنه ليس قاصرا على الرجال وحدهم بل يسمح للنساء أيضا بقرض الشعر والقائه . وبخاصة الشعر الغنائي .

ويقسم الصوماليون شعرهم الغنائي الى ثلاثة أنواع تبعا للغرض الذي يقال فيه فيسمى الشعر « جباي » اذا تناول المدح بأنواعه ، بينما يطلق اسم « حس » اذا قيل الشعر في الحب أو الغزل ، أما شعر « غرار » فهو شعر الحماس والاستعداد للحرب . وهناك أنواع من اغاني العمل والافراح وغيرها ، واهيانا تجمع كل فنون الادب الشعبي في جلسة واحدة ، عندما تلقى اغاني الافراح تصاحبها رقصات الفتيات التي ترقص على انغام الموسيقى الشعبية البسيطة ويشارك جميع الحاضرين في الغناء أو الرقص أو الايقاع .

وأفضل ما كتب عن الفولكلور الصومالي بصفة عامة والادب الشعبي بصفة خاصة هي تلك الكتابات التي اتبعت المدخل الثقافي لدراسة الفولكلور ، وقد استفاد « اندريجيفسكي » باتباعه هذا المدخل في دراسته للشعر وأيضا « بل » في دراسته للغة الصومالية . وقد وضح لهؤلاء الى أي حد تؤثر الثقافة في فنون الادب واللغة وتطبعهما بطابع خاص .

ومهما تعددت أغراض الشعر مثل المدح أو الوصف أو حتى الرثاء ، فإن الجمل يحتل مكانا بارزا في كل الاغراض ، وبصفة خاصة الشعر الغنائي الذي يغنى في مناسبات متعددة ، أهمها ما يسمى أغنيات العمل Work-Songs لأنها تأخذ الطابع الفولكلوري الشعبي على نطاق واسع ، ومجرد ذكر الجمل فيها يثير حماس الناس ويدفعهم الى العمل بجد ونشاط . كما يلجأ الشاعر الى جعل الجمل موضوعا لشعره حتى يجذب انتباه المستمعين ويستحوذ على اعجابهم لانه يعرف مكانة الجمل في نفوسهم .

كما يمتدح الجمل في الشعر الصومالي في كل الاوقات ، سواء عندما يتغنى الرغبة الشبان به ليلا في معسكراتهم ، أو عندما تسير القوافل وأيضا في طريقهم لبيع وشراء السلع أو في ذهابهم لاجتماع الماء ، وأيضا عند ذهابهم بالجمال لسقيها من الآبار أو خلال الرحلات الرعوية الطويلة (١) .

ويقول الباحث الصومالي أحمد كالى أبو كور (١) الذى انفق عدة سنوات في جمع التراث الشفاهي الصومالي الذى يتصل بالجمال ونشرها في كتابة القيم باللغة الصومالية « الجمل في التراث الشفاهي الصومالي » أن هناك حكمة صومالية تقول « ان الرجل الذى لا يستطيع أن يدافع عن جملة بالكلمات بنفس الطريقة التى يدافع عنها بيديه يفقد حقه في العيش في الصحراء » . والصوماليون مولعون بنظم الشعر في الجمال وتبدو معرفة التراث الشعبي والمشاركة في الفنون الشفاهية مطلبا رئيسيا قبل أن يصبح المرء مالك جمال محترم . أن الجمل جزء ضروري في الثقافة الصومالية بل هو موضوعها .

Lewis, I.M. : Pastoral Democracy, O.U.P. London, 1961, (١).

P. 86.

Op. Cit., P. V.

(٢)

وبسبب ضخامة الانتاج الشعري لا يستطيع أى باحث أن يلم أو يجمع كل لآثرات الشعرى الصومالى والا استغرق هذا العمل عدة سنوات واحتاج الامر الى تسجيله فى عدة مجلدات • ولكن حسبنا فى هذا المقام أن نذكر بعض النماذج التى تتصل بالاعراض المختلفة التى يتناول الشاعر فيها موضوعات تتصل بالجمال أو الحياة الرعوية •

(١) فى مدح لحم الجمال :

والشعر الآتى وهو لشاعر غير معروف يصور القيمة الاقتصادية العظمى للجمال وبصفة خاصة فى الاوقات الصعبة ، مثلما يحدث عندما يهلك الجفاف الانواع الاخرى من الحيوانات التى يربىها الصوماليون البدو مثل الماعز والماشية •

- عندما يحل الجفاف الشديد
- وتحترق الحياة فوق الارض
- عندما تضعف الماعز
- وتجرفها الرياح بعيدا
- غنى حقا ذلك الرجل الذى
- فى مثل تلك الاوقات العصبية
- يمتلك مئات من الجمال
- لان ضلعا واحد من اللحم
- يكفى المرء ويغذيه
- ربي امنحنا مزيدا من الجمل
- لانها افضل شئ على الارض (١)

وهناك أغنية عمل تمجد لحم الجمال وقيمتة الغذائية العالية وتبرز
مزايا الاجزاء الممتازة من اللحم •

يا سلوجلا (اسم جمل) •

لحمك على عدة أنواع •

لديك أضلاع قوية •

وخاصره جيدة أيضا •

من يطعم من اللحم مشويا •

يظل ثلاثون يوما بدون طعام •

ولا يشعر بضعف أبدا •

ولا تضمحل قوته مطلقا •

ولم يخلق الله أى شئ يضارئك •

ويقول الرعاة أن هناك قطعة سميكة في وسط سنام الجمل تسمى

« أمان » توكل نيئة • وهذا سبب آخر من أسباب القيمة

العالية للجمال عن غيرها من أنواع القطيع الاخرى التى يربئها الرعاة

الصوماليون ، والتى ليس لديها هذه الخاصية المتميزة ، والشعر

الآتى هو في مدح قطعة الامان هذه •

جملى السمين المخصى عندما تذبح •

وتغرز فيك الخناجر المسننة •

ويقطع رقبة الحيوان القوى •

ويتسابق الجزارون في الحال •

- ويقطعوا بسرعة الجزء الحيوى
- وتؤكل الآمان والكبد بسرعة
- فاللحم المميز يؤكل نىء
- ولا يوجد الا مختبىء داخل سنم الجمل
- ومثل هؤلاء الرجال يظلون عقلاء دائما (١)

(ب) فى مدح لبن الجمل :

- ويقال هذا الشعر كأغنية عمل
- ناقتى بنية اللون
- لم تخفق أبدا فى اعطاء اللبن
- وحتى عندما يرضع وليدها كل اللبن
- فان مظهرها اللطيف
- يثير إعجاب كل الناظرين
- فانتى يا ناقتى البنية
- اذا أتى الليل المتأخر
- حل علينا ضيوف أعزاء
- وفى البيت الذى لا جمال فيه
- وبه ماشية متعددة الالوان وماغر لها حوافز مدبية
- فانها لا تستطيع
- أن تعطى حلبه ثانية

• حيث تشبع الضيوف •

• أنها أنتى ناقتى السوداء •

• التى أستطيع فى أى وقت من الليل •

• أن أوقظها للحصول على حلبة ثانية •

• حتى نطعم الضيوف الاعزاء (١) •

(ج) فى مدح جمال الحمل :

يقسم الصوماليون الجمال الى قسمين بحسب الجنس ، أولها النوق
الحلوبة وتخصص لادرار اللبن ولا يفرض فيها الرعاية الا فى الضرورة
القصى • أما القسم الآخر فهى الجمال الذكور وتخصص لحمل
الامتنعة والبضائع وللأسعار الطويلة وأيضا لحمل محتويات المسكن
وإثائه عند الانتقال من مكان لآخر •

والشعر الآتى هو لشاعر معروف يسمى اسماعيل هايد يشرح
فيه كيف تعتبر جمال الحمل كوسائل نقل وتربط انحاء الوطن حيث
يعيش سكان المجتمع الرعوى فى البلدان والمسكن المتفرقة • ويقارن
الجمال بسفن المحيطات •

• جمال الحمل هى سفينة حية للعالم •

• بين هرجيسا * وجيجيجا * * * * * تعمل •

• محملة بالبضائع من بلاد كثيرة •

• وتجلب الشهرة العظيمة من مارسيلىا الى ادارى •

Ibid, P. 6.

(١)

* مدينة فى شمال الصومال •

* * * مدينة فى غرب الصومال •

أن الجمل وسيلة أساسية للحياة •

(د) في التشويق للرقص :

١ - لم اتناول أى قطعة من اللحم المفضل •

٢ - ولم أشرب من اناء كبير •

٣ - ولكن لى رغبة شديدة فى الرقص •

(هـ) الفخر (شعر الفخر) :

الرقص المفضل :

١ - أن أحسن الرقص هو رقص العشائر الشرقية •

٢ - أن أحسن الرقص هو رقصنا •

٣ - أنا متأكد من ذلك تماما •

٤ - وأحسن ثروة هى الجمال •

٥ - وحشائش الدور هى أحسن مراعى خضراء •

٦ - وعشب الدوريمو هو أحسن علف •

٧ - وأنا متأكد من ذلك تماما (١) •

(و) فى التضامن والتعاون :

ويغنيها الاقارب اثناء سقى جمالهم الاغنية الفولكلورية الآتية : -

١ - كلهم هنا مستعدون •

٢ - وهم أقارب لنا •

- ٣ — ما أعظمهم وما أفيدهم •
- ٤ — وهم واقفون على أتم استعداد •
- ٥ — لقد ادليت بدلوى الى البئر •
- ٦ — يارب العالمين •
- ٧ — يا الى سهل مهمتنا •
- (ويخاطب الجمال قائلا) :
- ٨ — ستكون هادئا •
- ٩ — تقدم الى الامام ببطيء •
- ١٠ — ضع فمك فيه مباركا •
- ١١ — أنه ماء نقي خال من الآثام •
- ١٢ — فعظامك الضعيفة الواهنة •
- ١٣ — ستتربط وتمتلىء ثانية •
- ١٤ — وعندما يقف الناس مستعدون •
- ١٥ — ويحضر كل الاقارب •
- ١٦ — لن تترك الجمال مكانها حتى تسقى كلها (١) •

(ز) في شعر الثبات والجلد :

- ١ — مثل الناقة ذات الجرس الكبير •
- ٢ — الآتية من فوق الهضبة والهود الاعلى •

- ٣ - فان حرارتي عالية •
 - ٤ - تصيح الطيور معا على نفس الشجرة •
 - ٥ - وتتادى كل منهما بصحباتها •
 - ٦ - ولكل وطن طريقته •
 - ٧ - ولا يفهم الناس حديث الآخرين •
 - ٨ - احدى ناقتي وقعت على الطريق •
 - ٩ - ولقد حميت لحمها •
 - ١٠ - وفي الليل لم استطع النوم •
 - ١١ - وفي النهار لا أجد الظل •
 - ١٢ - ولقد كسرت أنفى على عصا •
 - ١٣ - وكسر فخذي الايمن •
 - ١٤ - وفي عيني شيء ما •
 - ١٥ - وهكذا أسير^(١) •
- (ج) في رثاء الزوجة :

لراجي أوجاسي

- ١ - ان حالتي كالجرس الخشبي : الذي تربط به الجمال الشاردة •
- ٢ - أو كالجمال التي تفرقت من صغارها •

- ٣ — أو كالنفس عندما تبدأ الرحيل تاركة المعسكر •
- ٤ — أو كالبتير الذي تكسرت حوافه أو النهر الذي فاض على شاطئين •
- ٥ — أو كالمرأة المسنة التي قتل وحيدها •
- ٦ — أو كالفقراء الذين يقتسمون الطعام القليل في الوجبة •
- ٧ — أو كالنحل عند دخوله الخلية ، أو كالطعام عندما يقلى •
- ٨ — بالامس اذهب عويلى بنوم سكان كل المعسكرات •
- ٩ — هل سأظل مخبولا في بيتى وقصرى ؟
- ١٠ — هل حسد الآخرين على قدر تحقق بالكامل ؟
- ١١ — هل سأحرم من اللحم المحمر ومخزون الاوقات العصبية الذى كان متوفرا لى •
- ١٢ — هل أنا اليوم قد محيت من على وجه الارض ؟
- ١٣ — هل ولدت على سرج جمل في مكان قاصى بعيد ؟
- ١٤ — هل كسرت ساقى وعظامى ولن تجبر أبداً (١) ؟

(ط) في العتاب :

وهو حوار بين الراعى وجمله :

تميز الجمال أنفسها أى الاماكن التى تجعلها تنمو وتزدهر بقوة أو لا تزدهر والايات الآتية هى حوار بين الراعى وجمله المفضل وضعها الشاعر عواد فرج وفيها يعترض الجمل لاهمال الراعى له بعدم قيادته الى المرعى الجيد حيث ينمو ويسمن •

تتناقشت اليوم أنا وناقتي ماديكس :

فقلت : فى واد ضيق وجاف •

تركنتى مدة طويلة عند آبار خاوية •

وحياتى تتحطم هناك •

قلت : اننى اعتنى بكى دائما •

وأقودك الى مراعى غنية •

قلت : خذنى الى الاراضى المطيرة الغنية •

قلت : هناك يوجد الاثيوبيون الاعداء •

الذين لا يدعوننا نعيش فى سلام •

قلت : بمسدسات المارتن الصومالية •

يجب عليك أن تقذفهم بها

قلت : أنهم مسلحون بأسلحة حديثة •

قلت : اذن الى الاراضى المالحة •

خذنى الى هناك حيث السفانا •

قلت : ستكونى متعبة اذا وصلتى الى هناك •

لان هذه الجهة بعيدة جدا •

قلت : الى أى جهة خذنى •

حيث انمو فى المرعى الطيب •

ولن اعترض بعد ذلك •

قلت : المكان الامثل لكى هو اينابو

قالت : الحيوانات المفترسة كثيرة هناك •

وأخاف على أولادى الصغار •

قلت : سأشعل النار ليلا •

حتى يبتعدوا عن المكان (١) •

(ك) من شعر الحكمة :

يحكى أن شاعرا صوماليا معرفا يدعى سامرتر باهنان
Samatar Bahanan تشاجر مع زوجته في أحد الايام ، لأنها
أرادت أن تعطى بعض جمال الاسرة الى أقاربها ولكن زوجها رفض
الفكرة ، وأراد أن تدرك زوجته أن ثراء الاسرة انما يعود الى امتلاك
نفس الجمال التى تريد أن تتخلص منها أو أن هذه الحيوانات هى الثروة
الرئيسية للأسرة ، والتى تمدهم باللبن الكافى الذى يملأ كل الاوانى
فى كوخ الزوجة • وأراد الزوج أن ينصح زوجته ويثنيها عن عزمها
ويعرفها بأن أى رجل عاقل لا يمكن أن ينظر الى الجمال كأشياء يمكن
بسهولة التخلص منها فأنشدها الشعر التالى : —

فى يوم ما عندما يحل أكلال •

ويقننى الناس من العطش •

وتصرخ النساء ذوات الاطفال •

ولا يوجد أحد يعطى نقطة مياه •

أما انتى يا زوجتى فغير ذلك تماما •

- فلديك آنية مملوءة بلبن الجمال الطازج •
- مخزون لديك في الكوخ •
- وعلى جمال الحمل •
- التي أمددتك بها أيضا •
- وعندما تشر بين بعضا منها •
- تملئين الانية ثانية •
- بالماز والمأشية •
- يدفع المرء ديونه •
- أما الجمال فانه يبقيا كضمان مدى الحيا •
- ولا يعطيها لاي أحد مهما كان •
- حتى ولو كان أبوكى (١) •
- (ل) في الوطنية والحماس :

كتب الشاعر عبد الله سلطان كثيرا من الشعر الوطنى وذلك فى فترة النضال من أجل الاستقلال وبصفة خاصة ضد الاستعمار الايطالى والانجليزى ونختار له من قصيدة مطولة بعض الابيات الآتية :

- عندما يقف الرجال الشجعان •
- فى جانب من جوانب القتال •
- وعندما بفضل الله •

• ينتصر شعبا •

• فالجمل الذى من أجله •

• أقول فيه شعر المدح •

٣ - الامثال الشعبية :

يعبر المثل ، فى شكله الاساسى عن حقيقة مألوفة صيغت فى أسلوب مختصر ، حتى يتداوله جمهور واسع من الناس •

والخاصيتان الاساسيتان فى المثل ، هما الطابع التعليمى من حيث الموضوع ، والاختصار والتركيز من حيث الاسلوب • وأما طابعه التعليمى الذى يكون مباشرا فى أغلب الاحيان فيدل على أن المثل ابتكار تصنعه العبقريّة الشعبية ، وأنه يثبت أكثر مما تثبت الانواع الادبية الاخرى ثم أن الطابع التعليمى الاخلاقى هو السبب فى ذىوع الامثال فى سائر الانحاء ، ذلك أن انتشارها بين الامم غير الاوربية لا يقل عن انتشارها بين الاغريق القدماء والرومان (١) •

وتضرب الامثال الشعبية الصومالية المتعلقة بالجمال فى نفس الاغراض التى يقال فيها الشعر ، وهى تركز على المزايا والفوائد الاقتصادية التى يحصل عليها الناس من الابل مثل اللحم واللبن ، كما تركز أيضا على صفات وخصائص الجمل من ناحية ثانية • وأهم هذه الامثال للشعبية (٢) •

١ - كثير من اللحم والكلام :

يوجد دائما حول مكان الذبح :

(١) الكراندر هجرى كراب : علم الفولكلور - ترجمة : رشدى صالح ، مؤسسة التاليف والنشر - القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٣٥ •

(٢) Abokor, Passim.

ويصور هذا المثل مدى اقبال الناس وحديثهم عندما يتجهون الى مكان ذبح الجمل لكي ينالوا نصيبهم من اللحم الذي يكفى كل العائلات والجيران • لذلك يكثر الكلام الضوضاء حول مثل تلك الاماكن •

٢ - أن الجمل الذى يظل

بدون شرب الماء لمدة شهر

يمكن أن ينتظر يوما آخر •

ويصف هذا المثل اعتقاد الرعاة بأن الجمل يمكن أن يصبر نحو ٣٠ يوما بدون شرب أى مياه على الاطلاق •

٣ - لا تتخلى عن الجمال

بل حاول أن تحصل عليها من الآخرين •

ويعكس هذا المثل مدى اعتزاز الرعاة وضرورة احتفاظهم بالابل وعدم التفريط فيها لآى سبب ، ذلك أن من طموحات أى رجل فى الريف أن يحصل على الجمال بأى طريقة •

٤ - الهى ، ان الرجال والجمال

تصلى لك بسبب الخيرات غير المحدودة •

تتعادل قيمة الرجال مع الجمال فى المجتمع الرعوى ، ليس هذا انحطاطا لقيمة الرجال ، بل أنه يحب واعتزاز للجمال يرفعها الى مكانة الرجال • وهناك قيمة رمزية أخرى فى هذا المثل وهى أنه لولا الرجال ما كانت الجمال ولولا الجمال ما كانت الرجال •

٥ - كرماء أيها الرجال والجمال

وجاحدات أيتها النسوة والماشية •

يصف هذا المثل النساء بالضعف وكذلك الماشية ، وذلك على عكس
الجمال الكريمة والعالية المكانة •

٦ - انت يمالك الجمل

لا تعيش ابدًا في سلام

ويصف هذا المثل الصعوبات التي يواجهها الراعى أو مالك الجمل
عندما يواجه الظروف البيئية القاسية ، كما هو الحال في حالات قلة
الامطار أو جذب المراعى •

٧ - شفته من لبن الجمل

تكفيك نصف يوم

وهذا المثل يبين القيمة الغذائية العالية للبن الجمال ، والتي لا تعادل
ألبن أى حيوانات أخرى ، ذلك أن مجرد شفقة واحدة تعطى الشخص
القوة الكافية لمسيرة نصف يوم • كما أن الشخص الذى يتعود على شرب
لبن الجمال تكون له قوة بدنية وقدرة على التحمل أكثر من غيره •

٨ - اللبن الكافى هو لبن الجمال يمكنك أن تحصل عليه أينما
تذهب ، هى أيضا تذهب معك •

ويشير هذا المثل الى أن الجمل وحده هو الذى يمد الناس باللبن
الكافى كما يبين أيضا أن أنواع الحيوانات الأخرى تنتج لبنا أقل من
الجمال كما وكيفا • وتعنى كلمة « كافى » هنا ان لبن الجمال هو المناسب
للضيوف المكرمين بينما لبن الحيوانات الأخرى لا يفى بهذه الأغراض •

ومن أغنيات العمل التى تمتدح لبن الجمال (١) ، ويتغنى بها الرعاة
عند سقى الحيوانات ، وهى تصف حب الناس للجمل ومدى تمتعهم
عندما يشربون لبن الجمال ، تقول كلمات الاغنية :

لبن نقى وصفى

ذلك الذى اشربه بنهم شديد

جملى حبيبنى

انك معطاء دائما

والأغنية التالية يتغنى بها الناس فى جنوب الصومال وهى تصف
قوة وحيوية الشخص الذى يشرب لبن الجمال الطازج ، وتمتدح الأغنية
أيضا الجمل لكرمه الذى أودعه الله فى هذا الحيوان المفيد للإنسان
وتقول كلماتها : —

لبن دافىء وحلو

يأتى من حلما ثدى الجمال وينعش البدن

لقد خلق الله الجمل على هذه الدرجة من الكرم

وأغنية ثالثة تبين كرم الجمل وصاحبه عندما يأتى الضيوف ليلا ،
ولا يوجد فى البيت ما يقدم لآكرامهم الا لبن الجمال • وتقول كلماتها :

ناقتى ذات الفراء الأبيض

فى وقت متأخر من الليل

عندما تغيب النجوم

قد يأتى ضيوف بدون توقع

لنحصل على حلبة ثانية هذه الليلة

فساعدينى فى العطاء والكرم واتقذينى

وفى هذه الحالة نستدعيك

٩ - اما ان تكون قويا كالجبل

أو تلحق نفسك بمن يمتلك هذه القوة

ويضرب هذا المثل للحث على التماسك والالتفاف حول الجماعات القرابية الكبيرة ، لان الجماعات الصغيرة لا تستطيع ان تعيش بمفردها لأنها تكون في هذه الحالة من الضعف بحيث تهاجمها الجماعات الأكبر . لذلك يجب أن تنضوي الجماعات الصغيرة تحت حماية وفي كتف جماعاتها القرابية الكبيرة التي تضمن لها الحماية والأمن .

١٠ - ان الوفرة والندرة غير منفصلين تماما .

تتعلق حياة الرعاة بالتوازن الدقيق بين الفصول الاربعة ، وأى خلل أو تأخير في سقوط الامطار يهدد الحياة الرعوية وثروتها من الابل بخطر جسيم ذلك أن الجمال تذبذب ولا يجد الرعاة من الماء والكلأ ما يمكنهم من الرعى بسهولة ، ولذلك فقد تنقلب الاحوال من وفرة وخضرة الى جفاف وقحط .

٤ - الروايات الاسطورية الشعبية :

الروايات الشعبية التي تشتمل على ألغاز وأمثال وحكم تهدف الى التسلية وامتناع المستمعين ووظيفة أخرى تحققها وهي التعليم ، فالأمثال تحتوى على حكمة عدد كبير من الأجيال ، بينما الروايات والالغاز تعلم الاطفال عن النباتات والحيوانات والطريقة التي يعمل بها المجتمع . وبتحقيق هذه الوظائف فان الروايات وغيرها من فنون الأدب الثقافى تؤكد على استقرار واستمرار الثقافة وتعلم التقاليد والممارسات المقبولة اجتماعيا (١) .

(١) Aceves, J.B. & : Introduction to Anthropology Kin, H.G. (1)
Central Learning Press, N.J. 1979.

وهناك قدر من التداخل فيما يسمى الاسطورة Myth والرواية الخرافية Legend ويقول قاموس الفولكلور ان الاسطورة هي شيء يقرأ في محفل ديني ، وتمثل أحداث حدثت في أزمان ماضية وتشرح التقاليد فوق الطبيعة للناس وآلتهم وأبطالهم وسماتهم الثقافية وعقائدهم الدينية • الخ (١) •

أما قاموس الاثنولوجيا والفولكلور فيصف كلمة Legend بأنها وقائع تاريخية متفردة أو غير عادية يعتقد بصحتها وجوازها وان لم يمكن اثباتها تاريخيا مثل الاساطير العربية •

ورغم ان الروايات الشعبية قد تتضمن بعض العناصر الخرافية فهي ليست مقدسة بنفس درجة الاسطورة ، وتحكى الروايات الشعبية أساسا للتسلية مع أنه قد يكون لها وظائف تعليمية هامة • ومعظم الحكايات والفنون الثقافية الأخرى كالغاز والاحاجى والامثال وغيرها لها هدف اخلاقي • ولذلك فإن التراث الثقافي هام جدا في عملية التنشئة الاجتماعية في كل مجتمع وبصفة خاصة في المجتمعات التي لا تعرف الكتابة • فالفولكلور يمكن أن يخبرنا بالكثير من القيم الثقافية للمجتمع لأنه يظهر أي الأفعال يسمح بها وأيها يعد ممنوعا أو محرما ، ولذلك فإن دراسة الفولكلور تكشف عن المحتوى الثقافي مما يعطينا مفتاح فهم الرواية نفسها (٢) •

وقد أشار مالينوفسكى Malinowski منذ أكثر من نصف قرن مضى ، بأن هناك صلات وثيقة بين الروايات المقدسة لمجتمع ما من ناحية ، وبين ممارساته الطقوسية ومعاييره الاخلاقية وتنظيمه الاجتماعي من ناحية أخرى • « فالاسطورة ليست مجرد حكاية عاطلة » كما يقول ، ولكنها قوة عمل نشطة ووظيفتها هي تقوية التقاليد وتحميلها قيمة

(١) Leach, Maria (ed) : Standard Dictionary of Folklore, 1950.

(٢) أيكه هولتكرانس : مرجع سابق ، ص ٤٢ •

ومكانة كبرى عن طريق ارجاعها الى أصول وأحداث ماضية • وأوضح الأمثلة التي يراها مالبينوفسكي من دراسة الفولكلور المعاصر هو التأكيد على فهم عمليات التغير ، كإنتشار أنماط من قبول أو تعديل القيم الثقافية والعمليات التي تظهر بها ملامح التغير من ثقافة إلى أخرى (١) •

ولا يخلو شعب من وجود الاساطير أو الروايات الخرافية التي تتصل بماضيه أو بتاريخه • فالاساطير ظاهرة عالمية في كل الثقافات والمجتمعات مهما بلغت درجة تقدمها أو تأخرها في سلم الحضارة •

وتعد دراسة الاساطير من أهم موضوعات علم الفولكلور التي يهتم العلماء بدرستها وتحليلها لفهم المضامين الثقافية التي تحتويها ، كما انها تعتبر أحد مصادر التراث الشعبي المتناقل بين الناس جيلا بعد جيل •

ويواجه الباحث في الفولكلور الصومالي بثنائية أو ازدواج في التراث الشعبي المتعلق بالاساطير أو الرواية الخرافية ، وسبب هذا الازدواج عاملين أساسيين العامل الأول جغرافي : ويتعلق بمكان الرواية أو الأسطورة الشعبية ، فأهل الجنوب لا يعتقدون فيما يعتقد فيه أهل الشمال ويبدو أن للتوزيع السلالي والسكاني أثر في هذا العامل وأيضا لوجود الزراعة في الجنوب وقلتها في الشمال • أما العامل الثاني فهو تاريخي فهناك معتقدات وأساطير أو خرافات كانت سائدة في فترة تاريخية قبل الإسلام وكانت تمارس أديان وعقائد غير الإسلام في الصومال ، وظلت هذه الخرافات والروايات تمارس أو تروى أو يعتقد فيها دون أن يعرف الناس حقيقتها أو مصدرها حتى الآن •

أما معظم المعتقدات الاسطورية التي انتشرت بعد الإسلام ، فهي تتعلق بكرامة الاولياء وقدرتهم غير الطبيعية على تغيير مجرى الاحداث

(١) Nanda, Serena : Culural Anthropology, D-Van Nostrand, Co., N.Y. 1980.

بشكل عادي وقد أضاف الناس من خيالهم وتصوراتهم أعيالا وإنجازات تخرج عن ناموس البشر مما ألبس هذه المعتقدات ثوب الاسطورة • أما الاولياء أنفسهم فلهم مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة ، ويحتفل الناس بهم وتقام لهم الموالد وتذبح الذبائح بهم وتقربا اليهم •

وهناك اعتقاد راسخ كان يسود الصومال قبل الاسلام وهو ان معظم التلال الحجرية تتقمصها ارواح شريرة قديمة • وتروي عن هذه التلال أساطير كثيرة حتى اليوم نذكر منها الاسطورة التالية لصلتها بالجمال • ولكونها تجمع بين الاسطورة والمغز والحيلة •

في احدى التلال تسكن روح امرأة يسميها الصوماليون « أرويلو » تستشيرها النساء قبل الزواج وأحيانا يقطعن أجزاء من ملابسهن ويضعنها على التل الذي تتقمصه روحها •

ويرى الصوماليون أن هذه المرأة كانت ملكة في غابر الازمات ، وكانت تكره الرجال وتتقمم من جنسهم بخصى الصبيان • وذات يوم أرادت الانتقام من الرجال أنفسهم ، فلجأت الى حيلة للفتك بهم بأن طلبت منهم أن يقيسوا لها قوس قزح • وكان هناك شيخ كبير يسمى « أضي بيغي » اشتهر بسعة حيلته وبقدرته على رد كيد أرويلو وحل الغازها • فذهب اليه الرجال ليجد لهم مخرجا من ذلك المأزق • فأشار عليهم « اضي بيغي » بأن يطلبوا من أرويلوا أن تعطيه المقياس اللازم لذلك، فأسقط في يد أرويلو وفشلت حيلتها الأولى •

وعندئذ لجأت أرويلو الى حيلة ثانية ، بأن كلفت الرجال ان يحضروا لها تمرا فوق جمل عار • فلجأ الرجال الى « أضي بيغي » ، أيضا ، فأشار عليهم بأن يستخرجوا نوعا من الصمغ من احدى الاشجار ويلصقوا به التمر فوق ظهر الجمل • وهكذا فشلت حيلة أرويلو الثانية • وتمضي القصة تعدد مكائد أرويلو والغازها وتدير الشيخ وحل الغازها وانقاذ الرجال من مكائدها •

بينما سكان الجنوب الذين يعيشون على ضفاف نهري جوبا وشبيلي ، فان مخاوفهم تأتي من النهر وتدور بمعتقداتهم حول النهر وضرورة حمايته من العبث • ولذلك تنتشر الاسطورة التالية في جنوب الصومال •

من أشهر الألياء في الجنوب في وادي شبيلي هو « أوخلتر » الذي كان من أسباب شهرته كرامته وقدرته على دفع خطر التماسيح التي تسكن النهر ، وتنتشر عنه أسطورة تقول انه عندما توفي وأعد اتباعه جثته لدفنها ، طارت الجثة في الهواء متجهة نحو نهر شبيلي حيث بدأت تهبط الى الأرض منطقة الشدلة حيث كرمه الناس وقدموا له الهدايا والضحايا • فبارك أوخلتر أهالي الشدلة ومنحهم نهر شبيلي الذي لم يكن يمر بمنطقتهم من قبل • وأسبغت بركة أوخلتر على النهر صفة القداسة • فيقال انه حدث ان توجه رجل الى النهر للاغتسال فيه • فتحولت نجاسته بكرامة أوخلتر الى تماسح ضخم يتربص بكل شخص نجس يقترب من النهر ليلتهمه • ولذلك عندما يتوجه أهالي هذه المنطقة الى النهر يزددون تعويذة لاوخلتر لدفع خطر التماسيح(١) •

(١) عبد المنعم عبد الحليم : مرجع سابق ، ص ٣١٧ وما بعدها .

خاتمة

من دراستنا لمكانة الجمل في الفولكلور الصومالي ، يمكن استنتاج ان الظروف الايكولوجية التي تسود الصومال تؤدي الى اعتبار الجمل كحيوان للرعى من أنسب الحيوانات للتكيف مع الظروف الطبيعية السائدة في البيئة الصحراوية . لذلك تصبح للجمل أهمية اقتصادية واجتماعية كما ينظر اليها الناس كأثمن ملكية يمتلكها انسان واغلاها قيمة .

كما تبين ان الابل هي محور الحياة الاجتماعية والثقافية(*) . ويبدو حب الابل عميقا في نفوس الصوماليين بما يصدر عنهم من مشاعر فياضة وعواطف جياشة سواء أكانوا من سكان البادية أو الحضر . وتنعكس هذه المشاعر في كل ما يصدر عنهم من سلوك وتصرفات يتجسد كما وضح في البحث في مجموعة المعارف والمعتقدات الشعبية وما يمارسه الناس من عادات وتقاليد تلازم حياة الافراد من الميلاد حتى الوفاة .

وبمقارنة ما ذكره هير سكوفتر عن مركب الماشية في شرق افريقيا كمنطقة ثقافية على أساس أن الماشية هناك لها أهمية قصوى في حياة تلك الشعوب ، نجد أن الجمل في الصومال له مكانة عالية في الحياة الثقافية الصومالية ، وأن أثره يتعدى الفوائد الاقتصادية التي يحصل عليها الناس من الجمال مثل اللحم واللبن ، بل أثره يصنغ كل جوانب الحياة ويبدو واضحا في التراث الشعبي بما يشمله من أدب شعبي

* لزيد من التفصيل انظر :

توفيق الحسيني عبده ، الرعى كأسلوب للحياة في الصومال — معهد البحوث والدراسات الافريقية — جامعة القاهرة — نشر البحوث رقم ٢٩ — القاهرة ١٩٨٨ .

يحتوى على كل أنواع التعبير من شعر ونثر وأمثال وحكم وأقوال
مأثورة •

ولقد بينت الدراسة غزارة التراث الشعبى الصومالى ومدى وضوح
الفولكلور كواقع معاش فى الحياة اليومية ، وليس كموضوع لاحداث
تاريخية حدثت فى الماضى — كما ذهب الى ذلك بعض العلماء — بل انه
يمكن القول انه يصعب فهم طبيعة الشعب الصومالى دون معرفة تراثه
الشعبى •

ولقد وضح من الدراسة الدور التعليمى للفولكلور من خلال تلقين
مبادئ السلوك الاجتماعى المقبول فى صورة عادات وتقاليد وانتقالها
عبر التاريخ ليتعلمها الناس جيلا بعد جيل ، بالاضافة الى الوظائف
الترفيهية والاخلاقية التى يحققها الفولكلور •

اثبتت الدراسة ان تمسك الامة بتراثها الشعبى هى أحد العوامل
الهامة فى حفظ وحدتها الوطنية وهويتها الثقافية التى تميزها عن غيرها
من الثقافات • وحيث أن كثيرا من أفراد الشعب الصومالى لازال يعيش
خارج الحدود السياسية للصومال مثل شمال كينيا ومنطقة أوجادين
وجيبوتى ، فان جميع أفراد الامة الصومالية تعيش داخل الحدود
الثقافية — رغم الحواجز السياسية — وذلك بفضل وحدة الفولكلور
الصومالى • وشعور الافراد حتى فى خارج الصومال انهم ينتمون
لأمة صومالية واحدة لها فولكلور واحد ، وثقافة وتجمعهم آمال وأهداف
مشتركة •

ولعل هذا يفسر لنا تمسك الصوماليين بلغتهم الصومالية كوشية
الاصل — رغم اعتزازهم بالاسلام والعروبة — وذلك حتى لا ينفصلوا
ثقافيا عن اخوانهم خارج الحدود السياسية حيث تبين أثر الفولكلور
فى التواصل الثقافى • بينت الدراسة أن هناك قدرا من التغير قد أصاب
بعض المعتقدات البالية والمعارف الشعبية التى لا تستند الى المنطق
والعقل • وذلك بفضل انتشار التعليم عن ذى قبل ، وجهود الدولة

لمحاربة الابطال والنفرات القبلية التي كانت سببا في كثير من المنازعات والحروب بين القبائل بسبب النزاع على المراعى والآبار .

كشفت الدراسة ان المدخل الانثربولوجى الثقافى هو الاكثر ملائمة فى الدراسات الفولكلورية وذلك للكشف عن القيم الثقافية وقواعد السلوك الممارسة لدرجة أن من درسوا اللغة الصومالية أو الادب الصومالى من أمثال « بل » ، و « أندريجيفسكى » لم يجدوا بدا من دراسة الثقافة الصومالية ونظم المجتمع حتى يتعرفوا على المضامين الثقافية والانساق الاجتماعية وصلتها باللغة والادب حيث أن اللغة أو الادب أو الفن يفقد معناه اذا انتزع من سياقه المجتمعى .

واننا اذا كنا قد اقتصرنا فى دراستنا للفولكلور الصومالى على المعارف والمعتقدات الشعبية والعادات والتقاليد والادب الشعبى ، فاننا نزمع بمشيئة الله فى دراسة الثقافة المادية والفنون الشعبية الصومالية — وهى حافلة بالموضوعات — استكمال كل هذه الموضوعات فى دراسة مقبلة .

وعلى ذلك فقد حققت الدراسة الاهداف التي كانت تسعى لتحقيقها، وأختبرت الفروض التي قامت عليها .

أولا : المراجع العربية

- ١ — الكزاندر هجرتى كراب :
— علم الفولكلور ، ترجمة أحمد رشدى صالح ، دار الكاتب العربى —
القاهرة ١٩٦٧ .
- ٢ — ايكة هولتكرانس :
— قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور ، ترجمة : د. محمد
الجوهري ، د. حسن الشامى — دار المعارف — القاهرة ١٩٧٢ .
- ٣ — توفيق الحسينى عبده :
— الرعى كأسلوب للحياة فى الصومال ، نشرة معهد البحوث
والدراسات الافريقية — جامعة القاهرة — القاهرة ١٩٨٨ .
- ٤ —
— البيئة ، الطعام ، الحياة الاجتماعية فى الصومال ، مؤتمر القرن
الافريقى — معهد الدراسات والبحوث الافريقية — جامعة
القاهرة ١٩٨٥ .
- ٥ — عاطف وصفى :
— الانثربولوجيا الثقافية — دار المعارف — القاهرة ١٩٧٥ .
- ٦ — عبد المنعم عبد الحليم :
— صوماليا ، مكتبة الشرق بالفجالة — القاهرة بدون تاريخ .
- ٧ — فاروق مصطفى اسماعيل :
— الانثربولوجيا الثقافية ، دار المعارف الجامعية — الاسكندرية
١٩٨٤ .
- ٨ — محمد الجوهري :
— علم الفولكلور ، جزء ١ ، دار المعارف — الطبعة الرابعة —
القاهرة ١٩٨١ .
- ٩ —
— علم الفولكلور ، جزء ٢ ، دار المعارف — الطبعة الاولى —
القاهرة ١٩٨٠ .

١٠- نيلة ابراهيم :

— الدراسات الشعبية ، دار المريخ ، الرياض ١٩٨٥ .

١١- وزارة الاعلام والارشاد القومى : الثقافة والفنون الشعبية في

الصومال ، مقديشيو ١٩٧٤ .

١٢- بوى سولوكوف :

— علم الفولكلور ، قضايا وتاريخه ، ترجمة حلمى شعراوى ،

عبد الحميد حواس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة

١٩٧١ .

ثانيا : المراجع الأجنبية

13. Abokor, Axmed : The Camel in the Somali Oral Tridition, Cali Scandinavian Institute of African Studies, UPPSALA 1987.
14. Aceves, Joseph : Introduction to Anthropology, General & King, Gill Learning Press, N.J. 1979.
15. Andrejewski, B.W. & Lewis : Somali Poetry Oxford Clarendon I.M. Press, Oxford, 1964.
16. Bell, C.R.V. : The Somali Language Longmans, Green & Co., London, 1953.
17. Leach, Maria (ed) : Standard Dictionary of Folkore, New York, 1950.
18. Lewis, I.M. : A Pastoral Democracy, Oxford University Press, London, 1961.
19. Lewis, I.M. : The Northern Pastoral Somali of the Horn, In Gibbs (People of Africa) Holt., R. and Winston, N.Y. 1965.
20. Nanda, Serena : Cultural Anthropology, D. Van Nostrand Co., New York, 1980.

دراسة ببليوجرافية مشروحة لمقالات الأعداد الخمسة الأولى
لمجلة الدراسات الأفريقية ، مع عرض للدراسات الأفريقية
ودراسة مختصرة تطبيقية عن البحث العلمى المكتبى فى المجال (X)

الدكتور فاروق عبد الجواد شويقة (XX)

الكلمات الدالة : الدراسات الافريقية ، كشاف ، دراسة

An Anotated Bibliographical Study for the First Five Volumes of the African Studies Review and a Librarian Brief Applied Study about the Scope.

Abstract

This paper is a study about the African studies, with anotated bibliography of the five volumes of the African Review of the University of Cairo published 1972-1977.

The study contained also, a brief study about the African Institutes and Centeres in the continent and abroud.

The author tries to mention some periodical, deals with the subect to help anyone in need, with some sort of adivce in library work in the scope.

F. A. GAWAD

(*) رقم تصنيف موضوع المقال : D.D.C. (19 th. ed. 976.6)

L.C.C. Class G. 3rd. ed.). G. 58. 545.

Blin C. (010) : (050) : (6)

(**) استاذ مساعد وقائم بعمل رئيس مجلس قسم الانثروبولوجيا
بمعهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة ؛ حاليا (اكتوبر ١٩٩٤).
استاذ الدراسات الانثروبولوجية الايكولوجية بالمعهد .

مقدمة

هذه دراسة سريعة مختصرة عن أهم معاهد ومراكز البحوث للدراسات الافريقية في القارة وخارجها مشفوعة بكشاف موضوعي مشروح لمجلة الدراسات الافريقية التي يصدرها معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة (الخمسة أعداد الأولى منها ، ١٩٧٢ - ١٩٧٧) •

ولزيادة من الاستفادة حاول المؤلف أن يفيد الباحثين في المجال ، بذكر عدد معقول ومناسب من الدوريات المتخصصة والعامة التي تنشر مقالات تفيد في الدراسات الافريقية وهو بذلك يأمل في أن تكون استفادة القراء من الدارسين مفيدة حتى تنعكس بفوائد كثيرة على الأجيال المتعاقبة من الباحثين والدارسين •

معاهد الدراسات الافريقية

بدأت الدراسات الافريقية تأخذ طريقها الى الوجود مع النشاط الاستعماري والاقتصادي الذي شهده العالم منذ القرن الماضي • ولقد كانت بريطانيا من الدول الاولى التي اهتمت بالدراسات الافريقية لما لها من تاريخ قديم وطويل في الاستعمار واستنزاف خيرات الدول لصالح أهلها في الوطن وهذا واجب وطني ويؤمى تحمداً عليه حكوماتهم داخليا وتلقى في سبيله اللعنات والطعنات في الخارج ، لذلك كثرت المعاهد والجمعيات ذات الإهتمام الخاص بأفريقيا ودولها كآخر القارات التي نكبت بالاستعمار المبكر مبداً والمتأخر خروجاً ، ومن هذه المعاهد والجمعيات (١) :

Egypt Exploration Society (f. 1882).

The World of Learning. 1978-1979. 29th. ed. London, (١)
Europa Publication Ltd., 1979, Vol. I, p. 425-429.

ويصدر عنها عدة دوريات منها :

The Journal of Egyptian Archaeology

وكانت وما زالت تهتم بأفريقيا ، حيث تنشر مقالات علمية ذات قيمة ، قيمة ، اذ كانت مبنية على دراسات وبحوث واقسام ميدانية كثيرة وطويلة الأجل ، وقد كانت تنشر نتائجها في دوريات منها Geography وكانت (f. 1906) Historical Association كذلك كشقيقتها الجغرافية التي أسست قبلها عام ١٨٩٣ ، مهتمة اهتماما خاصا بالموضوعات الافريقية ، تنشرها في دورياتها المتعددة التي أهمها History Proceedings (3 a year) كما كانت تصدر أيضا Prehistoric Society

ومن أقدم الجمعيات البريطانية في هذا المجال أيضا نجد :
Royal Geographical Society (f. 1830).

وهي التي تصدر عنها :

Geographical Magazine (Monthly); Geogr. Journal (3 a year)

وهما الحافلتان دائما بموضوعات متخصصة عن أفريقيا ، كما نجد :
Royal Historical Society (f. 1868).

التي تصدر عنها عدة دوريات منها :

Transactions; Camden Series

ولا كانت أفريقيا تستوعب العديد من المسلمين في العالم الآن
هنا تكاد تملأ المجلات التي يصدرها
Islamic Cultural Centre (f. 1944) in London

وهي : The Islamic Quarterly; Islamic Literature

من نصيب كبير عن أفريقيا وأهلها .

هذا وتعتبر Royal Society of Tropical Medicine and Hygiene (f. 1907) — بلا منازع — المرجع الهام الأساسي لكل الدراسات الطبية لدول أفريقيا الناطقة بالانجليزية أو التي سبق واستعمرت واستنزفت خيراتها إلى لندن ومن أهم دورياتها Transactions (6 a year)

أما بالنسبة لدراسات الأنثروبولوجية فان في
Royal Anthropological Institute

of Great Britain and Ireland (f. 1843) ونشاط أعضائها (١٢٥٠ عضوا) ،
وبما قامت به (وتقوم) من بحوث في أفريقيا وبما تنشره في دورياتها

التي أهمها The Journal of the
Royal Anthropological Institute (Quar.); Man (Quar.); Anthro-
pological Index (Guar.).

خير معين ومرشد ومساعد لدارس الأنثروبولوجيا الأفريقية ، كما أن
هناك أيضا الدورية التي تصدر عن

African Studies Association of the U.K. (f. 1963)

وعنوانها African Research and Documentation (3 a year)
فيها الكثير من الموضوعات ذات الصبغة الأنثروبولوجية العامة ، هذا
وتتعدد في فرنسا المعاهد العلمية ذات الاهتمام بالدراسات الأفريقية
أو تلك التي أنشئت أصلا لدراسة موضوع أو دولة من الدول الأفريقية ،
من تلك ، معاهد البحوث والدراسات التالية (١) :

Centre d'Etudes de Géographie Tropicale Mission (f. 1968);

Permanent en Egypte (f. 1974);

Centre de Recherches sur l'Afrique Orientale (f. 1977);

Centre Technique Forestier Tropical;

Institut de Recherches sur le Caoutchouc en Afrique;

Institut d'Ethnologie (f. 1925);

Maison des Sciences de l'Homme (f. 1963);

وتعكس هذه المعاهد والجمعيات بالاضافة الى المعاهد التي
انشأتها فرنسا في الجزائر كما سيأتي بيانه اهتمام فرنسا ، ومن أهم
الدوريات التي تصدرها في فرنسا وتهتم بالدراسات الأفريقية :

Macnism agricole et tropical (Quar.);

Revue d'Elevage et de Médecine Vétérinaire des pays

Tropicaux (Quar.).

L'Agronomie Tropicale (Quar.).

بالاضافة الى الدوريات المتخصصة مثل :

Revue Anthropologique (Annaul);

L'Homme;

Ibid, p. 425-429.

(١)

Objects et Mondes (4 a year, de Musée de l'Homme)

هذا وتعتبر جنوب افريقيا من أكثر الدول اهتماما بالدراسات الافريقية ولها في ذلك أهدافا كثيرة ولعل معهد الدراسات الافريقية

التابع للجمعية الملكية لجنوب افريقيا The African Institute

The Royal Society of South Africa

الذي أنشئ في بريتوريا عام ١٩٦٠ هو أوضحها في نشاطه اذ يهتم بتشجيع القيام بالبحوث العلمية في مختلف أرجاء القارة ونشر الأعمال العلمية وتصدر عنه عدة دوريات منها :

Southern Africa Data;

Communications of the African Institute;

South African Journal of African Affairs (2 a year);

Africa Institute Bulletin (Monthly);

Africa Maps and Statistics (Series).

هذا والجدير بالذكر أن جمهورية جنوب افريقيا تحفل بالكثير والعديد من الجمعيات العلمية (على نسق ونمط الأمم المتحدة) وقد ساعدها على ذلك ظروفها الاقتصادية المنتعشة وظروفها السياسية المنفتحة والهادئة على ما هو متقدم لصالح الدخيل الابيض على القارة الافريقية (موطن السلالات السوداء والسمراء) ، والدليل على ذلك أن الجمعيات ذات الاهتمام الخاص بالدراسات الأنثروبولوجية تأخذ فيها تسمية خاصة لا يغفل عنها أحد ، فمنها

South African Institute of Race Relation

وهي التي أنشئت في جوهانسبرج عام ١٩٢٩ وتصدر عنها :

Race Relations News (Monthly);

A Survey of Race Relations in South Africa (Annual);

ومنها أيضا : South African Bureau of Racial Affairs (SABRA)

التي أنشئت في بريتوريا عام ١٩٤٨ وتصدر عنها :

Journal of Racial Affairs (Quarterly).

ومن أنشط المعاهد للبحوث العلمية في جنوب أفريقيا معهدان :

الأول : Human Sciences Research Council (HSRC).

وقد أنشئ في بريتوريا عام ١٩٦٩ لتوجيه كل البحوث والدراسات الانسانية ، ومن أهم الدوريات التي ينشرها :

HSRC Annual Report;

Humanities;

Research Bulletin (10 a year).

اما الثاني : فهو Institute for the Study of Man in Africa

وقد أنشئ في جوهانسبرج عام ١٩٦٠ وذلك لمتابعة اهتمامات رايمون دارت Dart, R.A. في دراسة الانسان في أفريقيا في الماضي والحاضر في صحته ومرضه ، وهو يعمل من خلال جامعة ويت ووترز راند •

وفي جنوب أفريقيا الكثير من المتاحف التي تحوى الكثير عن الانسان

الافريقى ، ولعل من أهمها متحف South African Museum

في كيب تاون وهو الذى أنشئ عام ١٨٢٥ •

ويوجد معهد الأثنوجرافيا Institute of Ethnography في أكاديمية

العلوم السوفيتية The USSR Academy of Sciences في موسكو ، وكذلك

يوجد معهد أفريقيا The African Institute في تلك الاكاديمية

(انشئ ١٩٦٠) أيضا •

بل أن اسرائيل تلك ، الجديدة أخذت تهتم اهتماما خاصا ولاسباب شتى بعضها ظاهر والآخر ينتظر من يكشف عنه من غير أهل الخفلة ، تهتم بأفريقيا وسكانها ولا أقول أهلها والفرق كبير بين الاثنين (اذ يتبلور هذا الاهتمام في الدول ذات الثروات حتى ولو كان المتحكم في مقاليدها من غير أهلها الاصليين ، انظر الى جنوب افريقيا ، وروديسيا شمالها زامبيا وجنوبها زيمبابوي ، قبل الاستقلال وبعده) •

أقول أن إسرائيل اهتمت بأفريقيا كثيرا فنجدها تشجع البحوث والدراسات عنها وعن أهلها وسكانها ومشكلاتها ومستقبلها وذلك من خلال العديد من الجمعيات العلمية مثل (١) :

Israel Geographical Society (f. 1961)

وهي التي تصدر مجلة *Alon Geography* وكذلك من خلال معاهد ومراكز للبحوث عديدة مثل :

Israel Institute of Applied Social Research (1948 ?)

وهو الذي يصدر بالعبرية *Yedean (Quarterly)*

وبالانجليزية *Biennial Research & Report*

أما معهد *Institute of Asian and African Studies*

فهو أحد وحدات الجامعة العبرية بالقدس وقد انشئ ١٩٧٢ •

فليس غريبا أن نجدها تنشئ *Research Center for the Study of*

Infections and Tropical Diseases,

رغم أنها ليست من دول المناطق المدارية حتى ولا الحارة ، بالقطع لم يكن هذا ترفا عليا ولكنه طرفا تخطيطيا محمودا لها إذا أخذنا الحمد من وجهة مصلحة أهلها وهو واجب النظرة من كل ذوي شأن خاصة الجامعيين منهم •

ويتولى هذا المعهد بالإضافة إلى الدراسة والبحوث ، نشر الكثير من كتب التراث ، من كتبه : فضائل البيت المقدس أوبى بكر محمد ابن أحمد الواسطي حقه وقدم له أ. حسون (سلسلة مكس شلو سنجر التذكارية) ففيه الكثير خاصة للباحثين في التاريخ الوسيط الاسلامي •

ويتشبه هذا المعهد معهدنا العريق العتيق الصامد في القاهرة ، ولكنه متحرك أكثر لما يجده من الذؤاة والجامعة من تشجيع لما يقدمه أساتذة

وطلاب الدراسة والبحث فيه من خطط وموضوعات علمية جديدة
بالدراسة والبحث •

لقد أخذت اسرائيل اهتمامها بأفريقيا من البريطانيين الذين كانوا
يدخلون البلاد استعماراً لها واستنزافاً لخيراتهم لصالح البريطانيين
يدخلون من باب الشفقة والرحمة بأهالى هذه البلاد يدخلوها من باب
العلاج والطب (الجسمى بفتح المستشفيات) والروحي بفتح الكنائس
وكان هذا بداية ظهور ما عرف بعد ذلك باسم الارساليات وما اتصل
بها من ظهور المستشرقين فأخذت اسرائيل تلك الفكرة ونمتها •

هذا وقد بدأت العناية بالدراسات الافريقية فى داخل القارة
وخارجها لأسباب عدة متفاوتة الأهداف والغايات ولكنها تلقى جميعاً فى
سعيها الى معرفة المزيد عن القارة وأهلها وخيراتها ، وفيما يلى بيان بأهم
هذه المعاهد والمراكز العلمية ذات الشهرة العالمية :

Institute of African Research and Studies, Univ. of Cairo,

Institute of African Studies, Univ. of Ibadan;

Institute of African and Asiatic Studies, Khartoun;

Institute of Commonwealth Studies, Univ. of London;

School of Oriental and African Studies, Univ. of London;

Centre for African Studies, Univ. of Cambridge;

Institute of African Studies, Univ. of Ifo;

African Studies Program, Boston Univ.;

Centre for African Studies, Univ. of California;

Institute des Sciences Humaines du Mali, Bamako;

Institute Tchadien pour les Sciences Humaines. Fort Lamy;

Institute de Recherches Scientifiques en Afrique Centrale, Lwiro;

Institut Francais d'Afrique Noire, Daker;

Afrika Studiecentrum, Leiden;

Ecole Pratique des Hauter Eudes (Centre d'Etudes Africaines), Paris.

- . Royal College, Nairobi;
- . Institute of African Studies, Univ. College of Viena
- Institute of Ethiopian Studies, Addis Ababa;
- Institute de Folklore et d'Anthropologie du Nigar. Niamey;
- Centre of African Studies, Univ. of Edinburgh;
- Centre of African Studies, Warsaw Univ.;
- Africa Institute, Academy of Sciences of the USSR, Moscow;
- Mordiska Afrikainstitutet, Uppsala Universiteit;
- Institute of African Studies, Univ. of Ghana;
- Makerere Univ. College, Kampala.

وقد تضمن المركز القومى للبحوث العلمية

Organisme National de la Recherche Scientifique

الذى أنشئ في الجزائر ١٩٥٧ ، العديد من الشعب منها شعبة
الأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والأثنوجرافيا

Centre de Recherches Anthropologique, Prehistoriques
et Ethnographiques (CRAPE)

وغيرها من الشعب ، وان كان يغلب على معاهد وكليات وجامعات الجزائر
(الخمس حاليا) التخصص الموضوعى الا أنها كلها تهتم بالمقام الأول
بالدراسات الخاصة بالوطن الجزائري والصحراء خاصة وبأفريقيا
عامة ، وهو امتداد طبيعى للفكر العلمى الوطنى ، وأيضا لما كان شائعا
زمن السيطرة الفرنسية على الوطن الجزائرى •

ومن المؤسسات العلمية الغانية المهمة بالدراسات والبحوث
الأفريقية Encyclopaedia African Secretariat وقد انشئت ١٩٦٢
لتنشر البحوث العلمية الخاصة بأفريقيا والقيام بالدراسات الميدانية في
شتى مناطق القارة ، ومن تلك المؤسسات أيضا :

Bulletin Ghana Geographical Association (١٩٥٥) وتصدر عنها حولية .
سنوية و Historical Society of Ghana (١٩٥٢) وتصدر عنها :

Transactions (مرتين سنويا) و West African Journal History Teachers (سنويا) ، وهناك أيضا West African Science Association التي تهتم بالدراسات الايكولوجية خاصة النباتية منها وتصدر عنها دورة سنوية هذا بالإضافة الى معهد الدراسات الافريقية Journal
Institute of African Studies (وعنوانه : P.O.B. 73, Legon) وهو تابع
لجامعة غانا Univ. of Ghana • كما يصدر معهد الدراسات الافريقية في
جامعة زامبيا Univ. of Zambia, Institute of African Studies
دورية بعنوان African Social Research (سابقا The Rhodes
Livingstone Journal Human Problems in Central Africa)

وعنوانه Lusaka, Zambia, P.O. Box 900 وكما يوجد معهد
Institut of African Studies في جامعة Ibadan في نيجيريا ومركز
African Centre في جامعة كامبردج ومثله بجامعة أدنبرة بالملكة
المتحدة ، وهي كثيرا ما تصدر الدراسات الخاصة عن أفريقيا •

ولكن هذا النشاط الملموس خارج القارة لا يشفى غليل أهلها
خاصة وقد بدأت نزعة إعادة كتابة تاريخ أفريقيا بأيدي وأفكار أفريقية
تأخذ طريقها الى الوجود ويزداد الاهتمام بها (راجع اعمال المؤتمر
الدولي الثالث للافريكانيين - أديس أبابا ديسمبر ١٩٧٣) حاليا ، أي
بعمامة الاهتمام بتخليص التاريخ الافريقي من قبضة الاستعمار وربط
التاريخ الافريقي بالشعوب الافريقية (١) •

ويعد معهدنا (معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة)
من أعرق معاهد القارة ، اذ انشئ عام ١٩٤٧ باسم معهد الدراسات
السودانية ، لاعداد الباحثين في مجال الدراسات السودانية ثم الافريقية
(مقدي عام ١٩٥٥) في مجالين أساسيين من مجالات المعرفة الإنسانية
هما التاريخ والاثار ، والجغرافيا والانثروبولوجيا •

(١) محمد السيد غلاب : المؤتمر الدولي الثالث للافريكانيين

مجلة الدراسات الإفريقية ، ع ١٩٧٤ : ٢٣٧ - ٢٥٣ •

واستمر الوضع بهذا النظام حتى عام ١٩٧١ عندما طورت الدراسة بالمعهد جزريا بحيث دخلت البحوث في نطاق اهتمام المعهد كشق هام من مجال اهتمامه ومنذ ذلك العام تعددت التخصصات العلمية بالمعهد بحيث أصبحت ست هي : الجغرافيا ، التاريخ ، الانثروبولوجيا ، اللغات ، النظم السياسية والاقتصادية ، الموارد الطبيعية . كما صدرت منذ عام ١٩٧٢ مجلة الدراسات الافريقية

African Studies Review

عن المعهد ، وتصدر سنويا في مجلد واحد والأمل معقود الى أن يزداد قريبا الى اثنين ، كما تصدر نشرة بحوث علمية وبنص الاصدارات الخاصة .

ويبدو أن المدرسة النيجيرية (في الدراسات الأفريقية سواء الجغرافية أو الأنثروبولوجية . الخ) سوف تحمل لواء زعامة الدراسات الافريقية داخل القارة السوداء ، خاصة معهد ايفي Ife (X) ، وغالبا أن هذا صحيح لما أصبح لنيجيريا حاليا من مركز اقتصادي متميز ، وهذا لا يقلل من أهمية نشاط معهد الدراسات الافريقية في جامعة أكرا ، ولا في نيروبي خاصة لما يقوم به الجغرافيون في الأخيرة من نشاط ملموس ، وكذلك معهدنا بالقاهرة ، الذي أخذت آثار نشاطه تظهر سنة بعد أخرى خاصة بعد تطوره الحديث بعد عام ١٩٧١ .

(*) كما ذكر د. دافيد ماكماستر D. McMaster (رئيس مركز الدراسات الافريقية بجامعة ادنبرة) الذي درس ودرس في العديد من المعاهد الافريقية في أوغندا وكينيا وغرب افريقيا (مقابلة له بمكتبه صباح الجمعة ٦ يونيو ١٩٨٠) .

الكشاف المشرح

مجلة الدراسات الافريقية جامعة القاهرة للاعداد ١ - ٥

(١٩٧٢ - ١٩٧٧)

رؤوس الموضوعات المستخدمة في الكشاف :

أدب	١ - ٢	جيمورفولوجيا	٢٢
اقتصاد	٣	تاريخ حديث	٢٣ - ٢٩
انثروبولوجيا اجتماعية	٤	تاريخ عصور وسطى	٣٠ - ٣٣
انثروبولوجيا ثقافية	٥	تاريخ قديم	٣٤ - ٣٥
انثروبولوجيا طبيعية	٦ - ٧	لغات	٣٦
انثروبولوجيا عامة	٨ - ١٢	سياسة	٣٧ - ٤٨
جغرافيا أديان	١٣	موارد طبيعية	
جغرافيا اقتصادية	١٤ - ١٧	(ثروة حيوانية)	٤٩ - ٥٠
جغرافيا تاريخية	١٨	موارد طبيعية	
جغرافيا طبيعية	١٩	(ثروة وراثية)	٥١
جغرافيا مدن	٢٠ - ٢١	عامة	٥٢ - ٥٣

الموضوعات :

الأدب :

- ١ - حسن عثمان : أفريقيا في جسيم دانتي ٠ ع ١٤ ، ١٩٧٢ ، ص ٩ - ٣٦ (مكتبة البحث ص ٤٥ - ٤٦) ٠

كانت الأجزاء المعروفة والسكونة من القارة الافريقية في العصور الوسطى تقوم بدور ملموس بارز في كل تواجى الحياة وعلى ذلك فقد

كان لها نصيب في كوميديّة دانتي الالهية التي كانت من درر تراث عصر النهضة .

وقد تعرضت الدراسة لأهم هذه النقاط كما وردت في جحيم دانتي التي أخذ دانتي إليها كثير من الصور الافريقية : أحداث التاريخ ، الناس ، الدول ، الصحارى ، الغابات ، الشواطىء وأخيرا النيل ، ثم جمعها كلها في دراما خالدة حاول بها نقل الفكرة التي كان يرمى إليها .

وبالرغم من أن المقابل يعد اصدارة ثانية منقحة فريدة الا أنها تعطى فكرة واضحة عن مفهوم القارة الافريقية عند كتاب وأدباء عصر النهضة . والمقابل يفتح الشهية لاشك للحرص على مزيد من قراءة أهم روائع دانتي ممثلة في أجزاء الكوميديا الثلاث (الجحيم — المطهر — الفردوس) وهي التي نقلها المؤلف للعربية ونشرتها دار المعارف بمصر (ط ٢ ، ابتداء من ١٩٥٥) .

وكما خلد دانتي بالكوميديا ، فان المؤلف (حسن عثمان كامل) قد برزت شخصيته و اخلاقياته في ترجمته وتعليقاته وتحليلاته عليها لذلك استحق بحق وجدارة الخلد والتقدير فقد كان انسانا انسانيا .

٢ ————— بعض ملامح أفريقية في مطهر دنّتي مج ٢ ١٩٧٣ ، ص ١٥٧ — ١٩٧٧ (مكتبة البحث ص ١٧٦ — ١٧٧) .

عرف حسن عثمان كامل بمترجم دانتي ، وهو بحق دانتي مصر ، فهو فنان وشاعر بالخلق والسلوك فكان نعم الاستاذ ولقد خلف نعم المدرسة الاخلاقية والسلوكية حبا ووفاء وسلاما .

يعرض المقال بعض الملامح الافريقية من المطهر الذي هو الجزء الثاني بعد الجحيم من :

Dante Alighicré : La Divina Commedia

التي تعرف باسم الكوميديا الالهية ، وهي تلك التي شملت الفردوس كقسم ثالث وأخير . وقد قام المؤلف بترجمة الاقسام الثلاث ونشرتها

دار المعارف بمصر بالقاهرة (انظر مقدمة حسن عثمان لترجمته للمطهر ط ٢ ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥) وأوضحت الدراسة أن معرفة أوروبا ما قبل عصر النهضة بأفريقيا بدأت منذ العصور الوسطى وما قبلها عن طريق الرحلات وأثناء الحروب الصليبية فكانت أن دخلت عناصر أفريقية في ثنايا الأدب الإيطالي (ص ١٥٨) وأخذت تتطور حتى ظهور دانتي البجيري (١٢٦٥ - ١٣٢١) الشاعر السياسي الجندي الفنان الذي شبه أشد أجزاء المطهر حرارة باثيوبيا التي كانت تعرف عند جغرافي العصور الوسطى بأنها في المنطقة الاستوائية (؟) (ص ١٥٩) شديدة الحرارة .

وقد وضع دانتي نفسه مع فرجيليو في مقدمة المطهر ، كما ربط بين حلول الظهر في نصف الكرة الجنوبي وحلول الليل في نصف الكرة الشمالي بين نهر الكنج ومراكش ، ونار المطهر وسكان المناطق الحارة في الهند واثيوبيا .

ولقد اختتم الباحث مقالته بمقولته الأدبية : « هذه هي الصورة التي استمدجها دانتي في المطهر من أساطير أفريقيا وتاريخها وبيئتها ، وفي المطهر كما في الجحيم لم تبد واحدة من الصور الأفريقية قلقة في موضعها أو ... وبذلك تكون أفريقيا قد أسهمت في بناء هذا التراث العظيم » .

الاقتصاد :

M. A.G. Seoudé : The October 6 War and African Economy. — ٣
Vol. 4, 1975, p. I - 20 (Bibl. p. 20).

دراسة باللغة الانجليزية عن حرب ٦ أكتوبر والاقتصاد الإفريقي (في سمات جامعة القاهرة أكتوبر ١٩٧٥) يذكر الباحث أنه في العلاقات الدولية سواء السياسية أو الاقتصادية ليس هناك من يكسب دائما وباستمرار .

وقد ركزت الدراسة على أثر حرب ٦ أكتوبر التي خاضتها مصر ضد إسرائيل من موضع أفريقي ، على الاقتصاد الأفريقي من وجهة نظر نقطتين هما : قناة السويس والبتترول •

فمن قناة السويس استعرضت الدراسة حركة الملاحة خلال الربع قرن المنتهى ١٩٧٤ ، ثم أثر حرب أكتوبر على هذا الانتاج من حيث ميزان المدفوعات وتطوره بالنسبة لكثير من الدول الأفريقية في شرق وغرب وشمال أفريقيا ثم قلة مصادر الطاقة الأخرى في أفريقيا وكفاح الدول الأفريقية في سبيل التنمية وعن كيفية مواجهة الدول الأفريقية ومشكلة زيادة أسعار البترول أوردت الدراسة آراء كثيرة في نقاط عدة مثل : طبيعة الاقتصاد الأفريقي ، مشكلة الموارد الغذائية في أفريقيا ، والعلاقة بين الدول الأفريقية والدول العربية ، مكاسب الدول البترولية الأفريقية غير العربية من وراء حرب أكتوبر وحاجة الدول العربية للتنمية ، ثم أخيرا استراتيجية الدول العربية تجاه الدول الأفريقية •

الانثروبولوجيا الاجتماعية :

S. Shaaban : Bedsha - Hadandowa, Eine Wissenschaftliche — ٤
Forschungsreise in das Gebiet der Bedscha.
Vol. 1, 1972, p. 43 - 62, illus. (Bibl. p. 62).

مقال بالالمانية ، يدرس انثروبولوجية قبائل البجا التي تعيش في شرق السودان وادى النيل ، وقد تضمنت الدراسة استعراضا للحياة الاجتماعية والثقافية لاحدى هذه القبائل هي قبيلة الهدندوة موضحة مدى تأثير الحضارة العربية والاسلامية على حياة الاسرة وذلك من خلال اجتماعيات : الولادة ، الطفولة والشباب ، الخطوبة ، والقران والزواج والحمل ، الأمراض ، العناية الصحية ، الوفاة • وقد تضمن هذا البحث الانثوجرافى الذى يعد تلخيصا لدراسة ميدانية أجريت أثناء الاعداد للدكتوراه بمحضر الضيورة التي تمثل الادوات والآلات المستعملة •

الانثروبولوجيا الثقافية :

S. Shaaban : Bedsha - Hadandowa; Ein Anthropologische
Farshungsreise in Das Gebite der Bedscha. Vol. 3, 1974, p. 17-39,
illus. (Bibl. p. 39).

مقال بالالمانية ، يدرس الحضارة المادية لدى قبائل الهدندوة وهو
تكملة للمقال السابق الخاص بالحياة الاجتماعية .

وقد تضمنت الدراسة عرضا لانماط الاحياء السكنية ، وأنماط
البيوت من مساكن مؤقتة ومساكن ثابتة ، ثم الاثاث والادوات المنزلية،
الملابس والمجوهرات ، وأخيرا الغذاء وطريقة اعداده .

وتتقسم منطقة البحث الى المنطقة الشمالية الواقعة فيما بين
بور سودان ودرديب وهنا نجد التجمعات تتركز بجوار المدن وحول
الجبال وخاصة مدن بور سودان وسنكات وجبيت ففى بور سودان
نجد ديم العرب الذى يعتبر أقدم احياءها ولا يفصله عنها الا شارع
واحد فى غرب بور سودان ، ومنازل الحى متواجدة بانتظام بحيث
يستطيع الاقارب السكن بجوار بعض وتفضل كل جماعة شارع معين .

أما فى الجنوب فتوجد التجمعات فى دلتا الجاش فى قرى كثيرة على
عكس الحال فى الشمال ، وهى متشابهة من حيث الشكل والنظام فيما
عدا مساكن الرعاة الذين يسكنون خارج الاحياء السكنية .

وعرضت الدراسة بعد ذلك الأشكال المساكن (الدائمة والمؤقتة)
وأثاث البيت البسيط فى تكوينها وكذلك الملابس والتزين اما الغذاء
فقد درس من حيث المكونات وطريقة الاعداد .

الأنثروبولوجيا الطبيعية :

٦ — F.A. Gawad Shewika : The development of Stature, Weight and Ponderal Index in Children in Three Different Environments. Vol. 4, 1975, p. 63-83, illus. (Bibl. p. 83).

جمع الباحث قياسات عن ارتفاع القامة وعن وزن الجسم لعدد ٢٤٠ حالة من الذكور والاناث لاطفال من مدينة القاهرة ومن بندر شربين ومن قرية كلابشة الجديدة ، واستخرج منها معامل بنية الجسم بطريقة بوندلر ، وصنف المادة المجمعة طبقا للنوع ولفئات السن ، ثم جرى عليها بعض عمليات التحليل الاحصائي (المتوسط ، الانحراف المعياري ، معامل الخطأ لكل منهما) حيث اتضح قلة التباين بين المجموعات الثلاث (ذكور واناث) وان كانت المجموعة الممثلة لبندر شربين أظهرت تفوقا على المجموعتين الاخرين بدرجة قليلة ، وقد أرجع الباحث ذلك الى اختلاف البيئة خاصة تأثير الغذاء أكثر مما ترجع الى فروق انثروبولوجية .

وهذا يدل على عظم تأثير البيئة على تكوين جسم الانسان خاصة خلال فترة النمو التي يبدأ خلالها الجسم في اتخاذ شكله الخارجى متأثرا بظروف المحيط البيئى وبالعوامل الوراثية المتوارثة والتي غالباً ما تكون حاملة لكثير من مكونات البيئة المنقولة خلال الاجيال المتعاقبة . والدراسة بذلك تحمل الدعوة الى الاهتمام بتنمية الظروف الايكولوجية، خاصة فيما يتعلق بانتاج المواد الغذائية والاهتمام بتغذية الاطفال الصغار في المدارس .

٧ — السيد غلاب ، نجيب نصار ، فاروق عبد الجواد شويقة : التكرار الجينى لاليات مجموعة الدم ABO في بعض مناطق مصر ، وعلاقتها بتوزيع السلالات البشرية في القارة الافريقية ع ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ٢٠٣ — ٢١٠ مصور (بيبلوجرافية ص ٢١٠) .

قام الباحث بالجمع الاحصائي لعينات الدراسة (ماعدا عينة أسيوط) كما قام بعمليات التحليل الاحصائي واستخراج معدل التكرار

الجيني طبقا لمعادلة طنطاوى (١٩٦٦) لكل من الأليات الثلاث
 $(I^A)p$ ، $(I^B)q$ ، $(i)r$ ثم قام بعملية اعداد الجداول للمقارنة
والتحليل والربط ورسم الخرائط •

وقد اعتمدت الدراسة على عينات مستمدة من سجلات فصائل الدم
من المستشفيات الجامعية في القاهرة والمنصورة وأسيوط ، وقد وصل
عدد العينات الى ١٠٦١ عينة من القاهرة ، ١٥٠٣ عينة من المنصورة ،
٦٦٥ عينة من أسيوط بالإضافة الى عينات أخرى مستمدة من مصادر
علمية موثوق بها حيث دلت على صحة قول هاريسون (١٩٦٤) من
تناقص تكرار الجين i (فصيلة O) في وادي النيل كلما اتجهنا
من الجنوب الى الشمال (الصعيد ٦٠ — ٧٠٪) هاريسون ، الدراسة
الحالية ٦٩٢٥ في أسوان ، ٦٠ — ٤٠ هاريسون في الدلتا وشبه جزيرة
سيناء ، والدراسة الحالية ٥٥ في القاهرة و٥٦٣٩ في المنصورة •

وقد أكدت هذه النتائج تقرير كل من عونى وكامل (١٩٦٥) ، وفوزى
وعايدة (١٩٧٣) ، ودراسة هاريسون عن الجماعات العرقية الافريقية
وتميزها من أنها تلك العشيرة التى تختلف عن العشائر الأخرى في تكرار
بعض جيناتها (السلالة البشرية = عشيرة من الجينات) •

ومن الموضوعات البحثية الأخرى الجديرة بالاهتمام والتي أظهرتها
الدراسة وجود تكرار عال للجين i في جزيرة سوقطرة يقرب من
٨١٪ مما يدعو للتساؤل حقا ؟ ويفتح مجالا جديدا لمزيد من البحث
والدراسة في مجال دراسة وبحوث وراثية السلالات والشعوب
الافريقية •

الانثروبولوجيا العامة :

٨ — السعيد ابراهيم البدوي : النوبياريون ، دراسة انثروبولوجية

ع ١٤ ، ١٩٧٢ ، ص ٧١ — ١٠٠ صور •

يعرض المقال دراسة اثنوجرافية تحليلية لشعب وناس النوبا الذين
يستوطنون جبال النوبا في الركن الجنوبي الشرقى من مديرية كردفان

في سودان وادى النيل • وقد تضمنت الدراسة التي اهتمت أهتمامنا بالمجموعة التي تقطن دار نوبا بالجوانب التالية : أصل النوباويين ولغاتهم وعاداتهم وعلاقتهم بالنوبيين (اهالى القسم الشمالى من وادى النيل الاوسط) •

ولقد حلت الدراسة كثير من المصطلحات والمفاهيم الأنثروبولوجية التي عرضها سلجمان ومحمد عوض ومردوك ونادل وغيرهم • وهى تفتح كثير من نقاط البحث ، التي تحتاج لزيد من الدراسة الانثروبولوجية المتعمقة المتخصصة الدقيقة • خاصة وان هذه المنطقة وشعبها ذات صلة بما يجاورها من أقاليم وشعوب مما فتحت معه مجالات متسعة من الاختلاط والتفاعل كان لها أكبر الاثر على التكوين الانثروبولوجى بمعناه الواسع لكل من وسط وغرب وجنوب سودان وادى النيل •

وتزخر الدراسة بعرض كثير من الجوانب الاجتماعية والثقافية للشعب النوباوى ثم لعل من أقيم اجزاء الدراسة الجزء الخاص باللغة وعلاقتها باللغات المجاورة خاصة النوبية • والدراسة بذلك نمط للدراسة الانثروولوجية المكتبية التقليدية القيمة •

٩ — سعاد شعبان : قرية العشى ، دراسة انثروبولوجية ميدانية ع ٤ ، ١٩٧٥ ، ص ٢٣٥ — ٢٧٢ •

دراسة اثنوجرافية لقرية العشى في مركز الاقصر بمحافظة قنا بصعيد مصر ، وتتضمن دراسة وصفية دقيقة عن أحوال هذه القرية التي تمتد على ضفة النيل الشرقية شمال مدينة الاقصر بخوالى ١٢ كيلو متر وقد بنيت الدراسة على اقامة حقليية تمت (في صيف ١٩٧٤) حيث جمع مادتها طلاب قسم الانثروبولوجيا بالمعهد تحت اشراف الباحثة •

وقد تضمنت الدراسة تحديداً للموقع الجغرافى للقرية ووصف للمنزل من الخارج والداخل ووصف للملابس التي يرتديها الرجال

والنساء والاطفال في المناسبات المختلفة وأيضا وصفا لاكفان الموتى •
إما عن الغذاء فقد اهتمت الدراسة بنظام الوجبات ومكوناتها المادية
وتطرقنا الى الادوات التي يصنع فيها الغذاء مع اقباضة في وصف
أدوات صناعة الخبز التي تصنع كل أنواعه داخل البيوت وعن الجانب
الاقتصادي وصفت الدراسة الحرف مع اقباضة في الزراعة التي تمثل
العمود الفقري للحرف وفي الجانب السياسي أوردت أسماء البدنات
التي تنقسم اليها القرية (تسع بدنات تتضمن سكان القرية ٨ آلاف
نسمة) •

وفي الجانب الاجتماعي وصفت علاقة السلطة الرسمية (العمدة ،
المشايع ثم الوحدة المحلية بعد ١٩٦٠) والسلطة غير الرسمية (كبار
السن والمجالس العرفية) بالضبط الاجتماعي • كما أسهمت في نظم
القرابة والمصاهرة حيث أوضحت شيوع الزواج الداخلي وكذا مركز
كلا من الرجل والمرأة في المجتمع خاصة خلال دورة حياة الفرد خاصة
خلال مرحلة الزواج والوفاة ، وبينت ان هناك بقايا لعادة الثأر مازالت
شائعة •

ولم تغفل الدراسة الناحية التعليمية والصحية حيث أوضحت انه
هناك مدرسة ابتدائية عادية واخرى ازهرية بالاضافة الى ثلاث كتاتيب
لتحفيظ القرآن • ووصفت الدراسة باسهاب مفيد اساليب التطبيب
الشعبي السائدة رغم وجود الوحدة الصحية التي بها كل الوسائل
العلاجية الحديثة وانتهت الدراسة بعرض الناحية الدينية ثم بملخص
ونبأج البحث •

١٠ - سعاد شعبان : قرية هورن ، دراسة انثروبولوجية ميدانية
ع ٢٤ ، ١٩٧٣ ، ص ٢٥٣ - ٢٩١ مصور •

دراسة انثروبولوجية ميدانية تهدف الى التعرف على جميع عناصر
الحياة الاجتماعية والحضارية في هذه القرية الكبرى في مركز بركة
السبع اذ أنها تتبعها ٦ نواحي •

وكان هدف الدراسة تسجيل الملامح الثقافية في القرية قبل أن يدهمها تيار التغير الاجتماعي السريع (ص ٥٤) ، وقد اعتمدت في ذلك على الملاحظة والمشاركة لسلوك وتصرفات الافراد في ضوء القيم والعقائد السائدة في المجتمع .

وقد ذكرت أنه يقال أن الاسم مشتق من اسم سيدة « رين » حور الى هورين فيما بعد ، وتعنى هواء نقي عندما شفيت رين من مرض ألم بها .

ويصف البحث الدار التي يعيش فيها الفلاح وصفا تفصيليا من الداخل والخارج (ص ٢٥٦ - ٢٥٩) وذكر أن مساحة الارض المنزرعة لا تتعدى حوالى ٢١٤٣ فداناً بينما عدد السكان المقيمين بالقرية ٩ آلاف نسمة (ص ٢٦٠) .

كما وصفت الدراسة القرية والمحاصيل الزراعية ونظام الري والصرف والحياسة والملكية ، وعملت تعاون واستمرار المجتمع بعدم وجود اقطاع (لم يطبق قانون اصلاح الزراعى الاول على احد) ، وأوردت نظامى سداد الاجر بين نظام المسانية (السداد العيني بين الحرفى والمزارع) و (نظام الاجر النقدي) .

وأرجحت أصول العائلات الكبرى الى مواطنها الاصلية مثل الرخاوى الى ميت رخا بمركز زفتى . الخ وذكرت ان التزواج كان داخلى أساسا للمحافظة على التماسك الاجتماعى والاحتفاظ بالارض الزراعية .

وعن التعليم الرسمى والتعليم الاهلى (غير الرسمى) وكلاهما يقوم بدوره في القرية ، كما ورد وصف قيم لعادات الزواج والوفاء وما يصاحبهما من اجراءات وعادات ودور رجال الدين فيهما .

وانتهت الدراسة الى ذكر توصيات فريق البحث .

١١. — فاروق عبد الجواد شويقة : الاكلوجيا البشرية ، المفهوم والمجال والهدف ع ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ١٨٣ — ٢٠١ (بييلوجرافية ٢٠٠ — ٢٠١) •

عرفت الدراسة مصطلح الاكلوجيا بان اصله المانى ، اذ وضعه عالم الاحياء ارنست هيكل E. Heeckl ، وهو يعنى العلم الذى يبحث فى التفاعل المتبادل بين البيئة والكائنات الحية ، وهو يعنى بالنسبة للاكلوجيا البشرية : العلم الذى يبحث فى التفاعل بين الانسان وبين عناصر ومكونات المكان (المحيط) وذلك نقلا عن الاصل اليونانى لكلمة ايكلوجيا التى تعنى المنزل Heuse . وقد نوقش التعريف الذى وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة وتوصل الى شرح جديد له فى ضوء التعريف الوارد فى قاموس اكسفورد التاريخى ، وقاموس وبستر الكبير •

وقد قسم المقال مجال الموضوع الى : الاكلوجيا الطبيعية ، والاكلوجيا الاجتماعية ، والاكلوجيا الحيوية وقسمت الاخيرة الى النباتية والحيوانية والبشرية • وذكر ان الاكلوجيا البشرية تعتمد فى بحوثها ودراساتها على مجالين هما : الجغرافيا الاقليمية الدقيقة ، والجغرافيا الانثروبولوجية ، ويشمل الأول دراسة التربة والمناخ الطبى وسلاسل الغذاء كما يشمل المجال الثانى دراسة التفاعل بين الانسان والبيئة ، كما يشمل العلوم الاجتماعية وبالتحديد علم السكان وعلم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع وعلم الأجنة البشرية •

وقد ذكرت الدراسة عدة نماذج من وسائل قياس تأثير الكائن الحى بالبيئة ، وأوضحت ان هذا التأثير يأتى اساسا من خلال تأثير المناخ والغذاء ، واختتم المقال بأن ذكر ان نجاح الانسان فى الحياة يتركز فى التعايش الانسب وفى خلق التوازن الامثل مع كائنات محيط البيئى وهو فى سبيل ذلك يجب أن يلجأ الى المنهج التكاملى •

١٢ — فاروق عبد الجواد شويقة : الأقسام الأفريقيون ع ٥ ،
١٩٧٦ ، ص ١٠١ — ١٠١ مصور (بيلورافية ص ٩٦ — ١٠١) •

بحث في الأنثروبولوجيا الأيكولوجية عن الأقسام الأفريقيون ،
فبعد أن استعرض مفهوم مصطلح الأثنولوجيا والسلالة وما يقابلها
من مصطلحات غربية ، انتقل الى تحديد مناهج القزامة والقماءة
النبريللو والنجرينو في المفاهيم الحديثة والقديمة من حيث القيم المادية
والمعنوية ثم تطرق الى المفهوم البيولوجي للأقسام والأفريقيون خاصة،
من خلال تأثير الظروف الأيكولوجية •

ولقد اتضح وجود علاقة ترابط (٢٢٠) بين القزامة وبين القرب
من خط الاستواء خاصة في أفريقيا وللمقارنة ذكر الباحث عدة مقاسات
أنثروبومترية لعينة من القزامة •

وانتهت الدراسة الى عدة نتائج أهمها :

١ — انه لا يوجد فيما عدا القامة القزمية والمظهر الطفولي للوجه
أى فرق بين الأقسام وبين جيرانهم الزراع •

٢ — ان الأقسام هم أقدم الأنماط البيولوجية للجنس والنوع
الانسانى وانهم معرضين حاليا للانكماش والتقلص عددا وانتشارا •

٣ — انهم يعيشون على أدنى الأنماط الاقتصادية حيث يقومون
على الاستهلاك الكامل للبيئة ، وهم يتعايشون ويخدمون جيرانهم من
الزنج في نظام تكافل كامل •

جغرافيا الأديان :

١٣ — سليمان عبد الستار خاطر : أفريقيا الإسلامية ، دراسة
للدول الإسلامية والمسلمون القارة ، ع ٥ ، ١٩٧٦ ، ص ٢٢١ — ٢٥٧
مصور •

البحث دراسة جغرافية للدول الاسلامية والمسلمين في القارة
الافريقية فبعد استعراض مكانة القارة الافريقية (المتميزة) ذكرت
أن أفريقيا الاسلامية تمثل ٦٥٪ من سكان القاري ونحو ٢٦٪ من
جملة مسلمي العالم (ص ٢٢٢) ، واستعرض البحث بعد ذلك مداخل
الاسلام ومسالك انتشاره في أفريقيا (ص ٢٢٣ - ٢٣١) ثم الدول
الاسلامية المعيار الرسمي (السياسي الدستوري) ثم المعيار العددي
الاحصائي وهو الذي اتفق الكثيرون على الأخذ به .

وعرضت الدراسة نتائجها أيضا في خرائط واشكال قيمة جديدة
حيث اقترحت تقسيم القارة لى ثلاثة مجموعات هي :

(أ) الدول الاسلامية وهي التي تزيد نسبة المسلمين بها عن
٥٠٪ من سكانها وعددها ٢٦ دولة .

(ب) دول ذات أقلية اسلامية وهي التي يبلغ عدد المسلمين بكل
منها ما بين ٥٠ - ٥٢٪ ويبلغ عددها ١٢ دولة .

(ج) الدول غير الاسلامية وهي التي تبلغ قيمة المسلمين بها أقل
من ٢٥٪ .

وفي نظرة الى المستقبل تشجع الدراسة اللقاء (الدعوة الى
الاسلام) بين القبائل الوطنية الافريقية في غرب ووسط ووجنوب
القارة وتلك حقيقة هامة .

وبحق تعد الدراسة احياء لحركة علمية ساهم البعض فيها (بالاضافة
الى المصادر المذكورة) باعداد رسائل علمية (مثل : فاروق عبد الجواد :
الاسلام والمسلمون في شرق افريقيا . رسالة ماجستير في الدراسات
الافريقية ، ١٩٦٠) وعندى أن أفريقيا هي قارة الاسلام كما أنها
قارة المستقبل .

الجغرافيا الاقتصادية :

١٤ — السعيد البدوي : افريقيا الاستوائية ، دراسة في علاقة السكان بالتنمية الاقتصادية ع ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ٢٣ — ٥٧ •

دراسة تكميلية ، لموضوع الظروف الطبيعية لافريقيا الاستوائية وانعكاسها على النواحي الاقتصادية والاجتماعية (مجلة الدراسات الافريقية ، ع ٣ ، ١٩٧٢) اما الدراسة الحالية فقد اهتمت (كما ذكرت ص ٢٣) بالتركيز على نقطتين اساسيتين : انعكاس الظروف الجغرافية العامة على توزيع السكان يسلاليا وكميا ، ثم السكان والتنمية الاقتصادية •

وقد حدد المقال نطاق دراسته بالدول التالية : الكنگو ، زائير ، الجابون ، الكاميرون ، افريقيا الوسطى ، غينيا الاستوائية باعتبار ان الظروف الاستوائية تسود فيها بوضوح • وقسمت لدراسة المنطقة من الناحية الطبيعية الى : الساحل الغربى ، السهل الساحلى ، الحوض الداخلى ، المرتفعات المحيطة • وذكرت ان ظروف التضاريس تعكس تأثيرها على الظروف الطبيعية الأخرى (ص ٢٥) لدرجة ان الهضاب الشمالية والشرقية ارتبطت كثيرا بالحضارات الاسيوية •

وعن الأقسام ذكر المقال أنهم كانوا يشغلون كل المناطق ذات المناخ الاستوائي • اما انزوائهم الحالى فقد تم نتيجة مطاردة عناصر قزمية اخرى (؟) ، وبعد أن استعرضت الدراسة اصل العناصر الاخرى (الزنوج البانتو والخاص والنيليون) انتقلت الى تأثير العرب فى المنطقة بعد قدومهم من الشرق والشمال الشرقى للعمل فى التجارة حيث ساعدوا فى اقامة ممالك قوية •

وتذكر الدراسة انه لم يحدث تغيير يذكر فى التكوين السلالى للسكان الا فى بعض المواقع بعد كشف القارة ودخول العرب للقيام بالتجارة التى كان لها تأثير واضح على السكان الوطنيين (ص ٢٩) •

ومن نقاط الدراسة التى اوضحها المقال توزيع السكان وكثافتهم فى افريقيا الوسطى الاستوائية (ص ٢٩ - ٣٣) وما يتصل بها من نمو السكان والنمو الاقتصادى وعلاقة السكان بالتنمية الاقتصادية وهى المواضيع الثلاث التى اهتمت بها الدراسة فى صفحاتها التالية حتى نهاية المقال •

فعن النمو السكانى ذكرت ان الزيادة السنوية فى افريقيا الاستوائية (١٩٧٠) كانت تدور حوالى ١.٥٪ أى أقل من معدل القارة كلها (٢.٥٪) ومع ذلك فهناك مناطق تتجاوز زيادتها هذا المعدل (مثل زائير ٣٪) فاذا ما اتضح ارتفاع معدل المواليد والوفيات والخصوبة العام ووفيات الاطفال (ص ٣٢) لاتضح مدى انخفاض مستوى الرعاية الصحية والاجتماعية •

وقد اتضح عن استعراض موضوع التنمية الاقتصادية أن متوسط دخل الفرد فى معظم دول افريقيا الاستوائية (١٩٦٦) متوسط بالمقارنة ببعض الدول الافريقية الاخرى ولا يشذ عن هذه القاعدة سوى زائير ويبدو أن هذا بسبب اعتمادها على الزراعة أساسا • وفى موضوع التنمية الاقتصادية عرضت الدراسة لبعض المشكلات مثل الهجرة من الريف للحضر وقلة التخطيط وضعف الكفاءة الادارية المتقدمة •

١٥ — Z.E. Abd El Maksoud : The Southern Sudan; a study in rural and use development. Vol. 5, 1976; p. 81-104.

بحث باللغة الانجليزية عن استخدام الارض الريفى فى جنوب السودان ، حيث يعرض امكانيات استخدامات الارض فى الانتاج الريفى فى جنوب السودان تلك المنطقة البكر التى تحوى الكثير والعديد من امكانيات النمو والتنمية الاقتصادية والاجتماعية التى تعتمد على التخطيط الريفى كمخرج اساسى لمشكلة التخلف الاقتصادى خاصة نقص الغذاء •

وبعد استعراض الظروف الايكولوجية العامة ، استعرض الباحث امكانيات الزراعة والثروة الحيوانية الثروة الغابية ، ثم تطرق الى المشكلات التي تواجه عمليات التنمية ، خاصة منذ عام ١٩٧٥/٧٤ عندما وضعت خطة عملية لمواجهة المشكلات الحادة التي تواجه عملية مساهمة المناطق الجنوبية في السودان في أخذ دورها في الانتاج الغذاء وموارده في العالم (العربي والافريقي) عن طريق تكثيف خطط التنمية الزراعية والحيوانية في هذه المناطق .

١٦ - محمد عبد الغنى سعودى : الوجود الاقتصادى الصينى في افريقيا ع ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ١ - ٢٢ .

ذكر المقال أن الصين أصبحت عام ١٩٥٠ قوة اقليمية أسيوية ثم دخلت المجال العالمى منذ قبيل الحرب العالمية الثانية ثم ظهرت على المسرح الافريقى بصورة واضحة منذ مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ لدرجة أنه وصل عدد الدول التي اعترفت بالصين في عام ١٩٦٩ الى ١٣ دولة أفريقية كما ظهر أثر الصين في تأييد حركات التحور وفي زيادة العون الاقتصادى ، والجدير بالذكر أن مصر كانت أول دولة افريقية اعترفت بالصين ، وقد بنى دستور العلاقات الصينية على أربع نقاط هي : السلام والحياد وعدم الانحياز - تأمين وحدة الشعوب والاقطار - الاعتماد على النفس في سبيل التقدم الاقتصادى - الحل السلمى لمشكلات الحدود (ص ٥) وقسمت الدراسة مراحل العلاقات الافريقية الصينية الى المراحل التالية (نقلا عن دراسة G.T.Yu التي نشرها الكتاب السنوى للاهتمامات العالمية World Affaairs لندن ١٩٧٠) :

١ - فترة من ١٩٤٩ - ١٩٥٥ التي لم يكن فيها للصين أثر ذو بال في افريقيا .

٢ - من ١٩٥٠ (مؤتمر باندونج) - ١٩٦٠ حيث اكتسبت الصين اعتراف أربع دول افريقية بعد أن مدت الصين يدها لافريقيا .

٣ - الفترة من ٦٠ - ١٩٦٥ التى تمثل مرحلة الطفرة فى العلاقات ، حيث حصلت خلالها ٢٩ مستمرة افريقية على الاستقلال وتمت خلال هذه الفترة زيادة شواين لاي لافريقيا كما قام عدد من رؤساء أفريقيا بزيارة بكين كما وصلت المساعدات الصينية لافريقيا الى نحو ٧٠٪ من قيمة المساعدات الصينية الخارجية •

٤ - مرحلة التركيز دون التعميم (١٩٦٥ - ١٩٧٠) حيث أنهت العلاقات الدبلوماسية مع غانا وداهومى وافريقيا الوسطى •

وقد أوضحت الدراسة أن الصين اعتمدت فى تدعيم علاقاتها بالدول الافريقية على أنها تعتبر من الدول النامية مثلهم كما أنها من الدول غير البيضاء كالأفارقة ولقد كانت الصين سريعة الاستجابة فى استخدام وسائل تدعيم العلاقات حيث لجأت الى اتفاقية الصداقة والتحالف والاتفاقيات الثقافية واتفاقيات التجارب وقد ركزت الدراسة على تجارة الصين الخارجية مع افريقيا فأوضحت أنها بلغت ٢٢٪ من جملة تجارته الخارجية عام ١٩٦٥ طلبا لسلع معينة بالذات (القطن من مصر وأوغندا والقرنفل من زنجبار) أما عن المساعدات الاقتصادية فكانت للجزائر النصيب الأكبر (١٠ مليون دولار) من المنح عام ١٩٥٥ كما منحت كل من غانا ، ومالى ١٩٦٦ مليون دولار كقروض فى نفس السنة (مصر ٨٠ مليون قرض عام ١٩٦٤) واختتمت الدراسة بشرح قصة انشاء سكة حديد تنزانيا - زامبيا •

١٧ - محمد عبد الغنى سعودى : سد الفولتا أو « سد أوكسمبو »

ع ٢ ، ١٩٧٣ ، ص ١ - ٣٠ مصور •

ربط البحث بين التحرر السياسى والاقتصادى وبين بناء السدود فى افريقيا اذ أنها أساس التنمية الزراعية والصناعية تلك حقيقة شعرت بها كل الشعوب التى بنى فيها سدود كبرى على انهارها (مصر ، غانا ، زامبيا ، أوغندا • الخ) ذلك أن تباين التصريف المائى فى أفريقيا من

فصل وموسم الى آخر وتعارض ذلك احيانا مع مواسم الزراعة والحاجة الى رى محاصيل معينة كما حدث في مصر (القطن) وغانا (الكاكاو) فرض على حكومات هذه الدول أن تشرع في بناء السدود لخلق خزانات مائية (سنوية وقرنية) تعطى مياه كما تعطى أيضا طاقة (كهربائية) تعمل لنشر التنمية الصناعية كصناعة الالمونيوم الذي تستخدم فيه موارد غانا من البوكسيت الذي اكتشف هناك عام ١٩١٥ •

وقد نفذ مشروع سد اكسمبو على نهر الفولتا على بعد ٣ أميال الى الجنوب من اجينا وذلك لتوليد طاقة كهربائية تصل الى ٥٨٩ ألف كيلوات بالاضافة الى تخزين المياه في بحيرة تبلغ مساحتها ٣٢٧٥ ميلا مربعا • وقد بلغت قيمة تمويل المشروع نحو ٦٢ مليون جنيه لبناء السد ومشروع مصاهر الالمونيوم التي بدأ العمل فيها في أوائل ديسمبر ١٩٦٤ •

وكان من نتيجة انشاء السد وتكوين البحيرة التي غطت ٣/ من مساحة غانا ، أن أعيد توزيع السكان بصورة تتفق من التغيير الايكولوجي الذي حدث والذي تولت هيئة نهر الفولتا (VRA) الاشراف على اعادة توطين الاهالي خاصة من قبيلة ايوى (٢٠ ألف منهم) الذين كانوا يعملون من قبل في صيد الاسماك أساسا •

الجغرافيا التاريخية :

Y. El Gohary : The Trade Activities in the Red Sea During — ١٨
the Roman Empire. Vol. I, 1972, p. 1-8, illus (Bibl. p. 8).

مقال بالانجليزية ، أوضح أهمية البحر الأحمر كطريق للملاحة البحرية اثناء العصر الروماني موضحا أثر النشاط التجاري في القسم الجنوبي منه خاصة بين بلاد اليمن (بلاد العرب السعيدة) واثيوبيا اثناء فترة الحكم الحميدى (٣٠٠ ق م — ٥٢٥ م) عندما امتد نشاط أثيوبيا لأول مرة الى الجزيرة العربية في اليمن السعيد في عام ٣٤٠ م وهو الذي لم يدم سوى ٣٠ عاما فقط (p. 4 :) •

أما المرة الثانية التي تمكن الاثيوبيون من مد نفوذهم الى اليمن خلال العصر الروماني فقد كان ذلك عام ٥٢٥م عندما طلب الرومان من أثيوبيا لاسباب دينية في الظاهر ولكنها في الحقيقة لاطماع تجارية وسياسية أن يغزو اليمن ، وذلك بغرض التحكم في الطريق البحري الى الهند من خلال البحر الاحمر (p. 5).

وأوضحت الدراسة أهم البضائع التي كانت تتواصل على هذا الطريق فكانت كل من : التوابل ، المنسوجات ، العاج ، الاحجار الكريمة ، كما ذكرت أن التاريخ السياسي والنشاط التجاري لمنطقة البحر الاحمر تتركز في سعى القوى الكبرى السائدة في ذلك الوقت في السيطرة على بلاد العرب السعيدة (اليمن) •

الجغرافيا الطبيعية :

١٩ - السعيد البدوي : افريقيا الاستوائية ، ١ - دراسة في الجغرافيا الطبيعية ، ع ٢ ، ١٩٧٣ ، ص ٢١٨ - ٢٥٢ مصور •

مقال من سلسلة تدرس مناطق من افريقيا لم تحظ بالدراسة الشاملة بعد ، وهي دراسة البيئة في افريقيا الوسطى من حيث التضاريس والمناخ والنبات والثروة الحيوانية في منطقة تمتد من غرب القارة الى شرقها مما جعل ظروفها تتباين ، بحيث لا يوجد تماثل الا في حوض الكونغو والمناطق المجاورة (الحافة المحيطة) وسكانها من البانتو باستثناء بعض العناصر القزمية : أما هضاب البحيرات الكبرى فسكانها مختلطون وهم أساسا من النانتو ثم تبعهم عناصر من الاثيوبيين السود الموسي (١) وغيرهم من الجماعات الرعوية •

وقد استعرضت الدراسة تفصيلا ظروف البيئة والتضاريس والتربة والمناخ ونظم المياه والملاحة والحياة النباتية والحيوانية ، كما درست أثر الظروف الطبيعية على الموارد الطبيعية •

الجغرافيا المدن :

٢٠ - شريف محمد شريف : مدينة عطبرة بالسودان ، دراسة في جغرافية المدن • ع ٤ ، ١٩٧٥ ، ص ١٤١ - ٢١٠ ، مصور (بيبلوجرافية ص ٢٠٨ - ٢١٠) •

عرضت الدراسة لموقع مدينة عطبرة موضحة أنها تقع على الضفة اليمنى لكل من النيل (الغربى) والعطبرة ، وهى تعتبر المدينة الصناعية الاولى فى السودان نظرا لوجود ورش السكك الحديدية بها وما اتصلت بها من صناعات وقد كونت قرية الداخلة القديمة قلب المدينة التى بدأت تكبر مع بداية القرن العشرين الحالى لما تميز به موقعها من توسط فى السودان الشمالى • وعرضت الدراسة بعد الموقع والموضع للظروف المناخية من حرارة ورياح ورطوبة نسبية ثم النبات الطبيعى ، ثم نشأة المدينة وتطورها العمرانى وقد أوضحت الدراسة أن المدينة تطورت بمعدل سريع للغاية بعد اختيار القرية الداخلة والسيالة لاقامة مراكز ورش السكة الحديد بها منذ يوليو ١٨٩٨ خاصة بعد ١٩٠٥ عندما اتخذ منها مركزا لرئاسة السكك الحديدية بالسودان وقد ترايد العمران بها بعد عام ١٩٣٠ • وأوضحت الدراسة بالتفصيل هذا النمو وقسمت المدينة الى أربع قطاعات ، أما عن تخطيط المدينة فقد ذكرت أن أقسامها الادارية هى : المنطقة الغربية ، المنطقة الوسطى ، المنطقة الجنوبية ، المنطقة الشرقية ، المنطقة الشمالية ، وعن المناطق الوظيفية ذكرت أنها : منطقة السكك الحديدية ، المنطقة الصناعية ، المناطق العسكرية ، المناطق التجارية ، المناطق الزراعية ، المناطق السكنية ، المرافق العامة •

أما الجزء الخاص بمورفولوجية المدينة فقد أعطى صورة واضحة عن أن شكلها العام أشبه بالدائرة تحتضنها الضفتان اليمينيتان لنهرى النيل الرئيسى وعطبرة (ص ١٧٤) كما أورد وصفا تفصيليا عن المباني ووسائل النقل وغير ذلك وتركيب السكان ورد تحت عنوان تركيب المدينة موضحة كثافة السكان فى المناطق المختلفة وتوزيعها على الاحياء

وعلى الجنسيات المختلفة ثم على المهن وفئات السن والنوع ومعدلات
المواليد والفيات والهجرات الى المدينة •

وأوضحت دراسة الحالة الاجتماعية عام ١٩٦٥ أنه تسود (٩٣ر٥٪)
العائلات الكبيرة (نحو ٦ أفراد) كما تغلب بها (٦٦ر٤٪) ظاهرة
العزوبة (غير المتزوجين) من كلا الجنسين (وتلك مؤشرات لها دلالتها
الاجتماعية) •

٢١ — A. Beshara : Some Aspects of the Pattern and Location of
Manufacturing Industry in Nairobi; Kenya. Vol. 5, 1976, p. 27-65,
illus.

مقال بالانجليزية عن بعض سمات نمط توطن الصناعة في نيروبي ،
كينيا ، بدأ المقال باستعراض أهمية الدراسة والمدنية ، حيث أنها
مدينة حديثة (انشئت مع بداية القرن ١٩) ومع ذلك أصبحت أهم
مدن كينيا الصناعية بل وربما في شرق افريقيا •

وقد اعتمد البحث على دراسة ميدانية قامت بها الباحثة لمدة
عامين (٧٢ — ٧٤) أثناء اقامتها هناك ، وتذكر الدراسة تزايد العمل
في الصناعة في نيروبي قد تزايد بسرعة خاصة في السبعينيات (١٩٧١)
عندما وصل معدل الزيادة السنوية ١٢ر١٪ ، بل أنه يتركز فيها نحو
٣٦ر٠٪ من القوة العاملة في الصناعة في كينيا (p. 30) ومن بينها نسبة
٤٨ر٧٪ يشتغلون في الخدمات وقد أوضحت بعض الجداول دراسة
مقارنة لتوزيع الحرف الصناعية في نيروبي بالمقارنة بالوضع في كينيا
كما أوضحت الخرائط والجداول مكانة نيروبي بين سائر المدن •

أما عن مشاكل الصناعة فيها فقد حرصت الدراسة على حصر عدة
عوامل منها تزايد الاعتماد فيها على الايدي والخبرة الاجنبية (غير
الافريقية) ، ومنها أن معظم الصناعات تتركز على الصناعات الاستهلاكية
خاصة الغذائية ، كما اتضح وجود علاقة بين تعامل نيروبي في السياحة
وبين حركة التصنيع بها ، ولا شك أن موقع نيروبي كان له دور بارز

خاصة وأنها مركز هام للطرق الحديدية في نمو حركة الصناعة بها
بل ويحمل ذلك كثير من المؤشرات للمستقبل •

جيومورفولوجيا :

٢٢ — M.G. Barakat and M. Imam : Preliminary note on the
occurrence of old indurated sand in the district of Gamasa northern
Nile delta. Vol. 2, 1973, p. 1-9, illus (Bibl. p. 9).

دراسة بالانجليزية عن تواجد رواسب كثبانية قديمة بمنطقة جمصة
بشمال الدلتا ، حيث قسمت المنطقة الى وحدات جيومورفولوجية متميزة
مرتبة من الشمال الى الجنوب كالآتي : السهل الساحلى ، مجموعة
الكثبان الرملية الحديثة ، بقايا كثبان رملية قديمة ثم السهل الداخلى •

وقد درست كل منطقة على حدى دراسة تفصيلية خاصة الكثبان
الرملية القديمة من حيث شكلها الخارجى وغطائها النباتى • وقد ارجع
الباحثان الرمال الكثبانية القديمة الى بحر بسندية الذى كان فرعا
قديما للنيل باسم الفرع الأتربى • كما اقترح اجراء دراسات مقارنة
مماثلة بالنسبة لمواقع مماثلة فى دلتا النيل

تاريخ حديث :

٢٣ — شوقى الجمل : قضية روديسيا ، تطورها التاريخى وموقف
الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية منها • ع ٢ ، ١٩٣ ، ص ٦٩ —
١٢٠ مصور (بيبلوجرافيا ص ١١٧ — ١٢٠) •

شغلت قضية روديسيا بال افريقيين فترة طويلة ، اذ أن الاقلية
البيضاء التى لم يكن عددها ليزيد عن ٢٢٠ ألف نسمة كانت تسيطر
على النفوذ والثروة فى البلاد •

وترجع جذور هذه المشكلة الى زمن وصول سيسل جون رودس
لى جنوب افريقيا وتوغله فى داخل القارذ وتأسيسه لشركة جنوب

افريقيا البريطانية التي حصلت من ملك قبائل الميتابلي على حق التنقيب عن المعادن ، أى أن المشكلة قديمة ونتيجة السياسة البريطانية المعروفة دائما ، منذ أن كانت البلاد مستعمرة للتاج (١٨٩٠ — ١٩٢٣) أو في فترة الحكم الذاتى مع التبعية للتاج (١٩٢٣ — ١٩٥٣) ، أو في فترة الحكم الثلاثى (اتحاد وسط افريقيا) الذى فرضه المستوطنين البيض عام ١٩٥٣ مهددين بالانضمام الى اتحاد جنوب افريقيا •

وبعد استعراض الاحوال الجغرافية العامة ، درس الباحث التطور التاريخى والحضارى لروديسيا حيث عرض مراحل تاريخ شعوب المنطقة فى المراحل التالية مرحلة ما قبل الميلاد ، مرحلة العصور الميلادية الأولى ، والمرحلة الثالثة هى مرحلة هجرات البانتو الى البلاد ، ثم مرحلة امبراطورية الموتوماتابا حيث بدأت تظهر تسمية زمبابوى ، ثم مرحلة محاولة مد البرتغاليين لنفوذهم ، مرحلة مملكة الميتابيلي (أواخر ق ٧) التى أسستها قبائل الدوزورى ثم قبائل الزولو ، ثم أخيرا فترة الحكم والنفوذ البريطانى •

وقد مر الحكم البريطانى بأربع مراحل هامة ، فترة ادارة شركة جنوب افريقيا (١٨٩٠ — ١٩٢٣) ، فترة الحكم الذاتى (١٩٢٣ — ١٩٥٢) ، فترة اتحاد وسط افريقيا (نياسالاند ، روديسيا الشمالية والجنوبية) فيما بين ١٩٥٣ — ١٩٦٣ ، حكم الاقلية البيضاء بعد ١٩٦٤ •

أما موقف منظمة الوحدة الافريقية OAU فكان تأييدا مطلقا لحقوق الشعب وذلك عن طريق تأليف لجنة ثلاثية للتوفيق الداخلى بين حزبى زابو وزانو وتركيز الضغط على بريطانيا باعادة النظر فى العلاقات معها فى ضوء تحقيقها لمصالح الوطنيين •

٢٤ — شوقى عطا الله الجمل : اضواء جديدة على تاريخ مدينة قسنطينة ، فى ضوء ثلاث مخطوطات — دار الوثائق بالرباط • ع ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ٥٩ — ١١٢ مصور (ببليوجرافية ١١٠ — ١١٢) •

استعرضت الدراسة لمحة من تاريخ قسنطينة التي تعتبر من أكثر المدن الجزائرية محافظة على طابعها الاسلامي — مظهرها العربي ، وكان موقعها الاستراتيجي الهام دور بارز في اظهارها على مدى العصور منذ مولد الدولة العبيدية — الفاطمية (الشيعية) حوالى ٢٧٩ هـ — ٨٩٢ م عندما استولى عليها أبو عبد الله المحتسب مع غيرها من بلدان الجزائر الشرقية (ص ٦٦) ثم استولى العبيدون من بعده على الجزائر الغربية وأخمدوا الثورة التي اشعلتها قبيلة زناتة .

وعندما هاجر العبيديون الى مصر حيث أسسوا القاهرة ، تركوا شمال افريقيا للصنهاجيين الموالين لهم جزاء مساعدتهم للفاطميين ولكن قبيلة كتامة التي ساعدتهم أيضا ثارت طلبا للحكم أيضا ، وفي أثناء هذا القتال تعرضت قسنطينة للنهب والتخريب بسبب غارات بنى هلال ، ثم سقطت قسنطينة عام ٥٤٨ هـ — ١١٥٣ م أمام زحف عبد المؤمن تلميذ وخليفة محمد بن تدمرت مؤسس الدولة المذهبية (ص ٦٨) .

وذكرت أن الضعف والتفكك الذي أصاب المسلمين في شمال أفريقيا جعل البلاد مطمعا للدول الاجنبية خاصة البرتغال وأسبانيا (ص ٧٠) وقد ورد بالدراسة بعد ذلك تعريف بمخطوطات ثلاث هي : مخطوط ابن العنترى ومخطوط أحمد ابن اسماعيل بن صالح باي ، مخطوط أحمد بن المبارك بن العطار القسطنطيني ودراسة تحليلية لها ورد بعدها بيانات عن بايات قسنطينة من العرب والاتراك وعادة التخلص منهم بالقتل ومكانة الشيخ ابن الفكون كنموذج على مكانة العلماء والشيوخ وهجوم الفرنسيين على عنابة وقسنطينة .

وأخيرا ورد بالمقال ملحقا بالوثائق الهامة في مخطوط ابن العنترى والتعليق عليها وأعقب ذلك مراجع البحث .

٢٥ - شوقي عطا الله الجمل : صفحات من تاريخ البرتغال
الاستعماري في المغرب الغربي (في ضوء وثائق الارشيف البرتغالي) •
ع ٤ ، ١٩٧٥ ، ص ١ - ٨٥ •

استعرضت الدراسة التاريخ الاستعماري البرتغالي المبكر للمغرب
في ضوء بعض الوثائق : « التي لازالت حبيسة في دور الوثائق أو في
وزارة الخارجية البرتغالية » (ص ٢) وأوضحت أن ما كتبه ليو
الافريقي (الحسن بن الوزن) بعنوان : « وصف أفريقيا » عام
١٥٥٠ بالاطالقية (وترجم للانجليزية عام ١٦٠٠) يعتبر اقدم ما كتب
في النضال بين المغاربة والبرتغال • لقد افتتح الملك يوحنا الاول الذي
نودي به ملكا عام ١٣٨٥ صفحة الاستعمار البرتغالي للشعور المغربية
حتى يغلق الطريق والمنافذ امام الامدادات التي كانت ترسل الى آخر
معقل المسلمين في غرناطة حيث كانت الشعور المغربية الميدان العملي
لنشاط جماعات الدعوة للجهاد ضد الزحف الاوربي لطرد الاسلام
والعروبة من الاندلس •

وذكرت الدراسة أيضا أنه من ضمن أسباب هذا الاستعمار تزايد
الاهمية التجارية للشعور المغربية المطلة على البحر المتوسط ثم تلك
المطلة على المحيط الاطلنطي باعتبارها منافذ للتجارة الخارجية وقد كان
لاسبانيا أيضا نصيب من هذه الاطماع الاستعمارية بعدما استولت
على جزر كناريا عام ١٤٧٦ اذ اتجهت لمحاولة بسط نفوذها على الساحل
المغربى ومنافسة البرتغال في هذا المجال (ص ٧) وقد وجهت الدراسة
النظر الى الدعوة القائلة بأن سقوط سبقة التي مازالت الى الآن في
يد البرتغال عام ١٤١٥ (٢١ اغسطس) يعتبر بداية عهد الفتوحات
وللعصور الحديثة أكثر مناسبة من سقوط القسطنطينية (١٤٥٣) في
يد المسلمين • ولعل الذي ساعد على نجاح هذا الغزو الصراع الذي
كان ممتدا ما بين الدولة المرينية في المغرب وبين أمير تونس الحفصي
(ولعل في هذا تذكرة لعشاق الخلافات العربية • ؟) وتتابع الحملات

البرتغالية بعد ذلك للاستيلاء على ميناء القصر الصغير حيث نجح أخيرا الملك الفونسي الخامس في الاستيلاء عليها عام ١٤٥٨ ورغم امدادات وكفاح الملك المريني الشاب عبد الحق بن ابي سعيد فقد نجح البرتغاليون في العام التالي في ربط طنجة وسبتة وجعلهما منطقة واحدة كمستعمرة برتغالية متصلة . وقد وضح أن الخلافات والصراعات الداخلية على السلطة والحكم وبسط النفوذ على كل المغرب (بن محمد الشيخ والشريف الادريسي في فاس مثلا) كان عاملا رئيسيا في ضعف المقاومة امام المهاجم البرتغالي الدخيل ولو أن ظهور الطرق الصوفية (كالقادرية في فاس) ومشايخها الاتقياء أصحاب الطريق (الذين انتشر اتباعهم بعد ذلك في معظم الشمال الافريقي) كانت في مناطق كثيرة منها اسفى واكادير (٤) (ص ٢٦) وغيرها من المنافذ البحرية والمحطات التجارية الهامة وقد اعتمدت الدراسة في عرضها على وثائق أصيلة تنشر لأول مرة وارفقت صورها .

٢٦ — سعد زغلول عبد ربه : الاستعمار البرتغالي في انجولا — مرحلة الغزو (١٤٨٢ — ١٨٣٦) ع ١ ، ١٩٧٢ ، ص ٤٧ — ٧٠ مصور (بيبلوجرافية ص ٧٠) .

عرض المقال للوصف الجغرافي العام للاقليم وأقسامه الادارية موضحا أن منطقة بنجويلا هي قلب المستعمرة (الجمهورية حاليا منذ ١٩٧٥) وذلك لموقعها ولاهيتها السكانية . وقد تضمنت الدراسة ظروف استعمار الاقليم الذي بدأ في أواخر عام ١٤٨٢ عندما نزل الملاح البرتغالي ديوجو كاو بالقرب من مصب نهر الكنغو وقد قام جاو الثاني بدور واضح ممتاز في محاولة استمالة ملك الكنغو الى البرتغال والى اعتناق المسيحية وقد استجاب الملك وأرسل مجموعة من اتباعه لتلقى العلوم الاوربية كما طلب ارسال مبشرين وفنيين وبرتغاليين لنشر المسيحية ونقل الحضارة الاوربية .

وتعتبر الفترة من ١٤٩٢ - ١٥٠٦ من الفترات الغامضة في تاريخ الكنغو • ويبدو أن أهالي جزيرة ساوتومي قد حولوا مملكة الكنغو في ذلك الوقت ما أعقبه من سنين الى مستعمرة تجارية وسياسية لهم خاصة لتجارة الرقيق لدرجة أن البعثة التبشيرية التي أرسلت عام ١٥٠٥ لم تستطع مقاومتها بل انغمس بعض أفرادها فيها مما حدا بالملك أن يشتكى منهم (ص ٥٤) •

وأمام صرخات الملك افونسو تحرك ملك البرتغال عام ١٥١٢ لحل أزمة الكنغو ومع ذلك استمرت ساوتومي أهم ميناء لتصدير الرقيق في غرب افريقيا • هذا وقد طلب ملك انجولا عام ١٥١٩ من ملك البرتغال ارسال بعثة من التجار والقسس وأرسل مع طلبه عينة من الفضة المستخرجة من مناجمه (ص ٥٧) ورغم ارسال حملة برتغالية الى انجولا الا أنها لم تنجح الا في نقل تجارة الرقيق ومشاكلها من الكنغو الى انجولا •

هذا وقد حصل باولو دياز دي فوفاس عام ١٥٧١ على امتياز استغلال منطقة انجولا من ملك البرتغال مدى الحياة ومنحه الملك لقب مالك وسيد الارض (ص ٥٨) وقد تحقق كثير من الاستيطان الاوربي وبموته الت رنجولا للتاج البرتغالي • ورغم نجاح البرتغاليون في الوصول الى مناجم الفضة الا أنهم لم يستغنوا عن تجارة الرقيق • اما الفترة الرابعة في تاريخ رنجولا فتبدأ عام ١٦٢١ وقد استمرت فيها تجارة الرقيق الى البرازيل وظلت الحال كما هي تقريبا حتى نهاية القرن ١٨ •

٢٧ - سعد زغلول عبد ربه : الحركات الوطنية في انجولا • ع ٢ ، ١٩٧٣ ، ص ٣١ - ٦٧ مصور (بيبلوجرافية ص ٦٧) •

قسمت الدراسة تاريخ الحركة الوطنية في انجولا الى فترتين الاولى تبدأ من ق ١٧ الى أوائل ق ٢٠ ، والثانية منذ أوائل ق ٢٠ الى الوقت

الحالي ، وذكرت أن أهم معالم الحركات الوطنية في الفترة الاولى ،
قدرة مانيكوبتتجو (ماركيز موسيل) Mariquitunmo
(١٧٨٥ - ١٧٩٢) ، وثورة قبائل دمبو Dembo الاولى في سنوات
١٦١٠ - ١٨١٥ ، ١٨١٧ ، وثورة الاخوان جوميس Gomes
(١٨٣٥ - ١٨٤٥) ، وثورة كويلانجي كويساني Quilange Quissane
(١٨٢٧ - ١٨٣٨) ، والثورة في كاسانجي (١٨٦٠ - ١٨٦٣) والثورة
في شمال انجولا (١٨٦٠ - ١٨٦٢) وأخيرا ثورة قبائل دمبو الثانية
(١٨٧٢) .

اما الحركات الوطنية التي شهدتها القرن ٢٠ ، فقد بدأت عام ١٩٢٢
مع اعلان البرتغال سيادتها الكاملة على أنجولا وقد دعت منظمة
العصبة الافريقية Linga Africana عام ١٩٢٣ الى الجهاد لحصول
الانسان الافريقي على حقه في المستعمرات البرتغالية التي كانت تشهد
كل صنوف الجور والحرمان .

وقد تزايد نشاط العصبة الوطنية الافريقية LNA عام ١٩٢٩
بعد تكونها في لواندا خاصة بعد تولى سالازار السلطة ووضعه اسس
استعمارية جديد ، كما ساهم حزب الاتحاد النضالي الافريقي أنجولا
PLUA في حركة النضال منذ تقلد زعمائه عام ١٩٥٦ .

ومع تزايد عمليات الردع البرتغالية منذ ١٩٥٩ تزايد نشاط الحركات
الوطنية بل وعملت على توحيد صفوفها (مايو ١٩٦٠) والعمل الفوري
ضد الحكم البرتغالي ، كما نجحوا في تأسيس المنظمة الوطنية في
المستعمرات البرتغالية CONCP (ابريل ١٩٦١) وكان ذلك لتدعيم
العمليات العسكرية للوطنية التي كانت قد بدأت منذ مارس ، وقد استمر
الكفاح المسلح اذ شعر الوطنيون أنه الوسيلة المجدية بدلا من قرارات
الامم المتحدة (١٩٦١) التي لم تنجح كثيرا عند تنفيذها .

٢٨ — سعد زغلول عبد ربه : شركة جنوب افريقيا البريطانية •
ع ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ١١٣ — ١٤٧ مصور (بييلوجرافية ص ١٤٦ —
١٤٧) •

شهد الربع الاخير من القرن الماضى ظهور الشركات التجارية ذات
البراءة الملكية وهى تختلف عن الشركات القديمة فى فرض رقابة الدولة
البريطانية عليها وهذا يحقق للدولة مزيد من فرض تحقيق اغراضها
السياسية ، اذا مازال الهدف الرئيسى هو الاستغلال الاستعمارى لخير
البلاد المفتوحة •

وقد استطاع ممثل جمهورية جنوب افريقيا (بايت جروبلر)
عقد معاهدة فى ٣٠ نوليو ١٨٨٧ مع لوبنجولا أصبح له الحق بموجبها
فى استغلال جزء من أرض المتبابيلى (ص ١١٤) وبالتدريج على كل
اراضيها (معاهدة مونات) ومنع الدول الاجنبية من الدخول اليها
(ص ١١٦) •

وأوضحت الدراسة كيف حاول رودسى أن يستغل امتياز رود
بتوطين البريطانيين فى المنطقة (ص ١١٨ — ١١٩) ولكن ثارت عواقب
امام مساعدى رودسى من تصرفات موند (ممثل شركة الكشف
والاستغلال) فبذل رودسى جهود كبيرة فى سبيل الحصول على البراءة
الملكية وسدد فى سبيل ذلك ٣٠ الف جنيه استرلينى فصدرت البراءة
فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٩ وبذلك أصبحت الشركة صاحب اليد العليا اداريا
وماليا فى المنطقة كلها المحصورة بين موزمبيق شرقا وبتشوانا البريطانية
غربا وجنوب افريقيا جنوبا (ص ١٢٨) وهى ما عرفت فيما بعد باسم
روديسيا الجنوبية •

ثم أوردت الدراسة ما قامت به الشركة من نشاط خاصة احتلال
أرض المتبابيلى وما تبعه ذلك من ثورة الشعب هناك وكذلك ثورة شعب
الماشون نتيجة نشاط الشركة الاقتصادى والادارى المشبوه ، مما احدث

تطورات كبرة منها تغيير نظامها الاساسى بحيث أصبحت تدار بمجلس مكون من ١٨ عضوا منهم ١٢ عضوا منتخبا .

ولكن هذا من ينقذ الشركة خاصة من خسارتها المالية فاضطرت لاصدار قرار سنة ١٩١٤ باستيلائها على جميع الاراضى والمناجم والسكة الحديد غير المملوكة للأفراد ولكن الحكومة البريطانية اصدرت قرار فى ١٩١٨ باستيلائها عليها ، وتصفية الشركة بواسطة لجنة ، وانتهى الوضع فى ٣١ أكتوبر باستيلاء التاج على روديسيا .

٢٩ — سعد زغلول عبد ربه : الصراع الالماني البريطانى حول منطقة جنوب غرب افريقيا . ع ٥ ، ١٩٧٦ ، ص ١٠٣ — ٥١ (بييلوجرافية ص ١٥١) .

بدء دخول نفوذ المانيا فى جنوب غرب افريقيا فى ١٨٨٢ — ١٨٨٣ على يد أحد التجار (لورويس) والمقال يصور كيفية دخول النفوذ الالماني لافريقيا عن طريق الحماية القنصلية للرعاية بالخارج وعن طريق النفوذ الدبلوماسى والبحرى لفرض الحماية الالمانية على الاراضى التى ينجح رعاياها فى فريى معاهدات على رؤساء قبائلها الافريقيين .

واتضح من الدراسة أن التنسيق كان كاملا بين المانيا وبريطانيا لوضع أكبر مساحة من الاراضى الافريقية تحت السيطرة الاستعمارية التى سرعان ما اخذت بريطانيا الفرصة فى الاستيلاء على مستعمرات المانيا فى افريقيا بمجرد انهزام الاخيرة امامها فى الحرب العالمية الاولى .

بل لقد وضح بما لا يدع مجالا للشك أن الخارجية البريطانية كان لها دور واضح فى رسم وتوجيه السياسة الافريقية حتى بالنسبة للدول الاخرى ، وهذا يؤكد النظرة القائلة بأن افريقيا الجنوبية كانت بريطانية صرفة منذ فترة الاستعمار (مشكلة انجرا بكونيا ص ١١٣ — ١١٩) .

ولقد كانت افريقيا دائما الثمن والهدف الذى تحركت من حولها سياسيات كل من جرانفيل والمستشار بسمارك خلال تلك الاحقاب ، بل ولقد كان الربط كاملا بين المشكلات السياسية فى افريقيا الشمالية الشرقية (مصر) وبين مشكلات جنوب غرب افريقيا (ص ١٣٥) •

وقد شغص الباحث سبب المشكلة وارجمعه الى غموض رد الحكومة البريطانية على استفسار الحكومة الالمانية عن مطامع الاولى فى المنطقة (ص ١٤٦) واقول أن هذا كان وباستمرار هو نهج ومنهج البريطانيين •

تاريخ عصور وسطى :

٣٠ - محمد محمد أمين : العبد لاب وسقوط مملكة علوة • ع ٢ ، ١٩٧٣ ، ص ١٩١ - ٢١٧ مصور (بيبليوجرافية ص ٢١٤ - ٢١٧) •

دراسة عن تاريخ قبيلة العبد لاب العربية فى السودان فى نهاية ق ١٥ وبداية ق ١٦ واتخذت من قرية قرى عاصمة لها حيث حميت « مشيخة قرى » ثم نقلت الى الحلفاية حيث عرفت منذ أوائل ق ١٨ بأسمها •

والعبد لاب من عرب القواسمة الذين ينتمون الى قبيلة رفاعة العربية احدى مجموعات الجبهينية وهى التى قامت بدور رئيس فى القضاء على مملكة علوة المسيحية واقامة مشيخة عربية اسلامية (ص ١٩٣) وكانت على صلة قوية بمصر (ص ١٩٥) •

تذكر الدراسة كثير من المصادر والمراجع والوثائق عن هجرة الجماعات العربية من مصر الى السودان كالغويرى والمقريزى وابن خلدون وابن حوقل ومكى شبكية ، وبذلك فهى اساسية لدارسى تاريخ حركة السكان فى حوض النيل الاوسط ، وبحق هى دراسة باحث جاد محب للحقيقة ، لذلك اجد صعوبة بالغة فى وضوح هذا المختصر عنها فاكفى بهذا القدر دفعا للباحثين للاطلاع عليها وعلى امثالها •

٣١ — محمد محمد أمين : شمال افريقيا الحركة الصليبية ١١٨٩ — ١٣٩٠ ع ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٩ — ١٨٢ مصور (بييلوجرافية ص ١٧٨ — ١٨٢) •

بحث ودراسة عن الحركة الصليبية في شمال افريقيا ، باعتبارها حركة ضد الاسلام والمسلمين اتسمت فشلت كل ارجاء العالم الاسلامي تقريبا ، وكان لشمال افريقيا وضع خاص في مجال الحروب الصليبية لاهمية موقعها الجغرافي •

وقد عرض البحث للرسائل التي ارسلها صلاح الدين الايوبي الى المنصور يعقوب بن يوسف الخليفة الموحدى بالمغرب (١١٨٤ — ١١٩٩) للقيام بما يشبه الحصار البحري على الاساطيل الصليبية ، خاصة لمنع اسطول صقلية من الاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٨ م) •

ورغم أن هذه الرسائل لم تأت بالثمرة المرجوة منها ، بسبب انشغال الموحيدين بحروبهم في الاندلس ، فضلا عن مهاجمة قراقوش لاطراف المغرب واستيلائه على تونس ، الا أنها دلت على اهتمام صلاح الدين بالمغرب نظرا لاهميته الواضحة (ص ١٥٢ — ١٥٤) بل لقد اظهر موضع الدولة الحفصية أنها الاقرب الى قلب فرنسا وذلك بعد استيلائها على الاندلس ، خاصة وأن الدعوة الى الحملة الصليبية السابعة قد بدأت في مجمع ليون الذي عقد في صيف ١٢٤٥ م (ص ١٥٥) •

وبالمثل ادرك الصليبيين أهمية موقع شمال افريقيا ، فكان من ذلك خروج حملة لويس التاسع ضد تونس (١٩٧٠ م) والتي واصلها اخيه شارل بعد موته ، حيث عقد معاهدة مع المنتصر حصل بموجبها على تعويض (ص ١٦٠) ، ورغم فشل هذه الحملة الا أنه تبعها حركة اهتمام بشمال افريقيا لنشر المسيحية بين المسلمين ، كان من انشط

رجالها لول الذي بدأ دعوته بالفكر ثم انتهى بطلب خرق صليبية
لنشره (ص ١٦٢ — ١٦٣) في الجزائر بعد ذلك (١٣٠٧ م) .

كان كل هذا مقدمات للحملات الصليبية على شمال افريقيا في
ق ١٤ ، حيث نجح اسطول صليبي مشترك في عام ١٣٨٨ م في الاستيلاء
على جزيرة جربة ، تبعثها حملة من جنوة الى المهديّة التي كانت من
اقوى المدن الساحلية ولكنها انتهت (١٣٩٠ م) دون أن تحقق أى من
أهدافها (ص ١٧٦) .

ولقد كانت الحركة الصليبية على شمال افريقيا بداية تعاون المشرق
والمغرب الاسلاميين والذي بدء عام ١٥٢٩ مع دخول العثمانيين
الجزائر ثم تونس .

٣٢ — محمد محمد أمين : علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر في
عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ — ١٥١٧ م) ، ع ٤ ، ١٩٧٥ — ٣١٢
مصور (بيبلوجرافية ص ٣٠٤ — ٣١٢) .

عرضت الدراسة لتاريخ امبراطوريتين كبيرتين كانتا في غرب أفريقيا
خلال العصور الوسطى : مالي وسنغاي ، حيث انتشر الاسلام في
القرن ١٩ تقريبا ، وبحق يعتبر دخول الاسلام بداية العصر التاريخي
لافريقيا السوداء (ص ٢٧٤) ومعه كانت العصور الوسطى العصر
الذهبي لتاريخ غرب افريقيا القومي وكان سنديانا أو ماري جاطة
(١٢٣٠ — ١٢٥٥) هو المؤسس الحقيقي لدولة مالي وهو الذي حول
دولة الماندنغو الصغيرة الى امبراطورية واسعة وانشى عاصمة لها هي
نياني Niani وقد بلغت هذه الامبراطورية أوجها في عهد موسى
(١٣١٢ — ١٣٣٧) وفي عهد منسا موسى (١٢٥٥ — ١٢٧٠) خضعت
سنغاي لسيطرة دولة مالي الاسلامية .

وقد حكم السعديين سنغاي نحو قرن من الزمان (١٤٩٣ —
١٥٩١) وازدهرت عاصمتها جاو لما كانت تحويه من موارد فائضة

عن حاجة السكان • ولكن مع بداية القرن ١٠ هـ (١٦ م) أحداث
أحداث بين السعديين في مراكش وسلاطين سنتال جعلت السعديين
ينظرون الى آل اسكيا على أنهم منافسين لهم في الزعامة الروحية
فانتهمز منصور الذهبي ضعف سنغال وارسل حملة في شهر المحرم
٨٩٩ هـ (١٥٩١ م) حيث قضى على دولة سنغال الاسلامية التي كانت
ملء السمع والبصر في حوض النيجر الاوسط (ص ٢٨٠) •

وقد عاصر هذه الفترة المزهرة في غرب افريقيا في مصر عصر
سلاطين المماليك حتى سقوط دولتهم على يد العثمانيين في أوائل القرن
١٠ هـ (١٦ م) وكان طبيعيا أن يقوم بين مصر وبين الدول الاسلامية
المشار اليها في غرب افريقيا علاقات في شتى المجالات وساعد على ذلك
طريق الحج الذي كان على اهالي دولتي مالي وسنغال أن يسلكوه
مرورا بالقاهرة ويعتبر سلطان مالي منسا على (١٢٥٥ - ١٢٧٠)
أول من زال مصر في عصر سلاطين المماليك (في عهد الظاهر بيبرس)
من سلاطين ممالك غرب افريقيا الاسلامية حيث قوبل بالاحترام
والتقدير وحضر مجلس السلطان ، وبعد تلك الزيارة التي تمت في
رجب ٧٢٤ هـ (١٣٢٤ م) بنحو ١٥٠ عاما وبعد ما ازدهرت دولة سنغال
الاسلامية بعد زوال دولة مالي شهدت القاهرة في عام ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ م)
موكب حج الاسكيا محمد الكبير في طريقه الى حج بيت الله الحرام
لاكتساب حكمة الشرعية (ص ٢٨٩) وقد حصل على لقب خليفة
المسلمين في بلاد التكرور (أما من الشريف الحسنى مولاى العباسى
أمير مكة أو من الخليفة العباسى) ويذكر الباحث أنه مهما كان الامر
فانه يعتبر مقابلته للخليفة في مكة أو في القاهرة وحصوله على
اللقب فان « تقليد اسكيا محمد بالخلافة أمر مستبعد » (ص ٢٩٠) •

وتذكر الدراسة أن حجاج السودان الغربى كانوا يقضون بالقاهرة
فترات تختلف في طولها في طريقهم الى الحج أو عودتهم منه وذلك
ليتلقى العلم بالازهر أو باحدى مدارس القاهرة وبذلك كان يتم لهم

التعرف على اسوان ومنتجات مصر مما سهل سبل تنشيط حركة التجارة بين مصر وتلك الدولة الاسلامية وكان من أثر ذلك اغراق السوق المصرى بذهب السودان وأن قل سعره لكثرة تداوله فى ايدى الناس ولم يستعد الذهب سعره الاول الا بعد ١٢ سنة من زيادة منسى موسى للقاهرة (ص ٢٩٣) وفى مقابل ذلك زاد عدد المصريين العاملين بدولة سنغاي ، هذا بل امتداد العلاقات الى الجوانب الشرعية حيث كثيرا ما كان يطلب علماء السودان الغربى الفتوى من علماء مصر •

٣٣ - محمد عبد العال أحمد : اضواء جديدة على « ملاح »
فاسكودى جاما • ع ٥ ، ١٩٧٦ ، ص ١٥٣ - ١٨٣ (بيبلوجرافية
١٧٩ - ١٨٣) •

كان تحرك فاسكودى جاما (١٤٧٩ م) بعد بدء حركة الكشف الجغرافية بنحو ٨٠ عاما ، للتوجه نحو الشرق بالدوران حول أفريقيا للسيطرة على مصادر التوابل (ص ١٥٥) ومن حسن حظه أنه عثر على ملاح هندي (وليس عربى) فى قارب على ساحل افريقيا الشرقية ، وبالمعاملة الحسنة لسياسته أخذ منه تعهد بأن يحصل منه على شحنة من توابل الهند نظير توصيله الى بلاده •

ولقد كان أن ساعدهم فى الاهتداء الى الطريق ، ولكن اثناء التحرك كان دى جاما يحصل على مرشدين من كل مكان ولكن سرعان ما كانوا يهربون منه عندما يعرفون أنهم من المسيحيين (ص ١٥٦) ولكن يبدو أن ملك مالندى قد امد جاما بملاح ساعدهم فى الوصول الى قاليقوت بالهند فى مايو ١٤٩٨ •

وذكر الباحث أن هدف الدراسة هو محاولة التعرف على ملاح فاسكودى جاما وجنسيته (ص ١٥٨) ويناقش رأى جبريل فران الذى يضع وزير ارشاد البرتغاليين الى طريق الهند على رأس أحمد بن ماجد الملائث العربى المسلم وألقى بنتائجها التى أثرت على المصالح الاقتصادية

العربية والاسلامية وبين الرأي الآخر (أنور عبد العليم) من أنه ليس هو المتسبب استنادا على تحليل وتوثيق صدق المصادر (خاصة رواية النهر والى) •

والحق أن بن ماجد ملاح عربى نجدى أصيل كان محل حب وتقدير ملاحى المحيط الهندى لعدة سنين تلت وفاته (ص ١٦١) ، أما عن الملاح الذى ارشد جاما الى الهند فقد كان كما تذكر المصادر البرتغالية « ربانا مسلما من كجرات بالهند » (ص ١٦٢) هو « معلم كانا Malem. Cana ومن التسمية يستدل على الاصل الهندى (السنسكريتى) (ص ١٦٣) •

وتنتهى الدراسة الى أنه ربما كان من ارشد دى جاما أحد مساعدى ابن ماجد أو غيره ممن تصادف وجوده فى مالندى (ص ١٧٢) ، (غالبا) بدليل ما حدث بعد ذلك (١٥٠٠ م) عندما عثر الفاريز كبرال على مرشد من مالندى وعلى مرشدين من أهل كجرات ارشدوا اسطولة الى قاليقوط •

تاريخ قسديم :

٣٤ — فوزى مكاوى : النشاط التجارى فى مملكة مروى • ع ١ ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٥ — ١٤٢ ، مصور (بيبلوجرافية ص ١٤٢ — ١٤٣) •

تعرض الدراسة النشاط التجارى فى مملكة مروى (٥٩٠ ق • م — ٣٥٠ م) الذى كان له تأثير سياسى ملموس ظهر فى انتقال العاصمة من نباتا الى مروى ذات الموقع الهام فى تجميع التجارة والتقاء خطوط القوافل وتوجيهها ، كان من نتيجة ذلك أن قامت مروى بدور الوسيط التجارى الذى قدم منتجات وسط افريقيا الى اسوان والعالم المعروف فى ذلك الوقت كما قدم منتجات اليونان والامبراطورية الرومانية والهند وغيرها الى الافريقين من سكان وسط القارة (ص ١٢٦) وعلى ذلك

فقد كانت مروي الطريق الذي انتقلت بواسطته عناصر الحضارة المصرية القديمة وخلال العصور الوسطى الى وسط وغرب أفريقيا •

وقد استعرضت الدراسة السلع التجارية التي كانت تتداول خلال هذا النشاط التجاري وكان من أهمها بالنسبة للصادرات : الذهب ، والحديد والاحجار الكريمة من السلع المعدنية النباتية والحيوانية فقد كانت الفيلة والعاج وغيرهما من الحيوانات البرية اللازمة لحلبات المصارعة مثل القروود والزراف (ص ١٢٨) أما الواردات فكان من أهمها : المنسوجات ومنها القطنية التي كانت ترد الى مصر التي لم تكن تعرف القطن حتى ذلك الوقت من الهند والأدوات المعدنية والزجاج الذي عثر على نماذج رومانية منه في مروي التي لم تكن تعرف صناعته ، ومن المواد التي كانت تستورد أيضا زيت الزيتون الذي كان له وضع خاص في الطقوس الدينية (ص ١٣١) وفي مباحج الترفية •

واستعرض المقال بعد ذلك (ص ١٣٢ - ١٧٤) وسائل النقل التي كانت تتركز أساسا في الحمار والحصان والجمال بالنسبة للنقل البري ثم في السفن النهرية لنقل التجارة بين مصر واجزاء النوبة المختلفة وهي وسيلة كانت شائعة منذ فجر التاريخ • أما الطرق التجارية فقد استدل عليها من مواضع العلاج القديمة مثل قلعة فورا Fura في وسط صحراء بيوضة على الطريق الواصل بين مروي ونباتا (ص ١٣٢) ومن أهم المراكز التجارية كانت سنيوم Cunium (سستاو) التي كانت يخرج منها طريق الى أدوليس Adulis على ساحل البحر الأحمر •

F. Mikawy : New Light on the Relations between Aksun — ٣٥
and the Southern Arabian States during the 2nd and 3rd
Centuries a.d. Vol. 4, 1975, p. 43-56 (Bibl. p. 55).

بحث باللغة الانجليزية عن رؤية جديدة عن العلاقات بين اكسوم وجنوب الجزيرة العربية خلال القرنين ٢ ، ٣ للميلاد •

ولاشك أن منطقة جنوب البحر الأحمر سواء في آسيا أو في أفريقيا كانت متصلة منذ العصور الاولى للتاريخ ، وقبول الباحث أنه اعتمد على عدة وثائق ، توضح مدى امتداد مملكة اكسوم من مصر شمالا الى الصومال جنوبا ثم الى جنوب الجزيرة العربية بل الى حضر موت شرقا ، وهي تعتمد على نقوش أربعة باللغة السبئية نشرها على الارياى •

ويتحدث النقش الاول (رقم ١٢) عن الصراع العسكرى بين الاكسوميين والسبئيين خلال ق ٢ م كما يتحدث النقش الثانى (رقم ١٩) عن الصراع بين شعار أوتر (من سبأ) وبين الاكسوميين خلال ق ٣ م •

اما النقش الثالث (رقم ٢٨) فيتحدث عن ابرام معاهدة السلام بين الكسوميين والحميديين والنقش الرابع والأخير (رقم ٢) يبرهن على أن الوجود الاكسومى فى جنوب الجزيرة العربية امتد حتى زمن نشأ يأمن يهرحب •

لغات :

٥٦ — M.A.G. Saudi : Language and its effects in Consolidating African Unity (1), Vol. 5, 1976, p. 1-25.

الجزء الاول من مقال بالانجليزية عن اللغة ودورها فى تدعيم الوحدة الافريقية ، وهو محاضرة القيت فى مؤتمر علمى كل افريقيا الذى عقد بالقاهرة (ديسمبر ١٩٧٥) ونشرت باللغة العربية والانجليزية والفرنسية ووزعت على المؤتمرين •

وقد وضح من الدراسة أن أهالى أفريقيا جنوب خط الاستواء يتحدثون نحو ٣٥٠ لغة بانتوية وهى تكون عائلة كبرى واحدة من حيث النطق والقواعد ، مما يدل على أساسها وأصلها الواحد وتتضمن

هذه المجموعة عدة مجموعات أصغر مثل ناجوني Nagoni (ويشمل الزولو اكسوزا Aksuza ، زولو Zulu) هذا بالإضافة الى لغات المجموعة السودانية المنتشرة في أفريقيا كاليوروبا والبنبا والماندي •

كما توجد لغات خلاسية تكونت من تراوج عدة لغات وذلك مثل اللغة السواحلية في شرق ووسط افريقيا التي تكونت من تراوج اللغة العربية على عدة لغات بانتوية والفاظ من الانجليزية والبرتغالية والالمانية وغيرها • وتتقارب كثيرا اللغة السواحلية مع اللغة العربية وتشبهها في ذلك لغة الهوسا في غرب افريقيا التي يتحدث بها ١٥ - ٢٠ مليون نسمة بالإضافة الى ١٠ ملايين آخرين على صلة بها وهي لغة تحوى الكثير من الالفاظ والمصطلحات العربية •

وقد انعكس تقسيم افريقيا السياسى على تعدد اللغات المستعملة فيها بالإضافة الى الكثرة الساحقة من اللغات واللهجات الوطنية ، مما جعل الافريقين من دعاة الافريقية يفكرون في مخرج لاستعمال اللغة كأداة ربط بين شعوب القارة ومن هنا فقد اتفق الباحث (p. 21) مع كول أوموتوشى Motoshc, K. في ضرورة تأكيد الشخصية الافريقية من خلال لغة واحدة » وتلك دعوة لاثبات أهمية اللغة في الكيان الثقافى الافريقى •

ولكن دون ذلك عدة مشكلات منها انتشار اللغات المحلية وصعوبة الترجمة أو الافارقة للالفاظ والمصطلحات بالإضافة الى تعدد التقسيمات العشوائية والقبلية في أفريقيا لدرجة كثيرة ولكن لحسن الحظ أخذ هذا الاحساس في الزوال التدريجى •

سياسة :

٣٧ — أحمد عامر : الاتجاهات الحديثة للنظام السياسي في السودان بين الواقع وتقنين الفكر السياسي المايوي • ع ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ٢١١ — ٢٤٥ •

دراسة تعرض لنظام الحكم السياسي في السودان وتحلله منذ ابريل ١٩٧٣ عندما اجاز مجلس الشعب مشروع الدستور الدائم (مايو ١٩٧٣) وفي دراسة وصف النظام السياسي المعاصر ذكرت أنه يجب الا تقتصر على تفسير قواعد الدستور (ص ٢١٣) بل يجب أن تدرس الوسط الاجتماعي (الاثار والناس) رغم التماس المؤلف العذر في عدم الخوض في تحليلهما •

تدور طريقة ممارسة الحكم في السودان حول خمس هيئات دستورية هي : الرئيس (السلطة التنفيذية) — مجلس الشعب (السلطة التشريعية) القضاء — التغيير السياسي (الاتحاد الاشتراكي السوداني) الحكم الذاتي الاقليمي للجنوب •

وقد أوردت الدراسة تحليلا لتكوين كل من هذه الهيئات الدستورية الخمس تفصيلا بحيث القت الضوء على مكونات تنظيم كل منها ومجال عملها ونشاطها منذ نشأتها •

٣٨ — أحمد عامر : الاتجاهات الحديثة للنظام السياسي في السودان (القسم الثاني) • ع ٥ ، ١٩٧٦ ، ص ٢٥٩ — ٢٩١ •

المقال هو القسم الثاني في الموضوع ، فتحت عنوان تفسير وتحليل النظام السياسي المعاصر في السودان ، درس الباحث النظام الرئاسي موضحا أنه يتضمن جوانب ايجابية مثل / تدعيم اللامركزية ، تأكيد سيادة الشعب ، تركيز السلطة في يد الرئيس بهدف تحقيق التنمية القومية •

أما عن قضية الجنوب فتذكر الدراسة أن جذورها ترجع الى منتصف القرن ١٩ عندما كانت منطقة منعزلة مغلقة مفروضة عليها

سياسة خاصة تهدف السيطرة والحكم الاستعماري المباشر بتشجيع القبائل على المحافظة على تقاليدهم الموروثة القديمة ودون ما تحرك نحو تحديث المجتمع وتنميته ، بل أنها تطورت الى غلق المنطقة امام دخول الحضارة العربية والاسلامية بل ومنع الحركة بين الشمال والجنوب لتنفيذ خطة لعزل شطرى البلد الواحد جغرافيا وانثروبولوجيا .

وقد طغت المشكلة وكان يجب لها ذلك — على السطح اثناء وبعد عملية الاستقلال وما تبعها من سودنة الوظائف ، ولكن يبدوا أن ثورة مايو (١٩٦٩) سرعان ما وضعت يدها على نقطة العلاج لتحسم فترة القلاقل شهدتها الجنوب ، وذلك باصدار بيان ٩ يونيو ١٩٦٩ الذى كان هدفه تحقيق المساواة وتطبيق نظام اللامركزية كأساس للحكم الذاتى الاقليمى ، وما تبعه من تحقيق التنظيم السياسى الواحد الذى يهدف الى بناء الدولة العصرية (ص ٢٧٧ — ٢٨٨) .

Shawki El Gamal : An Unpublished document in the history — ٣٩
of the Anglo - French competition for the domination in Upper Nile.
Vol. 1, 1972, p. 9-22, illus. (Bill p. 22).

مقال بالانجليزية ، يدرس وثيقة تاريخية هي خطاب كتبه مارشان القائد الفرنسى للحملة الفرنسية التى وصلت فاشودة على النيل الابيض بالسودان فى عام ١٨٩٨ ، وأرسله الى جاكسون القائد الانجليزى للحملة التى أرسلتها الحكومة المصرية باعتبارها صاحبة السيادة (الاسمية الرسمية) على السودان . وقد اتضحت عدة نقاط منها ، أن كل قوات جاكسون كانت من المصريين ، كما توضح قلق مارشان من خطر انقطاع الامدادات التى كان ينتظرها ، وأخيرا فانها تلقى بعض الضوء على الولايات الانجليزية الفرنسية فى تلك الفترة (أصل الوثيقة محفوظة بمكتبة معهد البحوث والدراسات الافريقية) .

٤٠ M. Gerard Conac : Les Institutions Politiques des Etats
d'Afrique Noire et de la Republique Malagache.
Vol. 5, 1976, p. 67-80.

بحث باللغة الفرنسية عن الاوضاع السياسية فى دول افريقيا السوداء وملاجاشى ، وهو يدرس الاوضاع السياسية فى الدول

الافريقية الناطقة بالفرنسية ، وهى تلك التى كانت مستعمرات لفرنسا قبل استقلالها ، وما زالت معظمها مرتبطة بها بصورة أو بأخرى •

فبعد استعراض الازواح التاريخية وتطورها منذ قبل الاستقلال وما أعقبه من أحداث واكبت الاستقلال وأعقبته ، تطرقت الى ديناميكية أوضاع الاستقلال من صراع داخلى وتكالب خارجى من القوى الكبرى شهدته دول غرب افريقيا خاصة ، بل أنه مازال قائم فى كثير منها ، بل وتطور الى صراع مسلح مدمر كما هو كائن فى تشاد وكما كان لسنين طويلة فى زائير خاصة فى اقليم شابا (كاتانجا) •

ولا شك أن صورة الاحداث فى هذه الدولة تعطى صورة واضحة

عن الاتجاهات السياسية الافريقية •

M. E. Ghallab : Geneses of Political States in Northern— ٤١
Africa. Vol. 3, 1974, p. 1-7 (Bibl. p. 7).

بحث ودراسة باللغة الانجليزية عن تكوين الدول السياسية فى افريقيا الشمالية ، حيث تعرض الدراسة وتناقش الفكرة السائدة من أن فكرة القومية حديثة فى أفريقيا •

وقد أوضحت أن الشعور بالقومية ليس حديثا فى القارة بل قديما ، على الاقل يرجع الى الفترة التى شعر فيها الافريقى بتهديد المهاجم والغازى الاوربى له ، بل لقد أوضح تاريخ فترة ما قبل الاستعمار أن الانتماء القومى كان قويا فيها ، وقد ركزت الدراسة على غرب أفريقيا لأنها تشمل عدة أقسام ثقافية •

أما القسم الشمالى من أفريقيا فيتضمن أكثر من نصف القارة ، وبعد استعراض الظروف الايكولوجية انتقلت الدراسة الى الجانب الحضارى خاصة فى مصر وبلادكوش منذ عصر ما قبل التاريخ والعصور القديمة التاريخية متطرة الى تاريخ البربر والعرب الثقافى فى شمال

أفريقيا ، ثم الى ظروف وتاريخ نهالى منطقة الساحل الافريقى
التي تعتبر المعبر الرئيسى العرضى للقارة والتي ساهمت مع الطرق
الطويلة عبر الصحراء قادمة من الشمال فى تسهيل دخول الاسلام
الى غرب افريقيا حيث قام بدور ملموس فى تغيير معالم تاريخ المنطقة
هناك •

وعلى ذلك فان الزوج السودانين قد قدموا نماذج واضحة على
نجاحهم فى تمثيل فكرة القومية وتأسيس الدول القديمة منذ عصور
جد مبكرة •

M.A. El-Khawas : The Problem of Southern Sudan. Vol. 4, — ٤٢
1975, p. 21-41 (Bibl. p. 39-41).

دراسة بالانجليزية عن مشكلة جنوب السودان ، وهى دراسة تركز
على الجوانب التاريخية والسياسية فى الدراسات السودانية ، وتلك
المشكلة شغلت اهتمام وتفكير عقدين من عمر الافريقيين •

وتذكر الدراسة أنه منذ الحركة المهدية اتخذت الحكومة البريطانية
موقفا واضحا من الجنوب حيث عزلته عن باقى شمال البلاد وهى
ما عرفت بسياسة العزل والغلق •

وكان من نتيجة ذلك أن تخلف الجنوب تخلفا كبيرا من ناحية التنمية
الاقتصادية والاجتماعية ولم تختلف كثيرا الحالة خلال فترة السياسة
الجديدة (١٩٤٦ — ١٩٥٣) ولكن مع فترة استقلال السودان وما صاحبها
وأعقبها من احداث خاصة بعد ثورة مايو ١٩٦٩ عملت على حل مشاكل
الجنوب باخلاص كان من نتيجته استقرار الوضع فى السودان عامة
وفى الجنوب خاصة •

ولاشك أن هذا قد ساعد على استقرار الوضع السياسى فى السودان
خاصة مع تنفيذ مخطط الرئيس النميرى فى تأليف قلوب السودانين

من الشماليين والجنوبيين حول المصالحة الوطنية تحت أى شعار من شعارات الحكم ، ويبدو أن مصر لم تكن بعيدا عن تقديم بعض الافكار والنصائح .

٤٣ — H.T. Megahed : The Empires of Western Sudan; a political analysis. Vol. 1, 1972, p. 23-41 (Bibl. p. 39-41).

مقال بالانجليزية ، يدرس تاريخ الامبراطوريات والممالك التى انتشرت وتتابع تاريخا من القرن القرن الثامن الميلادى الى بداية دخول الاستعمار الاوربى فى السودان الغربى وذكرت الدراسة أن هذه الدول كانت دول غزو وجاءت نتيجة القوة العسكرية وأنها تتابع بحيث وزنت كل منها الاخرى فجاءت بعيدة عن التجانس كما تميزت بالمركزية فى السلطة التى كانت تعتمد بالاضافة الى القوة العسكرية على القوى الطبية والدينية . وأوضحت الدراسة أن نظام الحكم كان دستوريا (ديمقراطيا) بمعنى أنه كان يشارك رئيس الدولة فى الحكم مجلس وزراء ومستشارون يشاركون بفاعلية فى اتخاذ القرارات المتصلة بالحكم ، رغم انتشار أساليب الادارة اللامركزية والتنظيم الادارى الهرارى ويبدو أنه كان للإسلام أثر واضح فى هذا النظام والاسلوب .

٤٤ — حورية توفيق مجاهد : الاتجاهات الايديولوجية للوحدة الافريقية . ع ٤ ، ١٩٧٥ ، ص ٨٧ — ١٤٠ (بيبلوجرافية ص ١٣٨ — ١٤٠) .

عرض المقال أهمية (فكرة) الوحدة الافريقية واستخدام مفهومها وذكرت أنه استعمل فى ثلاث اتجاهات رئيسية ١ — وحدة ذوى الاصل الافريقى ، الجامعة الافريقية Pan - Africanism أو التضامن الزنجى (فقط) كيف ؟ ولماذا ؟ هل افريقيا قارة وأرض أم سلالة وسلالة واحدة هى الزنجية فقط ، ٢ — الحكم الذاتى أو الاستقلال للشعوب الافريقية جنوب الصحراء ٣ — والاخيرة والاهم والشائع

بلورة هياكل تنظيمية تحقيقا للوحدة بين الدول الأفريقية المستقلة ، وذكر أن رغم أن الاتجاهات الايديولوجية للوحدة الافريقية قد غيرت قومها عدة مرات (ص ٨٨) كان روح التضامن والترابط الاخوي ظل واحدا . ومن الموضوعات التي درسها المقال أهم الاتجاهات المرتبطة بجذور الوحدة الافريقية ولكنها ذكرت أن حركة الوحدة الافريقية بدأت أولا في الولايات المتحدة الامريكية وجزر الهند الغربية بين قلة من الطليعة المثقفة من أصل افريقي وارجعتها الى الابعاد الثقافية والعاطفية أكثر من الحركة السياسية واعتمدت الباحثة في ذلك على رأى دياللوتلى (؟) وكأن بيئة القارة الافريقية غير صالحة لنمو مثل هذه الافكار . واستنادا على ذلك فقد ركزت معظم الدراسة على بلورة أثر العناصر الثقافية والعاطفية على « الغريب والمنفى » وعندى أن كل هذا نتيجة الاعتماد على المصادر المكتوبة بأيد نتاج وعقول غير أفريقية أو متبرأة من أفريقيا . ويبدو أن الباحثة متعجبة ذلك لقولها (ص ١٢٦) أن الدول الثورية وعلى رأسها (؟) غينيا هاجمت مفهوم الزنوج وقد أكدت ذلك الباحثة مرة أخرى بأن تلك الافكار كانت في المرحلة الأولى بعد ذلك ومنذ ١٨٣٠ حمل الامريكيون من أصل أفريقي خاصة رجال الدين منهم لواء حركة التضامن الافريقي (ص ٩٣) ، وفي هذا دليل على أن الذى كان شائعا ليست هي فكرة الوحدة الافريقية كما يقصد بها حاليا ، ولكنها كانت تبدو نوع من التضامن بين الأفراد الافريقي الأصل (بل من السلالة الزنجية بالتحديد) أمام الأفراد من السلالات الاوربية في أمريكا و احيانا بريطانيا أى من خارج أفريقيا .

وبعد ذلك انتقل هذا النشاط الى القارة الافريقية عندما أسس سيلفستر ويليامز في عام ١٨٩٧ جمعية الوحدة الافريقية بغرض أن تؤمن للافريقيين والمنحدرين عنهم في العالم حقوقهم المدنية والسياسية الحقيقية (ص ٩٤) ثم جاء جارفى الذى كرس حياته لحركة العودة لافريقيا ويبدو أن حركته كانت أكثر ميلا للعنف فقد صرح : « لا القانون

في شيء من احلامه فقد مات منبوذا فقيرا في لندن ١٩٤٠ رغم أنه كان قوميا أفريقيا وضد الشيوعية. لفتى عملت جاهدة على التقارب عاطفيا مع فكرة الوحدة الافريقية وعلى العكس من ذلك تماما كان دي بوي (ص ٩٨ - ٩٩) وأن كان للثنتين كل في مجال اهتمامه فضل ملموس في تأصيل وتأكيد وتنشيط الفكرة الافريقية وظهرت أيضا بعض الجمعيات مثل مكتب الخدمة الافريقي الدولي الذي كان ضمن مجلسه التنفيذية جومو كينيا (ص ١١٢) واعتبرت الدراسة مؤتمر مانسستر عام ١٩٤٥ نهاية المرحلة الأولى ثم بدأت مرحلة استخدام حركة الوحدة الافريقية كسلاح ضد الاستعمار ومحاربته في القارة حيث بدأ ظهور شعار أفريقيا للأفريقيين ، ثم دخلت الفكرة المرحلة المحدثة التي تهدف الى تضامن الشعوب الافريقية سواء الزنجية أو العربية •

S. Nyang : Gambia; a state in search of viability. Vol. 3, — ٤٥
1974, p. 7-15.

بحث سياسي باللغة الانجليزية عن جامبيا ، التي نالت استقلالها في عام ١٩٦٥ بعد عدة سنوات من عام الاستقلال الساحق الذي شهدته القارة • جامبيا هي أصغر دولة أفريقية (٤ الاف ميل ، أقل من ٤٠٠ الف نسمة تعداد ١٩٦٣) •

وتعتمد البلاد اقتصاديا على منتجات الفول السوادنى الذي يعتبر المحصول النقدى الرئيسى والذي يزرعه ٩٠٪ من الاهالى ، وقد انعكس هذا كله على الوضع السياسى خاصة اذا علم أنها محرومة من أى مصدر للثروة المعدنية •

والملاحظ أن جامبيا أصبحت عضوا في الكومنولث البريطانى ويبدو أن هذا يرجع الى احساسها بالانتماء الى الدولة الام خاصة كى تحصل على الاحساس بالامان امام السنغال التى تحيط أراضيها كلها ، وأيضا حتى تنال المعاونة التكنولوجية من دول الكومنولث للنهوض وتنفيذ مشروعات التنمية •

قد شجعت الحكومة الجامبية دخول العملات الاجنبية بالاضافة الى الخبرة الى البلاد وقدمت لها الكثير من الخطط التي تحتاجها خاصة من مجالات السياحة والمجالات الاقتصادية الاخرى ، وأن كانت خطط التنمية ترتبط بالافكار التي كانت سائدة منذ الاتحاد (الاقتصادي) بينها وبين السنغال (p. 13) •

ولاشك أن هذا يساعد حكام جامبيا على القيام بدور ملموس في السياسة الافريقية ، ولكن مع التأكيد على أن ذلك محكوم بظروف الامكانيات المتاحة خاصة في الحجم والموارد •

H. M. Nzunga : Spotlights on Zambia 's relations with Arab — ٤٦ and African countries. Vol. 4, 1975, p. 57-61.

محاضرة أُلقيت في الاربعاء ١٦ من ابريل ١٩٧٥ ، عن علاقات زامبيا بالدول العربية الافريقية ويغلب عليها الجانب السياسي الحماسي — المحاضر سفير زامبيا بالقاهرة — وقد ركز على نقاط التشابه خاصة نماذج الكفاح ضد الغزاه والمستعمرين ، ثم شرح تفصيلا رأيه في أربع نقاط هي : انطلاقة زامبيا السياسية معتمدة على ديمقراطية الحزب الواحد ، وعلاقة زامبيا بروديسيا (زمبابوى الحالية) وبجنوب افريقيا •

أما الموضوع الثالث فهو الخط الحديدي تانزام — تانزارا ، ثم أخيرا الموضوع الرابع ، العلاقات الزمبابوية العربية • وقد شرح في النقطة الاولى سياسة الرئيس كنيث كاوندا منذ ٢٤ أكتوبر ١٩٦٤ كزعيم للحزب الوحيد H.E. ، وعن علاقة زامبيا بزمبابوى وجنوب أفريقيا وآثار التعاون وحسن الجوار السائد •

وعن الخط الحديدي ذكر أنه منذ الاستقلال شعرت البلاد بضرورة وجود خط حديدي كمخرج لها بعيدا عن الدول العنصرية لذا كان لبدء في مد هذا الخط الذي ينتهي في تقزانيا •

أما العلاقات الزمباوية العربية فقد ذكر أنه من الناحية السياسية تتوحد اللغة التي يتحدث بها كد منها كما أنه توجد مجالات كثيرة للتعاون في المجال الاقتصادي •

٤٧ — سلوى محمد لبيب : ظاهرة الانقلابات العسكرية في افريقيا بين النظرية والتطبيق مع ٤ ، ١٩٧٥ ، ص ٢١١ — ٢٣٤ ، مصور •

عرف المقال الانقلاب العسكري بأنه سيطرة جماعة من القوات المسلحة على الحكم في الدولة بالقوة وفرقت بينه وبين التمرد الذي هو حدوث تدمير مصحوب باستخدام العنف ويستتبعه تحقيق مطالب الجيش دون السيطرة على الحكم ، ونادى المقال الى صعوبة تطبيق النظريات التي تحكم الانقلابات العسكرية على معظم الدول النامية خاصة في القارة الافريقية •

وأوضحت الدراسة أن هناك اتجاهين لاشتراك العسكريين في السياسة الأولى هو الاشتراك في الاحزاب والتنظيمات السياسية الرسمية ، والثاني هو الاشتراك في أجهزة القوة والنفوذ مما يجعلهم يتدخلون في أمور وثيقة الصلة بالمكانة الاجتماعية والنواحي الاقتصادية من انتاج وتوزيع الثروة وغيرها وقد اثبتت الاحداث في توجو وغانا أن العسكريين يلجئون الى السيطرة على مصادر الانتاج بعد استحوادهم على مناصب السلطة السياسية • وعلى ذلك يصعب محاولة شرح ظروف كل انقلاب على حدة •

وعرض المقال للموضوع من خلال عدة نظريات هي :

١ — نظرية التطور المؤقت في المجتمعات النامية التي تقول أنه سرعان ما يحدث انقلاب عسكري يلي حدوث الاستقلال ومرحلة الانتقال وفشل المدنيين في الإدارة غالباً • ورغم أن هذه النظرية تبدو للوهلة الاولى منطقية الا أنها مضللة حيث يغلب فيها التعميم (ص ٢١٧) •

٢ - نظرية الميراث الاستعماري : التي ترجع السبب الى الخلفية الاستعمارية وفي هذه فرقوا بين النظم الموروثة الفرنسية وتلك الانجليزية من حيث قابلية حدوث الانقلابات ويرون أن النظام البريطاني يهيء بناء الدولة أسرع من الفرنسي •

٣ - نظرية العدوى : وهي التي يرى انتقال عدوى الانقلابات بين الدول باعتبارها تحدث عادة على شكل موجات (موجة ديسمبر ١٩٦٢ ، موجة نوفمبر ١٩٦٥ - فبراير ١٩٦٦) •

٤ - نظرية التفسير الاحصائي : التي تزعمها المحللين الامريكيين بغرض التنبؤ عن حدوث الانقلابات في المستقبل معتمدة على التحليل الاحصائي لبيانات الانقلابات السابقة ، وقد اثبتت وجود علاقة بين حدوث اضطرابات بين المدنيين وبين حدوث التدخل العسكري (نظرية Putnam, R.D.) التي تعتمد على قياس النمو الاجتماعي والاقتصادي والسياسي •

بتطبيق النظرية الاحصائية على افريقيا (على عينة من ٣١ دولة) اتضح أن أعلى معدل للانقلابات هو في داهومي ١٠ره تليها الكونغو ٢٠ره ثم كينشاسا ٣٨ره و ١٠ره في اقلها مثل مالي وتشاد •

وقد ربطت الدراسة بين عدة متغيرات هي : العوامل الاقتصادية الاجتماعية والتكوين العسكري والصفوة العسكرية والانهيار السياسي وغيرها حدوث الانقلابات ، وانتهى البحث الى أن دور العسكريين مبدئى الانقلاب هو تطبيق افكار ومبادئ الطبقة المتوسطة ومحاولة تطبيق مبادئ الديمقراطية الاشتراكية •

٤٨ - سلوى محمد لبيب : حركة التحرير الوطنى فى انجولا ١٩٦١ - ١١ نوفمبر ١٩٧٥ ، انجولا حتى الاستقلال دراسة سياسية ع ٥ ، ١٩٧٦ ، ص ١٨٥ - ٢١٩ •

دراسة سياسية لحركة التحرير الوطنى التى سبقت استقلال انجولا وتغطى الدراسة الفترة من ١١ نوفمبر ١٩٧٥ فبعد دراسة الموقع والاهمية الجغرافية والسكان تطرقت الدراسة الى العلاقة التى كانت قائمة بين البرتغال وانجولا السياسية جاءت نتيجة للمساومات السياسية والادعاءات الاستعمارية فى مرحلة التكالب الاستعماري مما انعكس على حدودها السياسية وهى بعامة ظاهرة سائدة فى افريقيا .

وقد اتضح أن الهزات التى تعرض لها النظام الجمهورى فى البرتغال قد أثر وعكس الكثير من اثاره على انجولا كسائر المستعمرات البرتغالية التى اعتبرت « مديريات ما وراء البحار » (مادة ١٣٥ من دستور عام ١٩٥١) وبذلك أصبحت أنجولا جزءا من البرتغال ويحكمها حاكم عام يعينه مجلس الوزراء لمدة أربع سنوات يساعده مجلسان استشاريان هما مجلس الحكومة (٨ اعضاء) والمجلس التشريعى (٢٦ عضوا) منهم (١٨ منتخبون) وبعمامة فقد كان هدف سياسة البرتغال هو محاولة تحقيق سياسة الادماج التى تقوم على اساس ضمان الحقوق الوطنية للافريقيين (ص ١٩١) .

أما عن تطور الحركات الوطنية فقد بدت منذ السنة الاولى للاستعمار ، وامتدت بعده مراحل بدأت بالكفاح القبلى التقليدى ضد القوى الغربية ثم تطور مع تطور الوجود البرتغالى (ص ١٩٣) ومن دلائل الوعى الوطنى أنه قد صاحب مرحلة حركة الوعى ظهور حركات ثقافية ودينية ساهم فيها بعض المستوطنين البرتغاليين مع مثقفين من الافارقة (ص ١٩٤) وكان لها دور فيما بعد فى ظهور الوعى السياسى ، حيث ظهرت أول دعوة للانفصال عن البرتغالى (عام ١٩٤٠) واستمر الكفاح حيث نشأ تنظيم جماعة الثقافة لانجولا (عام ١٩٤٣) واصدار صحيفة ثقافية (١٩٤٨) . . . الخ (ص ١٩٤ - ١٩٦) .

من هذا يتضح أن الكفاح السياسى فى انجولا شأنه شأن معظم المستعمرات السابقة الاخرى فى العلاقة قد ارتبط مع نمو وتزايد الوعى

الثقافى لواءه المثقفين ، (ولكن أقول يجب أن يكونوا وطنيين قبل كل شيء) •

وقد ربطت الدراسة بعد ذلك هذه الحركة محركات استقلال زامبيا وكابندا نتيجة نمو الحركات الوطنية فى انجولا بعد عام ١٩٦٠ (ص ١٩٨ - ٢١١) •

مصادر طبيعية (ثروة حيوانية) :

٤٩ - سمير ابراهيم غبور : الطيور كآفات زراعية فى افريقيا •
ع ١ ، ١٩٧٢ ، ص ١٠١ - ١٢٣ مصور (بيولوجرافية ص ١١٧) •

أوضح المقال أن أهم طائر يؤثر على المحاصيل الزراعية الافريقية هو طائر الكويليا *Quelea quelea* (Black-faced dioch) الذى يسود فى مناطق السافانا وهو الذى يغلب على تغذيته حبوب الذرة الرفيعة •

ويشترك هذا الطائر واسا الانتشار فى القارة الافريقية بسلالتيه (كويليا كويليا وكيليا ايثوبيكا) مع غيره من الطيور المضرّة بالمحاصيل خاصة العصفور الدورى *Passerdomestiais* (House parraw) والعصفور الاسبانى *Passer hispaniolensis* (Spanish sparrow) واليمام المصرى *Streptopelia scnegelonis* (Palm dove) وغيرها فى أنها تعتمد أساسا فى غذائها على الحبوب والاوراق الخضراء والازهار والثمار وجذور النباتات •

وتلتهم العصافير اطنانا كثيرة من الحبوب فقد قدر ما يأكله العصفور الواحد فى اليوم بحوالى ٤ جيم من القمح ومعنى هذا أن مليون عصفور تستهلك يوميا أربعة اطنان من القمح علاوة على الفاقد من تمزق الفوارغ • وتذكر الدراسة أن العصفور الدورى قد اخترق حاجز حالة الاتزان البيئى وأصبح يهاجم محاصيل لم يكن يهتم بها وتذكر أن هذا جاء نتيجة انتشار العمران وتغلغله خلال الاراضى

الزراعية فمساعدة ذلك على خلق بيئة مناسبة لاستقرارها وتكاثرها أو أن ذلك بسبب اختفاء الغذاء الطبيعي لها ممثلة في الحشرات والحشائش بسبب استعمال المبيدات في المناطق الزراعية كما في مصر • وتذكر الدراسة أيضا أن نقصان أعداد الصقور أما بسبب شيوع انتشار المبيدات خاصة د.د.ت الذي ينتقل اليه خلال سلسلة الغذاء أو سبب تزايد صغيرة من خلال العمليات المستمرة والمنظمة وذلك كان من أسباب تفاقم أعداد العصافير وتزايد خطرهما على المحاصيل •

٥٠ — سمير ابراهيم غبور : موارد الاسماك البحرية حول افريقيا •
ع ٢ ، ١٩٧٣ ، ص ١٢١ — ١٥٥ مصور (بيولوجرافية ص ١٥٥) •

تذكر الدراسة أن الانسانية مع اقترابها من نهاية القرن العشرين لم تصل في استغلال المحيطات الى الاستغلال الامثل المناسب ، وتحتصر وسائل الاستغلال في الجمع والبحث سيرا على الاقدام ورغم أنها وسيلة بدائية الا أنها تنتج كميات لا بأس بها في المنطقة المدية الجزرية أو على السواحل المرجانية •

أما الصيد في أعالي البحار فتحدده وسيلة النقل وامكانياتها وتنقسم سفن الصيد الكبيرة المصنوعة من الصلب الى ثلاث مستويات : حمولة ١٠٠ — ٣٠٠ طن (٣٠٠ — ٨٠٠ حصان) وبطول ٢٥ — ٣٥ متر وطول ٣٥ — ٤٥ متر (٣٠٠ — ١٢٥٠ حصان) ، أكثر من ٤٥ متر حتى ٨٠ مترا (١٢٥٠ — ٢٠٠٠ حصان) وحمولة ٨٠٠ — ٣٠٠٠ طن •

وعن الشباك تذكر الدراسة أن من أنواعها شباك الصيد الجزافي ومنها الشباك الخيشومية وشباك الطرح وشباك الجر ، أما المصيدة فتستخدم عادة بالقرب من الشواطئ وهي التي تستخدم لصيد التونة على شواطئ ليبيا ولصيد الاستاكوزا في موريتانيا وناميبيا •

وقو عرضت في اشكال وخراط لانماط المراكب والشباك ومناطق الصيد حول افريقيا ، كما عرضت في جداول وفي المتن للكميات المنتجة من الاسماك المختلفة •

كما عرضت لعمليات الصيد التي يقوم بها غير الافريقيين في المياه الافريقية خاصة في قطاع موريتانيا — جزر كناريا (سفن شبك الجر اليابانية) ، كما درست الصيد الافريقى في المياه الافريقية في مصر وتونس والجزائر والمغرب وفي دول غرب أفريقيا وشرقها •

أما عن الجهود الافريقية لحماية المصايد البحرية وموضوع المياه الاقليمية فقد عرضت لاتفاقية منظمة الوحدة الافريقية لصيانة وتنمية واستغلال الطبيعة والموارد الطبيعية (الجزائر سبتمبر ٦٨) وأخيرا عرضت لعمليات تربية الكائنات البحرية •

موارد طبيعية (ثروة وراثية) :

٥١ — نجيب نصار : الحفاظ على الموارد الوراثية للقارة الافريقية •
ع ٢ ، ١٩٧٣ ، ص ١٧٩ — ١٨٩ مصر (بيبيوجرافية ص ١٨٩) •

نشأت السلالات النباتية الجديدة (المحاصيل المنزرعة) كالقمح والقطن بأصنافها الجديدة نتيجة لاستئناس أصول برية كانت تنمو طبيعيا في موطنها الاصلية وتضافرت عوامل كثيرة كالذوق الانسانى والمطالب الاجتماعية ومجهود الباحثين في انتاج سلالات ومحاصيل نباتية جديدة قيمة •

ولكن المشكلة أن السلالات البرية مهددة بالانقراض ، غافلين عن محتواها من الامكانيات والنباتات الوراثية التي يمكن أن تصبح مصدرا نافعا عظيما اذا ما أحسن الاستفادة منها ، وأبرز الامثلة الارز الافريقى *Oryza Glaberrima* (ص ١٨١) ، أن التغير السريع المعاصر أظهر

الحاجة المستمرة الدائمة الى مخزون من المجمعات الجينية تفي بمتطلباته •

والواقع أن هناك صعوبات كبيرة من جراء زراعة السلالات البدائية (ص ١٨٦) ، وقد نظمت الامم المتحدة المتخصصة المشكلة في المؤتمر المشترك لمنظمة FAO وبرنامج عام ١٩٦٧ من أجل المحافظة على الموارد الوراثية وأوصى بحضر الموارد الوراثية لكل محصول بقدر الامكان (ص ١٨٧) وانشاء بنك عالمي للمادة الوراثية يتبع احدى مؤسسات الامم المتحدة وتوثيق كل النواحي الخاصة بحفظ المادة الوراثية •

وقد اتضح من الدراسة أن منطقة اثيوبيا وما حولها وامتدادها في جنوب غرب الجزيرة العربية هي أهم مراكز التباين الوراثية للنباتات المنزرعة في العالم (عن فافيلوف ١٩٥١) •

عامسة :

٥٢ — محمد السيد غلاب : الدراسات الافريقية • ع ١ ، ١٩٧٢ ،

ص ١ — ٨ •

عرض المقال لعلاقة مصر بالقارة الافريقية وبأنها أفريقية ارضا وناسا وحضارة على مر العصور المتتالية ، ولهذا ظهر الاهتمام بها فانشأ معهد الدراسات الافريقية الذي أجرى كثير من البحوث والدراسات الخاصة بالقارة قام بها طلاب المعهد وخريجوه الذين عمل كثير منهم كأعضاء هيئة التدريس بالجامعات ومنهم من بلغ منصب الاستاذية •

وقد تطورت مناهج الدراسة أكثر من مرة حتى بلغت صورتها الجديدة التي أصبح بها المعهد يشمل على ستة أقسام : للموارد الطبيعية ، والجغرافية ، والانثروبولوجيا ، والتاريخ ، والنظم السياسية

والاقتصادية ، واللغات واللهجات الافريقية تعقد فيها حلقات الدراسة والبحث للحصول على درجة الماجستير ودكتوراه الفلسفة في الدراسات الافريقية .

ويأمل المعهد في اعداد نخبة من الباحثين الذين يمكن أن يقوموا بأعمال الدراسة والبحث المتعلقة بالدراسات الجغرافية والتاريخية واللغوية وغيرها . وأوضح الباحث . وهو من اساتذة الجغرافيا والانثروبولوجيا أنه نظرا لما قدمته القارة الافريقية وما تقدمه من كشوف ونتائج خاصة بتطور الانسان وتنوع وتباين شعوبه فقد كان مناسبا جدا تخصيص قسما للانثروبولوجيا بعد أن كانت مثل الجيولوجيا جزء من الجغرافيا مما يساعد على دراسة شعوب القارة وثقافتها وفنونها دراسة : محايدة بعيدة عن التعالي والتعصب الاوربي .

وأوضح المقال عدة نقاط جديرة بالبحث والدراسة في مختلف مجالات اهتمام الاقسام المختلفة ، كما ذكر بأمل أن هذا كان السبب الاساسي الذي من اجله انشئ المعهد .

٥٣ — محمد السيد غلاب : المؤتمر الدولي الثالث للافريكانيين .
ع ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ٢٤٧ — ٢٥٣ .

عقد في اديس أبابا في الفترة من ٩ — ١٩ ديسمبر ١٩٧٣ المؤتمر الثالث للافريكانيين بدعوة من جامعة هوفر الامريكية ومكتب المؤتمر الدولي للافريكانيين : وقد حضره نحو ٣٠٠ يمثلون ٢٠ دولة معظمها افريقية ثم اوروبية وأمريكية (USA وكندا) ودولة اسيوية واحدة (كوريا الجنوبية) ولم تحضر المؤتمر الدول العنصرية بما فيها اسرائيل .

وقد وصفت الدراسة تشكيل الوفود ثم (باختصار) مكان انعقاد المؤتمر وجلساته ، وأوضحت أن معظم الاعضاء من الافريقيين كما أن معظم الابحاث التي قدمت باقلام افريقية على عكس المؤتمر الاول

(اكرا ١٩٦٢)، والثانى (داكار ١٩٦٦) وبذلك يتضح أن افريقيا اخذت
أمورها فى ايديها (اكرا = فكرة الدعوة الافريقية ، داكار = فكرة
الزنجانية ، اديس ابابا = الوحدة الافريقية) •

وعمل المؤتمر من خلال خمس لجان متخصصة بالاضافة الى
الاجتماعات العامة ألقى فيها محاضرات فى : التاريخ الافريقى ،
والعلم وافريقيا ... الخ •

أما قرارات المؤتمر فكانت (ص ٢٥١) •

١ - تغيير اسم المؤتمر الى المؤتمر الدولى للدراسات الافريقية •

٢ - اختيار جامعة زائر مقرا للمؤتمر الرابع •

٣ - الاهتمام بمشكلة الجفاف •

٤ - ادانة الاستعمار البرتغالى والتفرقة العنصرية •

٥ - ادانة احتلال أراضى القارة وضمها بالقوة •

كما أوردت الدراسة بيانا ببعض معاهد الدراسات الافريقية
ومجالات اهتمامها (ص ٢٥٢) •

هذا وقد اتضح من عرض ودراسة هذه المقالات (جدول ١) أن
موضوعات الدراسة الخاصة بالسياسة هى التى نالت أكبر عدد فى
الانتاج تليها موضوعات التاريخ الحديث ثم موضوعات الانثروبولوجيا
العامة ، كما يلاحظ تعدد الموضوعات (٢١ موضوعا كبيرا) كانت فى
معظمها بعامة تعالج بحوثا وموضوعات وقضايا افريقية •

جدول (١)

يبين عدد ونسبة المقالات المنشورة في الاعداد الخمس اجلة الدراسات الافريقية
(١٩٧٢ - ١٩٧٧) موزعة حسب الموضوعات

الموضوعات		باللغة العربية		باللغات الأجنبية		الجملة	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	
أدب	٢	٥,٥٦	—	—	٢	٣,٧٧	
اقتصاد	—	—	١	٥,٨٨	١	١,٨٩	
انثروبولوجيا اجتماعية	—	—	١	٥,٨٨	١	١,٨٩	
أنثروبولوجيا ثقافية	—	—	١	٥,٨٨	١	١,٨٩	
انثروبولوجيا طبيعية	١	٢,٧٨	١	٥,٨٨	٢	٣,٧٧	
انثروبولوجيا عامة	٥	١٣,٨٩	—	—	٥	٩,٤٣	
جغرافية أديان	١	٢,٧٨	—	—	١	١,٨٩	
جغرافية اقتصادية	٣	٨,٣٤	١	٥,٨٨	٤	٧,٥٥	
جغرافية تاريخية	—	—	١	٥,٨٨	١	١,٨٩	
جغرافية طبيعية	١	٢,٧٨	—	—	١	١,٨٩	
جغرافية مدن	١	٢,٧٨	١	٥,٨٨	٢	٣,٧٧	
جيمورفولوجيا	—	—	١	٥,٨٨	١	١,٨٩	
تاريخ حديث	٧	١٩,٤٥	—	—	٧	١٣,٢١	
تاريخ عصور وسطى	٤	١١,١١	—	—	٤	٧,٥٥	
تاريخ قديم	١	٢,٧٨	١	٥,٨٨	٢	٣,٧٧	
لغات	—	—	١	٥,٨٨	١	١,٨٩	
إيالة	٥	١٣,٨٩	٧	٤١,١٨	١٢	٢٢,٦٤	
موارد طبيعية (ثروة حيوانية)	٢	٥,٥٦	—	—	٢	٣,٧٧	
موارد طبيعية (ثروة وراثية)	١	٢,٧٨	—	—	١	١,٨٩	
عامية	٢	٥,٥٦٧	—	—	٢	٣,٧٧	
الجملة	٣٦	١٠٠	١٧	٩٩,٩٨	٥٣	١٠٠	

ويظهر من دراسة هذه المقالات المتخصصة الكثير ، ففيها النتائج
الآخيرة للدراسات الحديثة الجارية في الموضوع •

طرق البحث المكتبي في الموضوع

يمكن للباحث في الدراسات الأفريقية عندما يرغب في البحث المكتبي
أن يدخل إلى موضوعه من وعن أكثر من طريق ، منها ، دوائر المعارف
العامة ثم المتخصصة ، ومنها كتالوجات المكتبات العامة والجامعية
والمتخصصة وفي هذه الحالة يفضل معرفته العريضة بنظام التصنيف
المتبع ، وهو في الأغلب لا يكاد يخرج عن أحد ثلاث : ديوي Dewey
أو الكونجرس LC، أو بليس Blin C. أو مشتقاتها (كما في
مكتبة جامعة كامبردج) أما نظام الفهرسة فعناصره أساسية لا يكاد
يختلف عليها كثيرا ، إلا في محتواها ومواضعها •

كما يمكن للباحث أن يرجع إلى الدوريات المتخصصة في موضوعه ،
ليصل فيها ومنها إلى مادة كثيرة ومن الدوريات الهامة في الدراسات
الأفريقية ما يصدره في لندن International African Institute مثل
IAT Bulletin; International African Bibliography
بالإضافة إلى مطبوعات أخرى ، وما يصدره من دراسات عامة
متخصصة ، مثل السلسلة القيمة عن Ethnographical Survey of Africa
التي مازالت تصدر حتى الآن منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاما ومن
أهم الدوريات التي تصدر أيضا في لندن في مجال الأنثروبولوجيا
خاصة بالتطبيق على أفريقيا Anthropological Index (Quarterly)
وهي تكشف كل الدوريات الموجودة بمكتبة متحف الإنسان في لندن
Museum of Mankind Library (سابقا مكتبة الجمعية الأنثروبولوجية
الملكية) وهي تغطي كل فروع الأنثروبولوجيا والآثار • وهناك أيضا
وتصدر عن جمعية الدراسات African Research and Documentation
الأفريقية (برمنجهام) ومن الدوريات الدولية ذات الاهتمام أيضا
بالدراسات الأفريقية African Affairs التي تصدرها جمعية
The Royal African Society في لندن، ومجلة The Journal of African History

وتصدرها جامعة كامبردج ومجلة The African Economic History
وتصدرها منظمة الدراسات الافريقية في جامعة ويسكونسن وهناك
مجلة Canadian Journal of African Studies التي تصدرها جمعية
الدراسات الافريقية في اونتاريو •

ومن أهم الدوريات التي تتولى نشرها الجمعية الانثروبولوجية
الامريكية American Anthropologist; African Ethnologist كما تحفل
المكتبة الامريكية بعدد كبير للغاية من الدوريات ذات الاهتمام بالدراسات
الانثروبولوجية وتلك المتصلة بها ، منها على سبيل المثال :

Ethnology; The Sociological Review; Urban Anthropology;

American Journal of Physical Anthropology ;

American Journal of Sociology; Dialectical Anthropology;

وهي في الحقيقة تنشر موضوعات كثيرة عن افريقيا وأهلها وسكانها •

وتصدر جامعة كامبردج دورية (ربع سنوية)
The Jour of Modernn African Studies وهي تنشر دراسات وبحوثا
معظمها يقوم بها اساتذة من الجامعات الافريقية في المجالات الاقتصادية
والسياسية والانثروبولوجية •

كما تصدر مدرسة الدراسات العليا للدراسات الدولية
Graduate School of Internatianl Studies بجامعة دنفر بكلورادو
بأمريكا دورية ربع سنوية هي Africa Today تهتم بالموضوعات
السياسية خاصة في افريقيا الزنجية • ومن الدوريات الامريكية أيضا
(٣ أعداد سنويا) The African Studies Review وتصدر عن
African Studies Association بجامعة Brandies في Waltham
في ماساتشوستس ، وتهتم بموضوعات أفريقية عامة خاصة في العلوم
الاجتماعية •

كما يجب على الباحث استعمال المواد المكتبية الخاصة (الاطالس ،
الخرائط ، الوثائق ، الشرائح ... الخ) ففيها كل ثمين علميا ، كما أن

استعمالها يدل على طول باع في البحث العلمي ، ناهيك عن دقة استخدامها الذي يدل على علمية الباحث ورفعة شأنه في مجاله .

ومن هنا كان الحرص على عرض بعض المراجع (X) والدوريات التي يجب أن يستعملها الباحثون في الدراسات الافريقية باستمرار فمن المراجع الاساسية للباحثين في الدراسات الافريقية عامة والدراسات الانثروبولوجية (وكل الدراسات المتعلقة بالانسان) خاصة الرجوع أولا الى الببليوجرافيات الشاملة عند البدء بالعمل العلمي ، ومن أهم تلك الببليوجرافيات :

Robinson, A.M. (Comp.) : Abibliography of African bibliographies, covering territories south of the Sahara. 3rd. revised to August 1955. Cape Town, South African Republic Library, 1955.

Wieschhaff, C.H.A. : Anthropological Bibliography of Negro African, 1970.

وغيرها من الببليوجرافيات المماثلة .

ومن المراجع الاساسية المعنية : Keesings Contemporary Archives

الذي يعرض مختارات من الاحداث الجارية ، و The Times Index الذي يكشف جريدة الـ Times منذ ١٧٩٠/٩٥ حتى اليوم ، وأيضا Glasgow Herald Index الذي صدر عن ١٩٤٩ - ١٩٦٨ ، ومن المفيد أن نذكر أن كشاف التايمز له نسخة ميكروفيلمية ، كما أنه يكشف أيضا Daily Telegraph و Sunday Telegraph و Dialy Magazine على الميكروفيلم أيضا ، وهناك طبعا كشافات المجلات العلمية البريطانية والأمريكية مثل Geographical Magazine الذي له تجميعتين الأولى منذ بدأ صدورهما (١٨٧٥) حتى عام ١٩٤٦

(*) هناك فرق واضح بين دلالة لفظ مرجع reference ومصدر resource (راجع : سعد محمد الهجرسي : المراجع وداستها . مج ١ . القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٢٨) .

ثم تجميعه ثانية من عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٦٩ ، وجارى سنويا
نشر كشاف لها سيجمع بعد بضع سنوات •

ومن المراجع الهامة أيضا البيبليوجرافيات العامة والخاصة وهي
هامة كما ذكرنا ، وهناك أيضا الكشافات المتخصصة القومية التي من أهمها
British Humanities Index ; British Techological Index

الخ ، وهناك الكتب السنوية Annual Year Books التي تصدرها
الحكومات أو المعاهد العلمية ، وبالمثل التقارير والنشرات الاحصائية
السنوية مثل Statistical Yearbook وغيرها من التقارير

الدورية التي تصدرها المنظمات والهيئات الدولية والقومية ، كما يجب
ألا ننسى Index to Maps in Books and Periodicals . الذي توالى

نشره الجمعية الجغرافية الامريكية وهو أهم مصدر لحصر الخرائط
وأیضا National Union Catalog ; Cumulative Book Index (CBI)

والنشرة المصرية للمطبوعات ، وهي كلها بيبليوجرافيات عامة ولكنها
ترشد بعد ذلك الى المتخصصة والموضوعية مثل

Geographique Internationale

American Geogr. Soc. : Current Geogr. Publication Bibliography, Abstracting Periodicals

كما يجب ألا نقتل من أهمية الرجوع الى دوريات الاستخلاصات

وغالبيتها متخصصة مثل : Geographical Abstracts

(في ٧ موضوعات) و Historical Abstracts

و Anthropological Abstracts ... الخ •

أما عن المراجع المتخصصة في الدراسات الافريقية التي ترشد
كبيبليوجرافيات وتعين بالتكثيف فهي كثيرة ، ولكن لعل أهمها :

Asamani, J.O. : Index Africanus. Stanford, Hoover Press, 1975.

Andor, L.E. (Com.) : Aptitudes and abilities of the black Man in Sub-Saharan Africa. 1784-1963; aan annotated bibliography.

Johannesburg. National Instit. for Personnal Resarch, 1966.

Jones, Ruth (Com.) : Africa Bibliography Series. London, IAI, 1958-61
(4 Vols.).

The African Book Publishing Record. Oxford, Hans Zell Publ. Ltd.
A List of Geogr. Atlases in the Library of Congress. Washington, 1909-
1974 (8 Vols.).

وبعامة يجب على الدارس والباحث أن يبدأ عمله بقاعة المراجع في المكتبات التي يتردد عليها ، ويتعرف على محتوياتها وأماكنها تفصيلا ، وهي بعامة تحتوى على المراجع والمواد المكتبية الأساسية التي تدخل الباحث الى موضوعه بدقة وشمول ، وتلك القاعة مع قاعة (ادراج أو قوائم) الفهرس Catalogu هي أوليات العمل العلمى المكتبى في ظروفنا المصرية التي لا يوجد معها مرشد القراء والباحثين بالاسلوب العلمى ، وأن كان هذا لا يغنى طبعاً ولا يقلل من أهمية دور أمين المكتبة خاصة في المكتب المتخصصة (في موضوع الباحث) في تقديم المعاونة القيمة ، فهو بحق عالم اذ اخلص ، وكم اخرجت المكتبات المتخصصة من علماء ، وكم يقدرهم الباحثون ويشكرونهم اذا ما اخلصوا الارشاد وهم كثيرا ما يفعلون ونرجو منهم ذلك دائما .

ولن يستغنى الباحث للكشف عن الدوريات العلمية المتخصصة ونأشريها أن يرجع الى بعض المراجع المتخصصة مثل :

A classified guide to current periodicals foriegn and domestie Ulrich's
International Periodicals Dictionary. 18 th. ed., 1979-1980.
A Bowker serials bibliography. New York, R.R. Bowker Col., a Xerox
Publ. Co., 1979.

وغالبا ما سيحتاج الباحث أن يستدل على موضوع تواجد احدى الدوريات التي عرف أنه يوجد فيها مادة تهمة ، فكيف يستدل على ذلك ، هناك بعض المراجع متخصصة تعين في هذا المجال ، عليه أولا معرفة العنوان الحديث للدورية المطلوبة من :

Ponter, Kenneth I. and Koster, C.J. (eds.) : World List of Scientific Periodicals; New Periodical Titles 1960-1968. London, Butterworths, 1970.

ثم يمكنه الرجوع بعد ذلك الى :

Brown, Peter and Stratton, George Bunder (eds.) : 'World List of Scientific Periodicals; Published in the Years 1900-1960.

London, Butter Worths, 1965, 4 Vols. (and Supplement every year).

وعلى ذلك فإن الباحث لن يستغنى عن اللجوء الى أمين المكتبة ، خاصة المتخصص في ارشاد القراء وبالتحديد في قاعة المراجع فهو خير معين له ، فلا يتخرج من ذلك مهما كان تخصصه ومستواه فبالتجربة العلمية اتضح أن في هذا انقاذا لرأسمال الباحث (الوقت + الجهد) ، وهما ما يمثلان • في الحقيقة مع المال العناصر الثلاث الرئيسية التي يصنع الانسان من فوائضها لديه القيم الثقافية ، الراقية • والتي تكون تراكماتها مع الزمان الحضارات المتقدمة ، التي نأمل أن تعود الى الظهور مرة أخرى في عالمنا الافريقي •

الخلاصة

تعتبر الدراسات الافريقية مجالا هاما من مجالات البحث والدراسة الاكاديمية في مختلف الجامعات واكاديميات البحث العلمي ، بل أن كثيرا من مستوى وأهمية هذه الهيئات كثيرا ما يتحدد بوجود هذه الدراسات بمستواها وامكانياتها المتقدمة فيها •

من هذا كان الاهتمام باعداد هذه الدراسة ولقد كانت مصر دائما مواكبة للتقدم الحضارى الانسانى بل وسباقه الى كل جيد والى كل جديد فيه ، من خلال رؤية كاشفة مستقبلية رائدة ورائعة ، فكان معهدنا العتيق الذى كان الرائد في مجاله في داخل القارة الام •

والدراسات الافريقية ليست مجالا جغرافيا وحسب ، بل أصبحت مجالا موضوعيا أيضا ، فهي التي خلقت تخصصات علمية لم تكن معروفة من قبل ومازالت • كما أنها تعمل وباستمرار على تطوير وتجديد المفاهيم العلمية في كثير من مجالات المعرفة الانسانية •

من هنا كانت العناية بمعرفة وسائل البحث والدراسة فيها من خلال المكتبة المتخصصة وادواتها وموادها ، ومن أهمها الكشافات والكشافات المشروحة ، ومن هنا كان هذا العمل الخاص بوضع أول كشاف مشروح لمجلة الدراسات الافريقية جامعة القاهرة ، مع ذكر أهم الدوريات التي تصدرها أهم معاهد ومراكز الدراسات الافريقية العالمية •

وعلى كل ، فمهما كان تقبل هذا العمل ، فهو جهد المقل ، الذي ما كان يهدف إلا خدمة عمله وعلمه وعالمه •

وأخيرا نصيحتي أن يتخذ الباحث العلمى من عمله هواية وممتعة وميدان سعادة له ولن حوله بل يتخذه عبادة يتقرب بها الى الله تعالى •

شكر وتقدير

يشكر الباحث القائمين على نشر مجلة الدراسات الافريقية - جامعة القاهرة ويقدر بالعرفان جهود العاملين المخلصين فى مجال الدراسات الافريقية ، ونأسف لتأخر نشر هذا العمل ، جزى الله الجميع ، بعدله وبرحمته •

**ببليوجرافية عامة ببعض المصادر العامة
في المجال لفتح باب البحث والفكر**

- 1 — A Bibliographical guide to colonialism in Sub-Saharan Africa. Cambridge, 1973.
- 2 — Fyfe, Christopher (ed.) : African studies since 1945; a tribute to Basil Davidson, Edinburgh, T. & A. Constable, 1976.
- 3 — Hargreaves, J.D. : History; african and contemporary. ASAUK Presidential Address given in London Symposium, Sept. 1973.
- 4 — Lystad, R.A. (ed.) : The African World; a survey of social research. London, Pall Mall Press, 1965.
- 5 — Wringley, Christopher : Historicism in Africa. African Affairs. Vol. 279, 1971.

القاهرة — نوفمبر ١٩٨٢
فاروق عبد الجواد شويقة

أثر الأزمة الأثيوبية على السودان

١٩٣٥ - ١٩٣٦

للدكتور

تمام همّام تمام

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر

المساعد بالمعهد

تهدف هذه الدراسة الى معالجة قضية هامة لعلها لم تبحث بعد
أو على الاقل لم تعالج أكاديميا في وحدة متكاملة رغم خطورتها لانها
تتعلق بعلاقات شعبيين في بلدين متجاورين في حوض النيل تجمع بينهما
روابط قوية منذ أقدم العصور •

وان ما يحدث في اتحاد البلدين (اثيوبيا أو السودان) لابد أن
يؤثر على الآخر بحكم القرابة الجغرافية والعرقية والمشاركة في بعض
المصادر الطبيعية ، فضلا عن الظروف المستقبلية التي لا تقتصر على
احدهما دون أن يتأثر بها الآخر •

ونظرا لاهمية القضية التي نتجت عن هجوم سافر من دولة أوربية
(ايطاليا) على دولة افريقية (اثيوبيا) في وجود عصبه الامم وقتذاك ،
فان الدراسة تدور حول الكشف عن دوافع ايطاليا التي خلقت الازمة
وصداها في السودان ومدى تأثيره بها وموقفه منها — حكومة وشعبا —
وذلك من واقع الوثائق الاصلية في اطار منهج البحث التاريخي والتحليل
العلمي •

دوافع الازمة الاثيوبية :

ترتب على انتهاء الحرب العالمية الاولى ، ان تكونت عصبة الامم ، لصيانة السلام العالمى ، وللمحافظة على حقوق وأملاك الاعضاء المشتركين فيها ، ومن ثم أخذ الهدوء النسبى يخيم على العالم ، وصار الناس يستبشرون خيرا ، بعد أن ضمدوا جراحهم من تلك الحرب ، التى لم تقتصر على مركز اشتعالها فى أوربا ، وانما امتد لهيبها الى خارج تلك القارة الامر الذى ترتب عليه أن لحق الضرر بشعوب لا مصلحة لها فى تلك الحرب •

ولكن سرعان ما تغيرت الظروف فى أوربا نفسها وذلك بمجىء زعامات وقيادات وأحزاب سياسية جديدة ، جرت فى عروقتها منذ البداية مطامع اقليمية أو مكاسب استعمارية (١) وصار السلام الدولى ، مرهونا بعلاقة قادة تلك الاحزاب السياسية الجديدة بعضها البعض ، أو علاقة احداها أو جميعها مع غيرها •

وكانت الدول الاوربية التى خرجت منتصرة من الحرب العالمية الاولى وحصلت على مكاسب اقليمية أو سياسية داخل أوربا نفسها ، أو حققت مطامع استعمارية خاصة فى افريقيا ، تأمل فى استمرارية الاوضاع التى أقرها مؤتمر الصلح العام فى باريس حفاظا على السلام الدولى والضمان الجماعى الذى كفلته موثيق عصبة الامم •

وكانت بعض الدول التى خرجت من تلك الحرب ولم تستفد منها مثل ايطاليا ، أو خسرت فيها مثل المانيا قد سلكت نهجا مخالفا تماما عن نهج الدول المنتصرة ومن ثم صار مستقبل السلام الدولى يتذبذب بين هذين الطرفين المتناقضين •

وكانت ايطاليا التى أوجدت الازمة الاثيوبية خرجت من تلك الحرب العالمية الاولى منهوكة القوى ، فقد خسرت — فيها الكثير ماديًا وبشريًا على أمل أن تعوض خسارتها ، بالمكاسب التى تضمنتها المعاهدة السرية

التي عقدتها مع بريطانيا وفرنسا وروسيا في ٢٨ ابريل ١٩١٥ ، والتي دخلت على أساسها الحرب بجانب دول الوفاق وشملت أقاليم في أوربا (١) وتوسعات في مستعمراتها الافريقية ، فضلا عن تعهد بريطانيا بمعاونة ايطاليا بمنحها قرضا قدره خمسون مليون جنيها بشروط ميسرة واشراكها في الحصول على نصيب من تعويضات الحرب (٢) .

لكن الذي حدث أنه بعد تلك الحرب الدولية لم تحصل ايطاليا على كل ما تضمنته المعاهدة السرية (٣) ، ومن ثم صارت الاوضاع في ايطاليا عقب تلك الحرب اسوأ عما كانت عليه قبلها اقتصاديا وسياسيا .

وقد شاعت الظروف في تلك الفترة القلقة في ايطاليا أن تظهر الحركة الفاشية أو الحزب الفاشستي في عام ١٩١٩ بزعامة بنيتوموسوليني ، والذي سرعان ما تمكن من السيطرة على مقاليد الامور في ايطاليا عام ١٩٢٢ .

وبدأت الحكومة الفاشية ببذل جهود متواصلة لانتشال البلاد من حالة الانهيار المحدقة بها ولاعادة عظمة ايطاليا ومجدها السابق (٤) . ورغم الجهود التي بذلتها الحكومة فان صورة ايطاليا لم تتحقق كما أرادها موسوليني فهناك قطاعات من الشعب لا عمل لها ، مما ترتب عليه أن انخرفت الى ارتكاب الجرائم والاعمال غير الشريفة ومن ثم شكلت عبئا آخر في الدولة وعلى الحكومة .

وقد ترتب على كل ذلك بجانب رغبة الفاشست في اعادة عظمة ايطاليا القديمة التي كانت على عهد الرومان أن رأى موسوليني أن خير علاج لتلك الاوضاع المتردية في الداخل هو الاستيلاء على أملاك جديدة في الخارج لتكون متنفسا للشعب الايطالي الذي يزداد يوما بعد يوم ولانعاش اقتصادياته وتقدمه .

والواقع أن مسألة تزايد السكان واتخاذها مبررا في الاعتداء على الغير وسلب ممتلكاته تحتاج الى وقفة فهي أمر غير منطقي وعمل غير

مشروع وانما هي حجة — رغم أنها واهية — ترفعها حكومات الدول العدوانية أو المتسلطة عندما تشعر بانها غير قادرة على ايجاد المشروعات الاقتصادية التي يستوعب العمل فيها تلك الزيادة ومن ثم تضطر الى توجيه الزائد من العمالة سواء كانت شريفة أو حتى غير شريفة الى المستعمرات الجديدة •

وبالنسبة لاييطاليا نجد أن هذا التبرير لا أساس له من الصحة فكانت حكومة موسوليني الفاشية تشجع على زيادة النسل وذلك بمنح العائلات العديدة الافراد مكافآت طيبة كما أنها كانت تحرص على اعادة المهاجرين الى الوطن (٦) •

ولعل الصحيح هو أن ايطاليا الفاشية كانت في حاجة شديدة الى المواد الخام التي لم تتوفر في مستعمراتها وذلك لتشغيل مصانعها بكامل قوتها خاصة بعد أن اتبعت سياسة اقتصادية تهدف الى الاكتفاء الذاتي بل وأن تجد لها أسواقا في الخارج لتصريف الفائض من انتاجها الصناعي ومن ثم تطلبت الضرورة أمام ايطاليا الحصول على المواد الخام بأية وسيلة لان المسألة صارت كما قيل « مسألة حياة أو موت » •

وبينما كان الفاشيون يعمقون في مفهوم مبادئ الحزب بين المواطنين ، كان موسوليني يستعرض الاوضاع في أوربا التي ترتبت على أثر الحرب العالمية الاولى ، فوجد من الصعب في تلك الفترة أن يتعدى على حدود دولة أوربية خاصة وأن عصبة الأمم كانت تحاول جاهدة علاج المشكلات بين دول تلك القارة وذلك لصيانة السلام والمحافظة على الضمان الجماعي فتحول بتفكيره الى افريقيا لسببين هما :

١ — وجود علاقات قديمة بين روما وبين بعض بلاد تلك القارة •

٢ — لكون افريقيا تحولت الى مناطق استعمارية صارت حكرا على بعض الدول الاوربية الاستعمارية (٧) •

ومن هنا استجاب موسوليني للفرصة الفاشية وأخذ يكرر برنامج الحركة الذى يتضمن تأكيد العظمة المادية والروحانية للشعب الايطالى وكان يرى أن مسألة السلام التى تحرص عليها عصبة الامم هى ضد منطق العصر القائم وقتذاك وهذا يعنى أن الروح الاستعمارية صارت تسرى وتقوى فى الحركة الفاشية ، ومن ثم بدت عليها الرغبة الجامحة فى التوسع والسيطرة •

ولعل موسوليني كان يأمل بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى خاصة وأن ايطاليا اشتركت فى احراز النصر أن يعاد النظر فى مسألة مستعمراتها الفقيرة وأن تنفذ دول الوفاق ما وعدت به وانما لاحظ أن تلك الدول اكتفت بمنح ايطاليا فتات الوليمة خاصة فى أوربا (٨) ، ولعله رأى أيضا أن ليس من المنطق — حسب تصوره الفاشى أن تحتكر بعض الدول الاوربية التى ليست لها عراقة حضارية مثل ايطاليا ، مستعمرات فى افريقيا تتميز بموارد طبيعية متعددة (٩) •

وسرعان ما التقت الاوضاع التى كان يعيشها الشعب الايطالى مع أفكار موسوليني فى نقطة واحدة نتج عنها ضرورة ايجاد (مخرج) لعلاج تلك الاوضاع ولتحقيق الفرغات الفاشية بمعناها الواسع ، وكان (المخرج) يتجسد فى افريقيا •

والمعروف أن المستعمرات الايطالية فى افريقيا — وكلها فقيرة — كانت تتمثل وقتذاك فى :

١- ليبيا وهى مخاطة بالوجود الفرنسى من ناحية الغرب والجنوب ، والوجود الانجليزى الذى كان بصورة أو بأخرى فى مصر من ناحية الشرق •

٢- اريتريا وهى مخاطة بالوجود الانجليزى من ناحية السودان والوجود الفرنسى من ناحية الصومال الفرنسى — جيبوتى — واثيوبيا

التي كانت دولة عضو في عصبة الأمم وتتمتع بكل الحقوق وعليها كل الواجبات التي يتضمنها ميثاق هذه الهيئة (١٠) .

٣ - الصومال الايطالى وكان محاطا بالوجود الانجليزى من الجنوب والشمال وأوجادين من ناحية الغرب التي كانت تخضع للحكومة الاثيوبية (١١) .

ويبدو أن موسولينى فكر بأنه اذا أوجد (المخرج) وذلك بالتوسع فى تلك المستعمرات على حساب انجلترا وفرنسا ربما تكون النتيجة وخيمة بالنسبة لاطاليا وذلك لاسباب منها :

١ - ليس لاطاليا القدرة العسكرية لمواجهة انجلترا أو فرنسا وقتذاك .

٢ - كانت الحركة الفاشية غير مقبولة لدى معظم الاوساط فى أوروبا بل وفى العالم .

٣ - لا يوجد حليف قوى يعتمد عليه فى تحقيق أهدافه .

٤ - كان لا يزال - أى موسولينى - يرغب فى كسب عطف انجلترا وفرنسا لايجاد ذلك (المخرج) .

وسرعان ما وجد موسولينى (المخرج) الذى كان يكمن فى اثيوبيا بالذات (١٢) ، ذلك لعوامل يمكن أن تكون مبررات للاستيلاء عليها ، وكان منها :

١ - ان هناك علاقات قديمة بين ايطاليا والحبشة « اثيوبيا » منذ الوجود الايطالى فى شرق افريقيا (١٣) .

٢ - كانت هناك معاهدة « أوتشيانلى » التى أبرمت بين ايطاليا ومليك الثانى فى ٢ مايو ١٩٨٨ قد فرضت الحماية الايطالية على الحبشة (١٤) .

٣ - هناك اعتراف متبادل من جهة فرنسا وانجلترا طبقا للاتفاقية الثلاثية التي وقعت بين ثلاثتهم في ديسمبر ١٩٠٦ وقسمت الحبشة الى مناطق نفوذ بين الدول الثلاث (١٥) .

٤ - عقدت اتفاقية بين ايطاليا والحبشة في عام ١٩٠٨ ، لوضع حدود معينة وواضحة بين املاكهما وكانت ايطاليا وقتذاك تحاول كسب صداقة الثانية فقد جمعت المصلحة المشتركة بينهما وتطلبت نبذ الخلافات على تعيين الحدود وعدم التشدد حولها ومن ثم تنازلت ايطاليا عن دعواها في جزء كبير من الصومال بما فيه الجزء المعروف بأوجادين والذي كان يضم منطقة « والوال » الشهيرة بآبار المياه ، وصار اقليم أوجادين منذ ذلك الوقت تابعا للحكومة الاثيوبية (١٦) .

٥ - كانت هناك اتفاقية بين اللورد « ملر » والسنير « شيالوجا » في عام ١٩٢٠ ، تنص على تخويل ايطاليا حق تحديد مستعمراتها المجاورتين للحبشة « اريتريا والصومال الايطالي » بمقدار ١١٦ - ألف كيلو متر في اريتريا والفين كيلو متر في الصومال الايطالي .

وكانت ايطاليا قد اقترحت على انجلترا ، أن تتعاقد سويا على تنظيم مصالحهما العليا في الحبشة وتتلخص في الجانب الانجليزي ، في انشاء قناطر على بحيرة « تانيا » وانشاء طريق من السودان الى البحيرة وفي الجانب الايطالي انشاء خط حديد يخرق غرب الحبشة بين اريتريا والصومال مارا بغرب أديس أبابا وتخويل ايطاليا حقوق الامتياز على غرب الحبشة ، وكانت هذه المفاوضات الجديدة قد دخلت الى دور تبادل الوثائق في المدة من ١٤ الى ٢٠ ديسمبر ١٩٢٥ (١٧) .

٦ - رأى موسولينى أن الحبشة نقضت روح معاهدة الصداقة التي أبرمت بينها وبين ايطاليا في الثانى من أغسطس ١٩٢٨ ، وكانت تنص على أن يسود السلام والصداقة بين الطرفين وتنمية العلاقات الاقتصادية بينهما والعمل على انعاشها وتوسيع مجالاتها (١٨) فكانت

اثيوبيا لاتزال تمنح الامتيازات لغير ايطاليا فقد وافقت على منح شركة النقل البريطانية في ٦ ابريل ١٩٢٩ ، امتيازاً بمد خط سكة حديد طوله نحو ستين ميلاً من « الجمبيل » على نهر « بارو » الى حدود السودان ، وكذلك وافقت على منح ذات الشركة امتيازاً آخر بإنشاء طريق للسيارات من الجمبيل الى منطقة « جوزو » وقد لاحظت الحكومة الايطالية أن هذه المناطق من أخصب المناطق للتوسع البريطانى في الحبشة (١٩) .

٧ — لاحظت ايطاليا أن هناك نوعاً من الغزل بين اثيوبيا وفرنسا تمثل في وجود علاقات اقتصادية قوية فبجانب سكة حديد جيبوتى التى كانت تطمح فيها ايطاليا منذ الحرب العالمية الاولى والتى كانت تعتبرها من الاهداف التى دخلت على أساسها الحرب (٢٠) ، فانها — أى الحبشة — منحت الفرنسيين امتيازات لاستغلال مناجم الذهب والبلاتين على نهر « بارو » وفى منطقة « بزير » (٢١) .

وكانت حكومة موسولينى تطمح فى أن تحصل على هذه الامتيازات الاقتصادية من منطلق معاهدة ١٩٢٨ — السابق الإشارة اليها — خاصة وأن ايطاليا كانت تعيش وقتذاك فترة خرجة بسبب تدهور أوضاعها الاقتصادية، أساساً وبسبب الآثار الضيقة التى انعكست عليها نتيجة الأزمة المالية العالمية فى بداية الثلاثينات من القرن العشرين (٢٢) .

٨ — لاتزال موارد كثيرة فى الحبشة فى انتظار الاستغلال وبإمكان ايطاليا استثمارها بالإضافة أن مخازنها المعتدلة يتناسب وتوطين المهاجرين الايطاليين فى تلك البلاد .

٩ — رأى موسولينى أن اثيوبيا تفكرت لايطاليا ولم ترد الجميل اليها حين وقفت بكل قوتها لانضمام اثيوبيا فى عصبة الأمم، رغم معارضة أعضاء العصبة الذين كانوا لايزيدون أن تتضمن دولة فى العصبة لاتزال تمارس التجارة فى الرقيق (٢٣) وكان جنيتها كما تبرز حكومة

ايطاليا كثرة الغارات التي يشنها الاحباش القاطنون على الحدود على القبائل التابعة للمستعمرتين الايطاليتين (اريتريا والصومال) بعلم حكومة الامبراطور الاثيوبى أو على الاقل التغاضى عن ما يحدث على الحدود (٢٤) •

١٠ — اقتنع موسولينى نفسه أن اثيوبيا لا تستحق أن تكون دولة مستقلة ولها وجود فى عصبة الامم وأنها لن تتميز عن أى مستعمرة أخرى من حيث الهوية الحضارية ومن ثم يجب على حكومة ايطاليا تحديث اثيوبيا وتحويلها الى مجتمع متحضر (٢٥) ، وذلك عن طريق الاستيلاء عليها وضمها الى مستعمرتى اريتريا والصومال ، وفى هذه الحالة تؤسس ايطاليا من هذه المستعمرات وحدة اقليمية تكون نواة لامبراطورية ايطالية فى افريقيا ، تتصل بصورة أو بأخرى بمستعمرتها فى ليبيا •

١١ — وأخيرا ضغط موسولينى على نقطة الضعف التي تتجسد فى حدود الحبشة السياسية مع جاراتها المحتلة من قبل الدول الثلاث « فرنسا وانجلترا وايطاليا » وكانت لاتزال غير محددة تحديدا دقيقا فى أكثر من جهة وأنها كدولة افريقية وضعيفة وبعيدة عن القارة الاوربية ولا تزال غير مستعمرة من المستطاع أن يحقق أهداف ايطاليا الفاشية فيها •

وعلى ضوء كل تلك المبررات التي نعتقد أنها غير مستساغة مع أخلاقيات القرن العشرين الا أن الشهوة الاستعمارية والنزعة الفاشية والنظرة الاوربية لافريقيا، أوصلت حكومة موسولينى الى نتيجة مؤداها ، أنه اذا ضربت ايطاليا ضربتها فى الحبشة ، فإن فرنسا وانجلترا لن تتأثرا بالدرجة التي تكون اذا اقدمت ايطاليا على شيء فى أوروبا يربك الاوضاع التي ترتبت على تسويات ما بعد الحرب العالمية الاولى بل ومن المحتمل أن تتغاضيا عن التوسع الايطالى فى الحبشة واذا

اعتترضت تلك الدولتان طريق إيطاليا فان الحبشة تكون بمثابة « ورقة »
يسناوم بها موسنولينى عند اللزوم (٢١) .

ففى عام ١٩٢٩ أخذت إيطاليا تستعد للاستيلاء على الحبشة وكانت
منطقة والوال نقطة البداية فرفعت عليها الاعلام الايطالية فى عام ١٩٣٠
رغم معارضة القوات الحبشية ، وسرعان ما تفجرت الازمة فى ٤ ديسمبر
١٩٣٤ على أثر سماع طلق عيار نارى دون معرفة مصدره واعتبرته
ايطاليا اذانا بالهجوم على اثيوبيا ولم تتوقف فى هجماتها رغم موقف
عصبة الامم ضدها .

صدى الازمة فى السودان :

ذكرنا أن السودان من الدول التى لها حدود جغرافية مع اثيوبيا
وبالتالى كان لابد أن يتأثر بصورة أو بأخرى بالاحداث التى تجرى
حوله خاصة اذا كانت مصادر العدوان من الخارج ، فقد خبر
السودانيون والاثيوبيون على حد سواء سلوكيات الاوربيين
الاستعماريين ، وقد جمعت المصلحة بين الطرفين فى بعض الاحيان
الى التفاهم المشترك ضد الأعداء (٢٢) .

فبعد أن بدأت انجلترا فى تنفيذ المرحلة الثالثة من خطتها السياسية
تجاه السودان وهى مرحلة غزوه واسترداده من الحكومة الوطنية فى
عام ١٨٩٦ وخشيت من أن يحدث تقارب بين الاحباش والسودانيين
أو على الاقل السماح بوصول السلاح الى السودانين عن طريق
الحبشة ، سارعت انجلترا على الفور وقطعت الطريق بين الطرفين
حتى لا يحدث أى لقاء بينهما فأرسلت فى ٢٨ ابريل ١٨٩٧ قنصلها
المقام فى القاهرة « رينيل رود » على رأس بعثة لاستمالة الامبراطور
الحبشى وانتزاع عواطفه تجاه السودان والسودانيين (٢٣) .

وبعد أن نجحت انجلترا وسيطرت على السودان عن طريق « الحكم
الثنائى » (٢٤) صارت تهتم بحدود السودان ، وتمكنت من وضع

حدود سياسية ، بينه وبين اثيوبيا. من ناحية وبين اريتريا التي تخضع للطلين من ناحية ثانية (٣٠) .

وكانت السلطات الانجليزية في السودان تتدخل من حين لآخر لحل المشاكل بين القبائل التي تقطن على الحدود بالطرق الودية وتحرص على عدم التدخل العسكى من جانبها ضد القبائل الاثيوبية التي دأبت على القيام بعمليات النهب والسلب والاغارة على القبائل السودانية التي كانت تسكن على تلك الحدود .

حقيقة كانت السلطات الانجليزية في السودان في بعض الاحيان تعتبر عن استيائها لهذه الاعمال من جانب الاحباش وتغاضى حكومة اديس أبابا عنها ، ولكنها سرعان ما كانت تدرك أن هذه الغارات من العادات المألوفة لدى القبائل وأن الامر لا يستلزم التدخل العسكى (٣١) ، وتعكير العلاقات الانجليزية مع حكومة الحبشة التي كانت تزداد يوما بعد يوم ، بعد التخلص من الامبراطور الاثيوبى السابق « ليچ ياسو » الذى كان يتعاطف مع السودانين (٣٢) .

وكانت انجلترا حتى بداية الثلاثينات من القرن العشرين ، تأمل أن يسود السلام ربوع العالم بعد أن ضمدت الدول جراحها المستفنة من آثار الحرب العالمية الاولى ، وكانت علاقاتها مع ايطاليا في تلك الفترة يشوبها نوع من الاطمئنان حيث كانت تعتقد أن موسولينى يكفل سلامة مياه البحر المتوسط ومن ثم يكفل سلامة مصالح الامبراطورية البريطانية — بصفة عامة — وركزت نشاطها في معالجة الازمة المالية الدولية التي عانت منها هي ومستعمراتها في عام ١٩٣٠ ، بجانب حل قضية الهند .

وكانت ايطاليا تريد من بناء قواتها في اريتريا والصومال الايطالى وتقوم بمشاريع غير عادية في تلك الجهات وكانت الإدارة الانجليزية في السودان ترقب المشروعات الايطالية في اريتريا من حيث شق الطرق

وتعبيدها وتركيب أعمدة التليفونات وإقامة مواقع عسكرية وخزانات للمياه وإنشاء خط سكة حديد ما بين مصوع وإريتريا ، وتوسيع ميناء مصوع لاستقبال السفن الحربية وما إلى ذلك من مشاريع لم تشهدها إريتريا من قبل في عهد الطليان (٣٣) ، وبسبب اطمئنان إنجلترا من ناحية إيطاليا وتصورها بأنه ليس ينتظر منها خلق متاعب في وجه البريطانيين فإن حكومة لندن لم تهتم بنشاط الطليان في شرق إفريقيا وربما بسبب ظروف إنجلترا نفسها — المشار إليها سابقا — وربما تصورت أيضا أن نشاط الطليان نوع من معالجة قضايا إيطالية محلية ، لأن إنجلترا كانت لا تزال تعتقد أن إيطاليا من الدول المراقبة العظمى في أوروبا ولا يمكن أن يحدث منها ما يعكر جو السلام الدولي .

لكن بعد أن فجرت إيطاليا الأزمة وهالها — أي إنجلترا — الأمر ، أن موسوليني يقوده جشعه إلى الرغبة في احتلال الحبشة وتقاربه من الهبر هتلر ، ترتب على كل ذلك أن تغير موقفها من إيطاليا وصارت تشعر بالخوف من أن تتحول هذه الأزمة إلى أزمة دولية يترتب عليها انهيار السلام الدولي المكفول بمواثيق عصبة الأمم ، فهناك توترات دولية أخرى ، فقد انسحبت إيطاليا وفرنسا من مؤتمر تخفيض السلاح في عام ١٩٣٠ ، واعتدت اليابان على الصين وسياسة هتلر الرامية إلى التوسيع ، فראت إنجلترا أنه إذا احتدت هذه الازمات من الممكن إذا لم تعالج بصورة أو بأخرى أن تؤدي إلى حرب على غرار الحرب العالمية الأولى (٣٤) .

ومن ناحية أخرى أخذت تخاف على مستعمراتها في إفريقيا وتزيد من قواتها العسكرية في موانئ مصر والسودان مستغلة تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وتحفظاته الأربع المعروفة بخصوص وجودها في وادي النيل (٣٥) .

وقد ترتب على تغير الموقف البريطاني تجاه إيطاليا أن صارت الأخيرة تشن حربا باردة ضد الانجليز في مصر والسودان بل وفلسطين

وغيرها من مناطق الشرق الادنى (٣٦) ، وتريد من قواتها العسكرية في كل من ليبيا واريتريا والصومال الايطالى وطارت الاشاعات المغلفة بالتهديد بان ايطاليا قادرة على سحق القوة البريطانية في أى مكان وأنها ستهجم على مصر من ناحية الغرب وعلى السودان من جهات اريتريا ولها تطلعات في عدن والخليج (٣٧) .

وكان هدف ايطاليا من اطلاق هذه الاشاعات هو الضغط على انجلترا لترفع يدها عن قضية الحبشة واثارة الرأي العام في مصر والسودان ضدها .

والواقع أن هذه المقولة — تحفيظا للاشاعة — حتى ولو كانت قريبة من الحقيقة فانها قد تنطبق على السودان ولا تنطبق على مصر لأنه من غير المعقول أن تفكر ايطاليا ويقتذك في أن تفتح جبهة عسكرية ضدها من ناحية ليبيا نظرا لموقف ايطاليا غير المستقر فيها بسبب تجفز الليبيين للاخذ بثأر المجاهد عمر المختار بالاضافة الى أن مصر لن تتهاون رغم ضعف قواتها العسكرية حينذاك في الوقوف ضد الطليان لسياستهم التعسفية والا انسانية في ليبيا ولأنها لن تقبل اجتالا بديلا عن آخر لأنها كانت تطالب بالتخلص من الاحتلال الاجنبي بكل ما يحويه التعبير من معنى ، وعلى أسوأ الظروف فانه كان في امكانها تخريب قناة السويس وهى الطريق القصير الوحيد أمام السفن الايطالية الى شرق افريقيا .

لكن ليس معنى ذلك أن مصر أهملت حدودها الغربية فقد تم ارسال بعض القوات المصرية بمشاركة بعض القوات البريطانية الي الصحراء الغربية لمواجهة القوات الايطالية اذا حاولت اختراق الحدود المصرية (٣٨) .

لكن بالنسبة للسودان فانه من الممكن اذا سيطرت ايطاليا على الحبشة أن تتخذ منها محطة انطلاق اليه والى أعالي النيل وهذا له من الخطورة بمكان من وجهة نظر السودانين والادارة السودانية نفسها ،

لان الامن في النيل وفي البحر الاحمر سيكون تحت رجمة الطليان وقد انعكس هذا الشعور على الحكومة الانجليزية في لندن .

لذلك نعتقد أن انجلترا كانت في ذلك الوقت تعرض على السودان أكثر من أى وقت سابق نظرا لموقعه الاستراتيجى بالنسبة لأملاكها في شرق افريقيا ولأنها كانت تدرك أن بقاءها في مصر لن يطول بل أن ذلك البقاء كان مرهونا برفع يد المصريين عن السودان ، ومن ثم حاولت الادارة السودانية ضرب الدعاية الايطالية المضادة في البلاد حتى لا يتأثر السودانيون بها من ناحية (٣٩) ، ومن ناحية أخرى كان حاكم السودان العام « جورج ستيوارت سايمز » ينشط لكسب الحركة الوطنية السودانية واشراك المثقفين السودانيين في الادارة اشتراكا فعالا (٤٠) ، وقد ردد البرلمان البريطانى أن استيلاء ايطاليا على الحبشة يهدد الوجود الانجليزى في السودان وشرق افريقيا والخليج والشرق الاقصى (٤١) .

وعلى ضوء ذلك وبجانب الظروف التى كانت أوروبا تعيشها وقتذاك فضلت الحكومة البريطانية التريث وعدم الاندفاع في اتخاذ ما يثير الديكتاتور الايطالى حتى لا تدخل معه في حرب ساخنة لا تدرى عواقبها خاصة بعد أن تغيرت موازين القوى الدولية .

وقد انعكست سياسة الحكومة البريطانية على الادارة السودانية وصارت تصرفات حكومة السودان تجاه الازمة الاثيوبية تسير على هدى مواقف لندن . مع الاخذ في الاعتبار الظروف المحلية والتي كانت تلك الحكومة — السودانية — تتبادل الرأى حولها مع الحكومة البريطانية كما نشير اليه بعد قليل .

كما أن حكومة السودان رأت وقتذاك أن الظروف المحلية تتطلب منها الوقوف على الحياد بالنسبة لطرفى الازمة « ايطاليا واثيوبيا » وعدم التدخل للمحافظة على مياه بحيرة تانا التى تروى منها مشروعات الجزيرة والتي كانت تدار لحساب وصالح الانجليز في المقام الاول .

والغريب حقا أن الادارة في السودان بل وحكومة لندن نفسها لم ينزعج أحد منهما ويهتم بمسألة بحيرة تانا كما كان يحدث منهما قبل وقوع الازمة ، الامر الذى يشكل علامة استفهام ، فمثلا في عام ١٩٢٧ ، عرض بعض الامريكان على الرأس « تفرى » هيلاسلاسى فيما بعد « اقامة مشروع كبير باتخاذ بحيرة تانا خزان للمياه لتنظيم الري في بعض أقاليم الحبشة وتوليد الكهرباء عند مخرج البحيرة بجانب امكان بيع المياه من خزان تانا الى حكومة السودان لري أرض الجزيرة فصار القلق يساور الحكومة الانجليزية من تدخل واستئثار امريكا بانشاء الخزان واقامت الصحف البريطانية ضجة كبرى حول النفوذ الامريكى الجديد في الحبشة وقد لوح السير « أوستن تشيمبرلن » وزير خارجية بريطانيا في خطاب القاه بمجلس العموم البريطانى في ١٥ نوفمبر ١٩٢٧ ، بما يفيد التهديد ثم أشار الى أن الامبراطور منليك الثانى تعهد في عام ١٩١٢ باعطاء حكومتى انجلترا والسودان حق الاولوية في الاستفادة من مشروعات تانا ثم صرح بأن الرأس تفرى قد أنهى اليه الممثل البريطانى في أديس أبابا بوجوب احترام حقوق الغير في بحيرة تانا (٤٢) .

فبينما كان المصريون يضغطون على هذه المسألة حيث أشار اليها مصطفى النحاس باشا زعيم الوفد المصرى في خطابه الذى القاه في حفل محامى الاسكندرية ٩ سبتمبر ١٩٣٥ ، « بأن ميدن الحرب الايطالية الاثيوبية هو ارضنا هو جونا هو ينابيع نيلنا » ، كانت حكومة السودان ترقب الاحداث ولم تتضمن الوثائق الرسمية التى أتيحت للباحث ما يشير الى قلقها ازاء هذه المسألة رغم ادراكها بحيوتها وأهميتها للسودان ، ولكن السودانيين وهم أصحاب المصلحة الاصليين شاركوا أشقاءهم المصريين خوفهم وقلقهم من هذه الازمة التى قد يترتب عليها آثار سيئة لا تقتصر على بحيرة تانا (٤٣) ، وانما خوفهم على سقوط السودان نفسه في يد الايطاليين (٤٤) في وقت جاءت فيه ادارة « سايمز » باتجاه جديد ونظرة حديثة بالنسبة للسودان والسودانيين (٤٥) .

ولكن ليس معنى ذلك أن حكومة السودان كانت في موقف اللامبالاة من الازمة وأن اتباعها سياسة الحياد يستلزم منها عدم اتخاذ الاستعدادات العسكرية حتى ولو كان ظاهريا ، ففي تقرير بتاريخ ١٩ سبتمبر ١٩٣٥ تضمن أن الاخبار تتردد بأن ايطاليا تعمل جاهدة على احتلال السودان ومصر ولها تطلعات في عدن والخليج ولذا تحشد قواتا عديدة في اريتريا وليبيا ، ويتوقع المسؤولون في السودان أن ايطاليا سيبدأ غزوها لاثيوبيا في اليوم الرابع والعشرين من شهر سبتمبر ١٩٣٥ ولذلك جهزت غرفة العمليات الحربية في الخرطوم وحدة عسكرية جديدة واستدعت الوحدة التاسعة السودانية والاحتياطي من أرباب المعاشات وصار الجميع على أهبة الاستعداد للتحرك وفقا للتعليمات اذا تطلبت الامور ذلك (٤٦) .

ولما لاحظت حكومة السودان تصاعد العمليات العسكرية بين الايطاليين والاثيوبيين وجهت قيادة قوة دفاع السودان بعض الوحدات العسكرية لتربط على حدود السودان الشرقية أى مع اريتريا واثيوبيا ولكنها ارسلت في ذات الوقت أوامرها الى قائد القوة السودانية بكسلا تشير عليه بالا يسمح لقوة دفاع السودان باختراق الحدود مع اريتريا واثيوبيا في أي حال من الاحوال (٤٧) .

وكان الامبراطور هيلساشي يستصرخ عصبة الامم لاغاثة من العدوان الايطالى وتطلع الى انجلترا التى كانت في نظره من الدول الصديقة ، فقد طلب من حكومة لندن بعض المطالب التى صرح بها لمراسل جريدة التايمز اللندنية في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٥ بأنه يرجو أن تقدم له بريطانيا العظمى سفينة مشحونة بالسلاح والذخيرة وقرضا ماليا بضمان مصادر دخل الحكومة الاثيوبية ، ورغم عدم استجابة الحكومة الانجليزية ، فان الامبراطور كان يأمل على الأقل مساعدة قوات السودان وقوات المستعمرات الانجليزية الاخرى المجاورة لبلاده بصورة أو بأخرى (٤٨) .

وتعود الوثائق الرسمية وتشير إلى الأوامر الموجهة إلى قائد قوة كسلا التي تتضمن أنه إذا استخدم الإيطاليون أو الاثيوبيون الأراضي السودانية في عمليات عسكرية ضد بعضهما البعض أو إذا اخترقت جماعات مسلحة الحدود السودانية يجب على قوات الدفاع السودانية إيقافها وتجريدها من السلاح وإرسالها إلى المعسكرات السودانية على الفور إذا كانت القوات المخترقة للحدود أكبر وأقوى من القوات السودانية المراقبة ، فعلى «الآخيرة أن تتحاشى الصدام معها نهائيا وإرسال تقرير للقيادة العليا بذلك على وجه السرعة »

كذلك أشارت الأوامر إلى أن اللاجئين المسلحين من كلا الطرفين إلى أرض السودان يجب نزع السلاح منهم وإرسالهم إلى أقرب معسكر أو مركز شرطة تحت الجراسة المشددة. وإذا طلب هؤلاء اللاجئين العودة ومغادرة الأراضي السودانية يسمح لهم بذلك وإعادة أسلحتهم إليهم .

ورغم موقف حكومة السودان هذا ، وعدم رغبتها في التدخل في الحرب الإيطالية الاثيوبية إلا أن السلطات الإيطالية كانت حريصة جدا على حدودها مع السودان وكانت تعتبر تلك الحدود من أخطر الحدود التي من الممكن عن طريقها مساعدة الاحباش ضدها ، ومن ثم لم تثق في نوايا حكومة السودان خاصة بعد أن وافقت الآخيرة على تنفيذ العقوبات الاقتصادية التي قررتتها عصبة الأمم ضد إيطاليا في ٩ أكتوبر ١٩٣٥ (٤٩) .

فقررت السلطات الإيطالية في أبريل ١٩٣٦ أن ترحف قواتها على طول الحدود الشرقية السودانية بوعززت المواقع العسكرية بالعربات المسلحة السريعة وفرق الهاجانه بالنجمك القوية المزودة بالذخائر الكافية وبكثيف الرماية على منطقة القلايات التي كانت من أهم المناطق باستجاز مدينة القلايات نفسها مركزا تجاريا بالاضافة إلى أهميتها كطريق

تتجاذى بين الحبشة والسودان وذلك لمنع أى امدادات عسكرية تصل من مناطق الحدود السودانية للقوات الاثيوبية (٥٠) •

والواقع أن القلايات وكسلا عامة ، لعبتا دورا واضحا خلال الازمة فى توصيل المعلومات التى كانت تجمعها القنصلية الانجليزية فى أديس أبابا الى قوة دفاع السودان بالخرطوم فكان مستر « روبرتس » يخطر بالخرطوم بالتقارير المستمرة عن معرفة الحيوش الايطالية وأسلحتها ونوعها ومدى فعاليتها وتحركات الجيوش فى المناطق المختلفة فى الحبشة ومواقف لقوات الاثيوبية منها (٥١) •

وكانت حكومة السودان ترسل هذه التقارير بالإضافة الى التقارير الواردة من رجال مخابراتها على الحدود الى المندوب السامى البريطانى فى القاهرة لإرسالها الى الحكومة البريطانية فى لندن وذلك للاسترشاد بها ومواقفها تجاه الازمة فى عصبة الامم من ناحية ومن ناحية أخرى تزويد ادارة السودان بما يتبع من سياسة تجاه طرفى الازمة •

فمثلا أرسل الحاكم العام فى الخرطوم برقية الى المندوب السامى صباح يوم ٢٤/٦/١٩٣٦ ، تتضمن تقييما دقيقا للموقف فى الحبشة بناء على التقارير التى كانت تصله من المفوضية البريطانية فى أديس أبابا فقد جاء فى البرقية أن هناك رأيين لا ثالث لهما وهما : —

١ — اعلان فقدان الامل فى موقف عصبة الامم ومن ثم تأكيد الاحتلال الايطالى للحبشة وكنتيجة لذلك يرسل الايطاليون بعض القوات لاحتلال شرق الحبشة •

٢ — أن تستمر كل الاطراف فى خداع النفس (٥٢) •

ويستشف من هذه البرقية أن الوضع صار ميئوسا منه فى اثيوبيا وأن ايطاليا لا بد وأن تحقق هدفها ، ومن المستحسن عدم معارضة الطليان خاصة وأن الرؤس الذين كانوا على عدااء مع الامبراطور هيلاسلاس صار معظمهم ينضمون الى القوات الايطالية •

والواقع أن الحكومة البريطانية أصبحت في موقف لا تحسد عليه بعد أن تعقدت الازمة فقد رأت أنه :

١ - من الصعب أن يتراجع موسوليني لأن هذا يعنى نهايته ونهاية الفاشية واهتزاز مركز ايطاليا في أوربا خاصة أمام القوى الجديدة المثلة في النازية والشيوعية .

٢ - إذا انتصرت ايطاليا على الحبشة يترتب على ذلك شعور بالكراهية ضد الدول الاوربية في المستعمرات الافريقية وأن كان في ذات الوقت يقوى من هية الوجود الاستعماري في تلك الجهات .

٣ - وإذا انهزمت ايطاليا ولم تحقق مطامعها في الحبشة يترتب عليه أيضا حدوث هزة في مكانة الدول الاستعمارية في المستعمرات وقد تحدث ردود فعل مضادة للوجود الاستعماري وربما يتطور الى حروب قبلية وتكتلات اقليمية .

لذلك نعتقد أن الحكومة البريطانية صارت تتراخى في موقفها تجاه الازمة حتى لا تثير الدكتاتور الايطالي أكثر من اللازم لعله يقتنع باستيلائه على كبش الفداء « اثيوبيا » وعدم احداث ما لا يحمد عقباه في أوربا ليستمر الحفاظ على السلام لدولتي والضمان الجماعي .

وسرعان ما انعكس هذا الموقف على حكومة السودان فقد أوعزت الحكومة البريطانية لحكومة السودان بعدم القيام بأي حركة تستفز الايطاليين في اثيوبيا حين دخلت القوات الايطالية أديس أبابا ، وكان السفير الايطالي في لندن قد أرسل رسالة الى وزارة الخارجية البريطانية تتضمن أنه تلقى تعليمات من روما مفادها أنه من غير المسموح لأي طائفة مدنية أو عسكرية بأن تجلق في الاجواء الاثيوبية قبل الحصول على اذن مسبق لكل حالة بمفردها من السلطات الايطالية في أديس أبابا . وكان مستر « ايدن » رفض الرد على هذه الرسالة وطلب عرضها على المجلس الاعلى للجيش البريطاني كمؤشر لنوايا الحكومة الايطالية

واستقر الرأي في لندن بأن الحكومة الانجليزية لا ترى أى أساس قانونى لدعوى الحكومة الإيطالية؛ لأنه لم يتم الاعتراف بانضمام اثيوبيا لإيطاليا ولكن نظرا للظروف الراهنة — وقتذاك — طلبت لندن من حكومة السودان الرجوع الى مستر ايدن عند الضرورة، في كل حالة لتقدير المسألة (٥٣) .

الهجرة الى السودان :

توقع المسئولون في السودان منذ بداية الازمة أنه لا بد أن تحدث هجرة سواء من اريتريا أو اثيوبيا الى أرض السودان ولذلك نشط فرع المخابرات العامة بتتبع هذه المغتالة ورصدها وتخليها. والاثار التي من المحتمل أن تقرب عليها فيشير تقرير مخابرات كسلا رقم (٣٠) والمرفوع الى السكرتير الإداري بالخرطوم في ٥/٨/١٩٨٥ . أن السيد محمد عثمان المرغنى ، حين زار مصوع واستمرأ وكين وأجوردات في يوليو ١٩٣٥ أذهله انكماش المساحات المزروعة في تلك الجهات عندما شاهدها في عام ١٩٣٤ والاعوام السابقة عليه ، ويعزو ذلك الى أن السلطات الإيطالية قامت بتجنيد المزارعين في اريتريا في الخدمة العسكرية ويتوقع نقصا حادا في المواد الغذائية ومشكلة كبرى تواجه إيطاليا في الحبشة (٥٤) .

وقد رأى المسئولون في السودان أنه لا بد أن تحدث هجرات من أهالى اريتريا الى كسلا والنيل الأزرق أو طلب المواد الغذائية من السودان التي لا بد أن يرتفع اثمانها في البلاد (٥٥) .

وكان بعض السودانين يغامرون بالذهاب الى اريتريا للعمل هناك مقابل مرتبات مجزية دون الحصول على تضاريج من حكومة السودان وعندما اشتدت الازمة بين الإيطاليين والاثيوبيين انعكست آثارها على هؤلاء العمال الذين صاروا يضيقون ذرعا من معاملة الإيطاليين القاسية لهم ومحاولة امتصاص قدراتهم في العمل وفي الوقت نفسه لم يتمكنوا

من تحويل أجورهم الى ذويهم بالسودان ومن ثم صاروا يفضّلون العودة الى البلاد بعد أن تعايشوا مددا طويلة في ريتريا (٥٦) .

يضاف الى ذلك أن القبائل على الحدود كانت تحبذ الهجرة الى السودان لان السلطات الايطالية صارت تلزم كبار السن والنساء باداء أعمال فوق الطاقة (٥٧) .

ومن ناحية اثيوبيا يشير التقرير الذي رفعه « ناصر عبد الله » من الانقلابات الى أن الحكومة الاثيوبية أضرت أمرا للمواطنين القادرين على حمل السلاح للانضمام في سلك الجندية والخدمة العسكرية أو أن يدفع المواطن ضريبة مالية وقد استجاب الاثيوبيون للنداء الوطني وتسلم كثيرون منهم الاسلحة ولكن سرعان ما باع البعض في غرب اثيوبيا ما لديه من أسلحة وذخيرة وهاجروا الى منطقة الانقلابات على الحدود مع السودان (٥٨) .

وقد ترتب على هذه الهجرات أن تشكل عبء كان على حكومة السودان لابتدأ أن تعمل حسابه وتتخذ الاحتياطات لمواجهة .

ولكن يلاحظ أنه رغم أهمية هذه الهجرات التي كانت تبحث عن المأوى والغذاء ، فإنها كانت لا تشكل خطورة كبيرة أمام حكومة السودان وإنما الذي كانت تخشاه تلك الحكومة هو الهجرات المسلحة واللاجئين السياسيين التي ربما يتحول السودان بسببهما الى مسرح للعمليات العسكرية بين طرفي الازمة أو أن تتحول تلك الهجرات المسلحة الى عصابات للختطف والاعتداء على ممتلكات المواطنين ، أو أن يمارس اللاجئين أعمالا تعصب ايطاليا من الحكومة البريطانية التي كانت لا تزال تخشى الظليان في اثيوبيا رغم وجود الأسطول الانجليزي القابع على مشارف قناة السويس (٥٩) .

والواقع أن الحكومة البريطانية صارت منذ أعلن السنيور موسولينى أن الحبشة صارت ايطالية تخشى على ممتلكاتها في شرق افريقيا ،

وخاصة السودان لاعتباره قنطرة الى أعلى النيل ووسط افريقيا ،
ومن ثم أخذت ترفع يدها عن الازمة بالتدريج وحتى لا ينجح الدكتاتور
الايطالى الى ارتكاب أعمال ضد ممتلكاتها في افريقيا أو أن يزداد تقارباً
مع الدكتاتور النازى الآخر فى ألمانيا (هتلى) (١٠) •

لذلك كانت الحكومة البريطانية تحذر حكومة السودان من أى
نشاط سياسى أو عسكرى يقوم به اللاجئين الاثيوبيون فى السودان •

فمثلاً طلبت المفوضية البريطانية فى أديس أبابا فى ١٩ نوفمبر
١٩٣٦ ، الى مكتب السكرتير الادارى بالخرطوم منح حق اللجوء
السياسى الى « فكرى ماريام » (١١) ، الذى صارت قواته تعاني من
تشديد الخناق عليها من قبل القوات الايطالية وطلبت المفوضية أن تبلغ
سلطات الحدود بالتعليمات اللازمة ، وجاء الرد من لندن فى ٢٥ نوفمبر
١٩٣٦ بقبوله هو أو غيره من الاثيوبيين بعد تجريدهم من السلاح وعلى
أن يضعوا فى اعتبارهم أنه فى حالة تواجدهم بالسودان يجب عليهم أن
لا يمارسوا أى عمل يكدر السلطات الايطالية فى اثيوبيا (١٢) •

وسرعان ما امتدت خيوط الود بين حكومة السودان واليطيان فى
اثيوبيا فقد ارسل السكرتير الادارى فى ٢٢ ديسمبر ١٩٣٦ الى قادة
القوات التى ترابط على الحدود مع الحبشة ، يشير الى أن معالى الحاكم
العام يبدى اهتمامه البالغ بضرورة استقبال الضباط الايطاليين حين
زيارتهم لنقاط الحدود مع السودان والترحيب بهم ، وافادهم بأنه تم
التصديق على صرف الاموال اللازمة لتغطية تكاليف مثل هذه الزيارات
على بند الخدمات العامة المركزية ، وصدرت الاوامر الى حكام كسلا
ومديرية النيل الازرق بالسماح بتصدير المشروبات الروحية والبيرة
وغيرها للجيش الايטالى فى اثيوبيا (١٣) • الامر الذى يشكل علامة
استفهام ، هل هناك توجيهات من جانب حكومة لندن باتخاذ مثل هذه
المواقف الطيبة وایجاد علاقات حسنة مع السلطة الايطالية فى اثيوبيا ،

أم أن الظروف الاقليمية جعلت حكومة السودان تتصرف من منطلق رؤيتها للامر الواقع في الحبشة .

نقول ونحن مطمئنين تماما أن حكومة السودان لم تكن لتجرؤ على تنفيذ تلك السياسة دون توجهات من لندن لان الدول الكبرى لا تدخل في عداوات ساخنة ضد بعضها من أجل دولة صغيرة وضعيفة حتى ولو كانت مستقلة كالحبشة .

الحركة التجارية :

المعروف أن هناك علاقات تجارية بين السودان واثيوبيا ظلت مستمرة بين الشعبين حتى في بعض الفترات التي كانت تسوء فيها العلاقات الرسمية ، وتشير الوثائق الى أن الازمة أثرت الى حد كبير على الحركة التجارية بين البلدين وأن كانت بدرجات متفاوتة ، فبالنسبة لاثيوبيا ترتب على ظروف الحرب فيها أن تأثر الانتاج الزراعى والرعى والتعدين ، وعندما اشتدت الازمة كان السودان أقرب وأفضل البلاد التي من الممكن أن تمد اثيوبيا واريتريا بالمواد الغذائية ، وقد تلاحظ أثناء الازمة أن تجارة اثيوبيا تسير في طريق الركود والانهايار لدرجة ازعجت الحكومة الاثيوبية وكان يرى الامبراطور أنه في حالة توقف الخط الحديدى في البلاد أن يعيد الطريق من أديس أبابا — جميا — جورى — قمبيلا الى الحدود السودانية (٦٤) ، وذلك لوصول تجارة السودان الى الحبشة خاصة المواد الغذائية التي صار الناس يشعرون بنقص فيها .

كما تشير الوثائق أيضا الى أن السلطات الايطالية في اريتريا أوقفت التعامل بالعملات الصعبة — استرلينى — مارك — دولار — وفرضت قيودا شديدة على التحويلات الخارجية مما ترتب عليه أن حدث شلل في الحركة التجارية وحدث شبه توقف في الواردات الاجنبية الى البلاد ، وهذا نتج عنه ما يشبه السوق السوداء في تجارة العملة الامر الذى

شجع بعض المغامرين في السودان على تهريب العملة من كسلا الى تجار أسمره حيث وصلت قيمة الدولارات الى عشرة ليرات (٦٥) •

ولكن من ناحية أخرى فانه ترتب على صعوبة الاستيراد من الدول الاجنبية أن صار التجار في اريتريا والحبشة يستوردون كميات كبيرة وعلى غير العادة من سلع السودان ،لغذائية مثل الذرة والدقيق والسمن والعسل واللحوم والماشية وغيرها وصارت عربات النقل المحملة بهذه المواد تخرج بكثرة من أم درمان لكونها المركز التجاري الاول في السودان وتشاهد في طريقها الى اثيوبيا واريتريا ، كما نشطت جهات شرق السودان في تصدير منتجاتها الزراعية والرعية الى تلك الجهات (٦٦) ، وأن كان حدث في ذات الوقت أن توقف بعض التجار في السودان ووقفوا نشاطهم التجاري مع اثيوبيا واريتريا بسبب خطورة الازمة وفضلوا أن يصدروا تجارتهم الى مصر كما نراه على سبيل المثال في حالة الشيخ « محمد أحمد بربر » سر تجار أم درمان وشريكه كونت ميخالوس (٦٧) •

والخلاصة أنه ترتب على الازمة في قطاع التجارة ما يلي :

١ - انتعاش الحركة التجارية في السودان الذي استفاد منها التجار في المقام الاول •

٢ - زيادة الاسعار في السودان بشكل أضر بالمواطن السوداني العادي (٦٨) •

٣ - ظهور عصابات من اللصوص وقطاع الطرق للاستيلاء على الحيوانات وبيعها بأسعار منخفضة لتجار الماشية لتصديرها الى اثيوبيا واريتريا •

٤ - حدوث خلخلة في الامن الداخلي بالسودان ، نتيجة ظهور تلك العصابات •

٥ - شلل كامل في صادرات اثيوبيا واريتريا (٦٩) •

هذا والجدير بالذكر أن هؤلاء التجار رغم أنهم كانوا يستفيدون من وراء تجارتهم مع اثيوبيا الا أنهم كانوا في ذات الوقت يكرهون بشدة الطليان لاعتدائهم الوحشى وغير الاخلاقى على الحبشة ، ويتسابقون في تقديم المساعدات المادية لاختوتهم في اثيوبيا واريتريا ، كما نشير اليه بعد قليل ، وهذا دليل على الروابط والعلاقات القوية بين لشعبين المتجاورين رغم وجود الاحتلال الاوربى في كلتا البلدين (٧٠) .

موقف السودانيين من الازمة :

شعر السودانيون في وقت مبكر بان هناك شيئا يدبر من جانب ايطاليا ضد الحبشة وذلك عن طريق بعض السودانيين الذين كانوا يعملون في اريتريا وعندما تفجرت الازمة وتوغلت القوات الايطالية في الاراضى الاثيوبية حتى وصلت الى بحيرة « تانا » واستولت على نصف بلدة القلابات على حدود السودان (٧١) ، صارت الاخبار تتناقل بين السودانيين تتضمن أن موسولينى لا ييغى من وراء ارسال قواته الى شرق افريقيا الاستيلاء على الحبشة ذات الاحجار الصماء والاراضى الصحراوية وانما يريد الاستيلاء على السودان ومصر وأعلى النيل وايصالها بمستعمرة ليبيا وتكوين امبراطورية ايطالية تشمل الركن الشمالى الشرقى من افريقيا على غرار الاحتلال الفرنسى للركن الشمالى الغربى من تلك القارة .

وشكل سقوط بحيرة تانا في يد الايطاليين علامة استفهام أمام السودانيين لانهم كانوا يدركون جيدا ان اشراف اثيوبيا على هذه البحيرة يضمن لهم وصول مياهها الى اراضيهم وهم على غاية من الاطمئنان ، وانه مهما كان يحدث من توترات في العلاقات الرسمية بين الحكومات لا تؤثر على العلاقة المائية بين اثيوبيا وبين كل من مصر والسودان بحكم الجوار والقراية الافريقية اما اشراف ايطاليا عليها فيجعل من الصعب عليهم معرفة ونوايا الطليان تجاه هذه البحيرة .

وكانت الدعاية الايطالية تغطي مساحات كبيرة في منطقة الشرق الادنى وشمال وشرق افريقيا تشير الى القدرة الايطالية على تحطيم القوة البريطانية في البحر المتوسط وتكسير قلاعها في مالطة وكانت هذه الدعاية تهدف الى تحريض الشعوب الافريقية الشرقية ضد بريطانيا وكسب تعاطف هذه الشعوب مع ايطاليا التي تصورها تلك الدعاية على انها — ايطاليا — هي الوحيدة من بين القوى الاوربية الصديق الكبير للشعوب العربية والاسلامية (٧٢) .

ورغم هذه الدعاية التي اعتبرها العرب والمسلمون — عامة — انها من مستلزمات الحرب ، فان الوثائق الرسمية تنطق بان الرأي العام في السودان وقف يعبر عن تأييده لاثيوبيا ضد ايطاليا منذ بداية شعوره بالازمة وذلك من منطلق عدة اعتبارات منها :

١ — الاشتراك في حدود جغرافية .

٢ — ان اثيوبيا دولة مستقلة ضعيفة تهاجمها دولة استعمارية قوية .

٣ — ان اثيوبيا دولة افريقية بها الكثير من المسلمين تهاجمها ايطاليا المسيحية .

٤ — ان اثيوبيا كدولة مسيحية سبق ان كرمت انصار رسول الاسلام في هجرتهم الاولى (٧٣) .

٥ — الصلات البشرية والعلاقات التجارية والمائية بين السودان واثيوبيا وتشير تلك الوثائق بان اهتمام السودانين بالازمة كان اكثر قوة ومتابعة لدى سكان المدن (من موظفي الحكومة والعلماء ورجال الدين والتجار والطلبة والفنانين والعاملين في القطاعات الحرفية الاخرى) من سكان الريف السودانى الذين كانوا مشغولين بحياتهم اليومية في الزراعة والرعى ، وان كانت هذه لوثائق تعود وتؤكد ان ذلك لا يعنى ان اهل الريف كانوا لا يتعايشون مع هذه الازمة فقد كانوا

يتعاطفون مع الاحباش وأهل اريتريا لما يسمعون من تعسف وقسوة
الطلّيان في اريتريا والصومال الايطالى وليبيا ، وذلك عن طريق
بعض السودانيين العائدين من تلك الجهات ، ومن ناحية أخرى سماعهم
عن الاعمال البطولية التي كان يقوم بها لشعب الاثيوبي ضد الغزاة (٧٤) ،
فقد انعكست مثل هذه الاخبار — ككل — على أهل الريف ومن ثم كانوا
يتأثرون بالازمة ويسارعون في تقديم المساعدة بقدر امكانياتهم لاختوتهم
الايرتريين والاثيوبيين (٧٥) •

والمعروف ان السودانيين — ككل — بحكم البيئة والتقاليد الموروثة
يعشقون الاعمال البطولية ، وقد اشارت الوثائق الرسمية الى ان تأثير
الازمة لم يقتصر على الكبار فقط وانما امتد الى الاطفال فكانوا
يعبرون عن تأييدهم وعواطفهم تجاه الحبشة في العابهم البسيطة
فكان من اساليب اللعب عندهم انهم ينقسمون الى مجموعتين احدهما
تمثل ايطاليا والاخرى تمثل اثيوبيا وبينما كانت المجموعة الاثيوبية
تختفي في حالة فوزى وعدم نظام كانت المجموعة الايطالية تسير في
طواير عسكرية منتظمة وفي نقطة محددة تهاجمها المجموعة الاثيوبية
وتجردها من العصي التي تحملها وكانت بمثابة السلاح الايطالى وتوقع
بها الهزيمة (٧٦) •

فهذه اللعبة رغم بساطتها الا انها تعبر حى وترجمة حقيقية
لعواطف السودانيين — ككل — تجاه الاثيوبيين •

اما شباب السودان فقد ترجم هذا التأييد وذلك التعاطف في صورة
مساعداة مادية فقد قام بعض الشباب يوزعون نشرات تتضمن طلب
التبرعات للاثيوبيين وكان ذلك بتأييد ومساعدة زعامات شعبية قوية
لها وزنها الاجتماعى والسياسى في السودان (٧٧) •

كذلك تشير تلك الوثائق الرسمية الى طلبات أبناء السودان الذين
يزغبون التطوع في الجيش الاثيوبى لمحار القواى الإيطالية الغازية

وتضغط تلك الوثائق على الحاح السودانين العائدين من اريتريا بالذات (٧٨) .

وكان المستثمرون في السودان يعيشون ما يحدث هناك في مصر ضد الانجليز ودعاية الوفد الشديدة واشتغاله الازمة الاثيوبية لاجبار انجلترا على تصفية العلاقات السيئة مع مصر مما جعل الحكومة السودانية تتحسب لردود الفعل المصري وخشيت من ان يمتد اثره على الراى العام السودانى خاصة المستثمرين - فيشير تقرير مؤرخ في اكتوبر ١٩٣٥ ، بان السودانين حاليا أكثر قابلية للتأثير بالراى العام المضرى والموقف المصرى من أى وقت سابق (٧٩) ، منذ ضرب الحركة الوطنية السودانية في عام ١٩٢٤ (٨٠) ، ومناهضة الحكومة السودانية لوصول التيسار الثقافى من مصر الى السودان الامر الذى ترتب عليه ان انتقد الخريجون من ذوى الوعى السياسى الاثر الملم الذى كان ينبعث من مصر .

ويبدو ان حاكم السودان العام « جورج ستيفارت سايمز » لمس رغبة السودانين في تجديد الحركة الوطنية فحاول ان يكسب صف الوطنيين وذلك بالتعاون معهم وادخال عناصر من الخريجين في شغل الوظائف العامة الكبرى بمعنى آخر اشراك المثقفين السودانيين في الادارة اشتركا فعلا (٨١) .

ولكن رغم أن لحركة الوطنية السودانية أو بمعنى آخر الوطنية الجديدة كانت مشغولة الى حد كبير خلال فترة الازمة في بناء وتجديد حيوياتها ، ورصد أعمال الادارة السودانية ومدى تنفيذها لمذكرة « سايمز » السياسية التى كتبها في عام ١٩٣٥ ، وتناول فيها في الاعتبار الاول وضع السودان في المستقبل وتحديث نظم الحكم (٨٢) ، فإنه لم يغب عن بالها الازمة الاثيوبية وتطوراتها فكان كثيرون من أعضاء الحركة سواء في أم درمان أو الخرطوم أو واد مدنى أو غيرها من أمهات المدن السودانية يثيرون هذه القضية ، وما تنطوى عليه من أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية وتأثيراتها على السودان والسودانيين ، وقد

صورت مجلة « الفجر » شعور السودانيين المتعاطف مع الاحباش وقلقهم من تطورات الازمة (٨٣) ، وانصب الاتجاه العام في مختلف المقالات السودانية التي صارت تدعو الى تقديم المساعدات الاقتصادية لاثيوبيا الجارة الافريقية (٨٤) .

تأثير الازمة على السودانيين في نظرتهم تجاه انجلترا :

كانت عيون المخابرات السودانية مفتوحة على كل ما يجرى بين السودانيين وله صلة بالازمة الاثيوبية ولم تتورع ادارة المخابرات عن ارسال نفر من رجالها الى اماكن متفرقة لجس النبض ومعرفة شعور السودانيين تجاه الازمة من ناحية ، ونظرتهم الى الحكومة البريطانية من ناحية أخرى .

وقد اجمعت التقارير — دون استثناء — على أن السودانيين بصفة عامة متعاطفون مع الاحباش وهناك شعور عام بكراهية الايطاليين . ولكن السودانيين كانوا يطلقون اللوم على موقف انجلترا وعدم مساعدتها للحبشة مما يجعل الاخيرة لابد أن تسقط في قبضة ايطاليا المتقدمة عسكريا (٨٥) .

وكان هناك أمل لدى السودانيين أن تتشدد انجلترا في عصبية الامم ضد ايطاليا حتى يمكن طردها من الحبشة ورغم أن بعضا من السودانيين كان ينظر الى الغزو الايطالى على أنه شبيه بالغزوات الاستعمارية السابقة لكل من انجلترا وفرنسا ، فانهم لم يفقدوا الثقة في الامبراطورية البريطانية التي تمثل افضل الامبراطوريات الاوربية الاستعمارية (٨٦) . وأشارت تلك التقارير الى أن حدوث الازمة وكراهية السودانيين لاطاليا ، افاد انجلترا بطريق مباشر وابعدها من انقلاب الرأى العام السودانى ضدها (٨٧) كما كان يحدث في مصر وقتذاك وهذا من مصلحة الحركة للحفاظ على وجودها في السودان (٨٨) .

ولكن كان هناك رأى أكثر جرأة في تعرية موقف انجلترا وتخاذلها اتهمها صراحة بأن ايطاليا لم تكن لتتورط في سياسة الغزو للحبشة

وتتصعيد عمليات الهجوم عليها اذا لم تكن انجلترا تؤيد بصورة أو بأخرى السياسة الإيطالية أو على الأقل التغاضي عن أعمال الطليان في الحبشة (٨٩) •

وكانت انجلترا تتراخى في سياستها الخارجية القائمة على أساليب محددة لعل أهمها ما يلي :

١ — عدم التدخل في القضايا الا عند الضرورة القصوى وعلى أن يكون تدخلها لحسم تلك القضايا •

٢ — اشعار الآخرين بأنه في امكانهم الاعتماد عليها •

ولكن تمسك انجلترا بمثاليات الامن الجماعى جعلها تتخلى عن تلك الأساليب السياسية السابقة وأن الارهاق الذى أصاب بريطانيا وقوى أخرى في الحرب العالمية الاولى جعلها تقلل من قيمة القوى الوطنية الشرقية المنبعثة من جديد ومن ثم فهي غير راغبة في التدخل بصورة منفردة لمنع ايطاليا من هجومها على الحبشة (٩٠) والتي يعقبه هجوم آخر على السودان وعدن وغيرها من الدول المجاورة •

وخلاصة القول أن الطابع العام لرأى السودانين في موقف انجلترا كلن غير مرتاح لمسايرتها العدوان الايطالى على دولة افريقية مجاورة ، ولكن يجب أن لا نتوقع غير ذلك لانه من الخطأ في نظريات الاستعمار أن تصطدم دولة مع شريكة لها في الهوية الاستعمارية من أجل دولة ضعيفة •

الهوامش

- ١ - كما نراه على سبيل المثال في ظهور الفاشية وزعيمها بنيتو موسوليني في ايطاليا والنازية وزعيمها اودلف هتلر في المانيا .
- ٢ - جرانت ا. ج. وهارولد تمبرلي : اوربسا في القرن التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ - ١٩٥٠) الجزء الثاني ، ترجمة محمد علي ابو درة ولويس اسكندر ، ومراجعة الدكتور احمد عزت عبد الكريم ص ٢٨٧ وما بعدها (القاهرة ١٩٦٧) .
- ٣ - د. يونان لبيب واخرون : اوربسا في عصر الامبريالية ص ٥٧ وما بعدها (القاهرة ١٩٨٣) .
- ٤ - Thompson, V. and Adolff, R.: Djibouti and the Horn of Africa, pp. 13 - 14 «California 1968».
- ٥ - كريستوفر هيبيرت : بنيتو موسوليني : تعريب خيرى حماد ص ١١٤ (القاهرة ١٩٦٥)
- ٦ - د. يونان لبيب واخرون : مرجع سابق ، ص ١٨٠ .
- ٧ - لم تكن في افريقيا في ذلك الوقت سوى ثلاث دول مستقلة هي اثيوبيا وليبيريا وجمهورية جنوب افريقيا ، وكانت مصر مستقلة اسميا بعد الغاء الحماية البريطانية عنها .
- ٨ - جرانت وتمبرلي : مرجع سابق ، ص ٢٨٣ وما بعدها .
- ٩ - دخلت ايطاليا الميدان الاستعماري متأخرة بسبب عدم وحدتها التي اكتملت في ١٨٧٠ - ١٨٧١ .
- ١٠ - طلبت ايطاليا في عام ١٩٢٣ من اثيوبيا ان تتقدم الى الانضمام الى عصبة الامم ، وقد وافقت العصبة على انضمامها اليها ، بسبب تأييد ايطاليا .
- ١١ - اعترفت ايطاليا بذلك طبقا للاتفاقية المبرمة بينها وبين اثيوبيا في عام ١٩٠٨ انظر :

Hertslet, sir Edward.: The Map of Africa by Treaty, Vol. 11: p. 423, «London 1909».

١٢- يبدو من مذكرات دي بونو ، أن إيطاليا عقدت العزم على مهاجمة الحبشة في عام ١٩٢٣ انظر :

١٣- انظر د. السيد رجب حراز : التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا وتأسيس مستعمرتي إريتريا والصومال (القاهرة ١٩٦٠) .

١٤- ألغى الملك منليك هذه المعاهدة في ٢٧ فبراير ١٨٩٣ ، ومن ثم كانت معركة عدوه الشهيرة في أول مارس ١٨٩٦ ، التي لقي فيها الإحباش درساً قاسياً للإيطاليين ، وجرحت كبرياء إيطاليا كدولة لها وزنها في أوروبا وكسرت هيبتها في مستعمراتها ، ويرى البعض أنها كانت من أسباب الغزو الإيطالي للحبشة .

١٥- الباحث : موقف عصبة الأمم من الغزو الإيطالي للحبشة ، ص ٤ مجلة الدراسات الإفريقية ، العدد التاسع ، جامعة القاهرة ١٩٨٠ .

١٦- الباحث : حركة الجهاد الوطني في الصومال ، ص ٣٩ وما بعدها ، (القاهرة ١٩٨٣) .

١٧- الباحث : مواقف حزب الوفد من مسألة السودان ١٩١٩ - ١٩٥١ رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد الدراسات الإفريقية - جامعة القاهرة ١٩٧٤ .

١٨- د. زاهر رياض : تاريخ اثيوبيا ، ص ١٣٧ وما بعدها ، القاهرة ١٩٦٦ .

١٩- الاهرام المصرية ١٩ - ٦ - ١٩٣٥ .

٢٠- Thompson, V. and Adolff, Richard.: Op: Cit pp. 13 - 15

٢١- الاهرام المصرية في ١٩ - ٦ - ١٩٣٥ .

٢٢- Rolond, Wilson. : The Italian Advance to Ehiopia, p. 45. «London 1962».

٢٣- الباحث : موقف عصبة الأمم ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

٢٤- Polson, Newman.: Italy's Conquest of Abyssinia, pp. 19 - 20. «London 1956».

٢٥- De Bono, General.: Ethiopian War, p. 62 «Milan-1937».

٢٦- للمزيد انظر للباحث : موقف عصبة الأمم ، مرجع سابق .

٢٧- كما حدث في نهايات القرن التاسع عشر ، على عهدى الخليفة عبد الله التعايش ومنليك الثانى ، ويلاحظ ان السودانين شاركوا الاحباش انتصارهم في موقعة عدوه في عام ١٨٩٦ .

٢٨- الباحث : تطور حركة الجهاد الوطنى فى الصومال ، مرجع سابق
ط ٢٠ وما بعدها .

٢٩- كان السودان يخضع للحكم الثنائى (مصر وانجلترا) فى الفترة من ١٨٩٩ الى ١٩٢٤ ، طبقا لاتفاقية ١٨٩٩ ، وحكمت انجلترا السودان بمفردها فى الفترة من ١٩٢٤ الى ١٩٣٦ ، بعد ان طردت الوجود المصرى من السودان ثم عاد الحكم الثنائى الاسمى بعد معاهدة ١٩٣٦ ، وكان الحكم الفعلى فى جميع الاحوال فى يد السلطات الانجليزية ، المثلة فى الحكومة السودانية .

٣٠- انظر د. شوقى الجمل : السودان وادى النيل ، الجزء الثانى « القاهرة » .

٣١- Lewis, I.M.: The Modern History of Ethiopia, pp. 107 - 110, ... «London 1964».

٣٢- للمزيد عن هذا الامبراطور انظر للباحث :
(١) التقارب الاثيوپى الصومالى فى عهد ليچ اياسو ، بحث مقدم للندوة الدولية للقرن الافريقى (٥ - ١٠ يناير ١٩٨٥) معهد الدراسات الافريقية - جامعة القاهرة .

(ب) الاستعمار .. وامبراطور افريقى اعتنق الاسلام .
عشرة مقالات منشورة بمجلة الهداية التى تصدرها وزارة العدل والشئون الاسلامية بدولة البحرين من يناير الى اكتوبر ١٩٨٥ .

٣٣- Oliver, R.: History of East Africa, vol. 1, p. 37 «Oxford 1968» also:

Francis, R.: Moussolini over Africa, p. 238, «London 1948»

٣٤- د. محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ .
ص ٣٧٧ « القاهرة ١٩٥٣ » .

٣٥- الباحث : مواقف حزب الوفد .. مرجع سابق ، لمعرفة وجهة النظر البريطانية انظر :

Lloyd, lord.: Egypt since Cromer Vol, 1. pp. 11 - 47.

- Security 4 - 1 - 4. p. 289 C.R.O. - Sudan. —٣٦
- Security 4 - 1 - 4. p. 211 —٣٧
- F.O. 371 - 20 - 41, No. 545, «435 - 4 - 36» from Lampson to Eden, 13 - 5 - 1936 —٣٨
- Security 4 - 1 - 4. p. 212. —٣٩
- ٤٠- د. جعفر بخيت : الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان (١٩١٩ - ١٩٣٩) ترجمة هنرى رياض ص ٢٣٨ ، « بيروت والخرطوم ١٩٧٢ » ..
- Fabunmi, L.A. : The Sudan in Anglo - Egyptian Relation, —٤١
p. 104, «London 1960».
- ٤٢- الباحث : مواقف حزب الالفد المصرى .. مرجع سابق
- Security 4 - 1 - 5. p. 435 —٤٣
- Central Records office - Sudan
- Security 4 - 1 - 4.p. 247 —٤٤
- ٤٥- محمد عمر بشر : تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠ - ١٩٦٩ —
ترجمة هنرى رياض وآخرين . ص ١٥٦ وما بعدها
« الخرطوم ١٩٨٠ » .
- Security 4 - 1 - 3. p. 302. —٤٦
- Security 4 - 1 - 3. p. 302. —٤٧
- ٤٨- الأهرام في ٣٠ - ٩ - ١٩٣٥ .
- Security 4. 1. 3. p. 302. —٤٩
- ٥٠- للمزيد انظر للباحث : موقف عصبة الأمم .. مرجع سابق ٤٠ .
وما بعدها .
- Security 4 - 2 - 5. pp. 574 - 699 - 70. —٥١
- Ibid. p. 572. —٥٢
- Ibid. pp. 618 - 620.. —٥٣
- Security 4 - 1 - 3. pp. 41 - 42. —٥٤
- Ibid. p. 122. —٥٥
- Ibid. p. 43.. —٥٦

٥٧- من خطاب مفتش كسلا الى السكرتير الادارى بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٣٥ مرفقا به تقرير المخابرات رقم (٣٢) أنظر :

Security 4 - 1 - 3. pp. 56 - 57.

Ibid. p. 43. —٥٨

Security 4- . - 5. p. 497. —٥٩

Ibid. p. 695. —٦٠

٦١- من الرؤس الاحباش الذين كانوا لا يزالون يقاومون الطليان .:

Security 4 - 2 - 5. p. 694. —٦٢

Ibid. p. 703. —٦٣

Security 4 - 1 - 3. p. 123 —٦٤

٦٥- تقرير مخابرات كسلا رقم (٣٢) وعن الحالة الاقتصادية أنظر :

Security 4 - 1 - 3 pp. 55 - 56

Ibid. pp. 12 - 13. —٦٦

Ibid. p. 171. —٦٧

Security. 4 - 1 - 3. p. 13. —٦٨

Security. 4 - 1 - 4. p. 247. —٦٩

Security 4 - 1 - 3. p. 124. —٧٠

Francis, R.: Op. Cit pp. 189 - 203. —٧١

٧٢- كانت ايطاليا تبث تلك الدعاية من اذاعة بارى باللغة العربية في تمام الساعة ٨ مساء الثلاثاء والخميس والسبت على الموجة الطويلة باللغة العربية وكانت مسموعة بوضوح في عطبرة ، حيث كانت الأخبار وكانت الحكومة السودانية تخشى من ان يؤثر هذا البرنامج على الراى العام السودانى ، ويخلق ميولا مضادة لانجلترا ، أنظر :

Security 4 - 2 - 5. p. 435.

Security. 4 - 1 - 4. p. 247. —٧٣

Security. 4 - 1 - 3. p. 13. —٧٤

Ibid. p. 201. —٧٥

Security. 4 - 1 - 3. p. 320. —٧٦

Ibid. p. 247. —٧٧

Security. 4 - 1 - 3. p. 60. —٧٨

Ibid. p. 124. —٧٩

٨٠- أنظر للباحث : مواقف حزب الوفد .. مرجع سابق .

٨١- د. جعفر محمد بخيت : الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان (١٩١٩ - ١٩٣٩) ترجمة هنري رياض ص ٢١٨ وما بعدها « بيروت والخرطوم ١٩٧٢ » .

٨٢- للمزيد أنظر : محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠ - ١٩٦٠ ، ترجمة هنري رياض وآخرين . ص ١٥٦ « الخرطوم ١٩٨٠ » .

٨٣- أنظر مجلة الفجر السودانية في أعوام ٣٥ - ١٩٣٦ بدار الوثائق المركزية بالخرطوم .

Security. 4 - 1 - 3. p. 171. —٨٤

Security. 4 - 1 - 4. p. 247. —٨٥

Security. 4 - 1 - 3. p. 201. —٨٦

Ibid. p. 125. —٨٧

Ibid. pp. 14 - 15. —٨٨

Security. 4 - 2 - 5. p. 497. —٨٩

Security 4 - 1 - 4. p. 247. —٩٠

Central Records office - Sudan.

مكتبة البحث

أولا : وثائق رسمية :

1 — F.O. 371 - 20 - 41, No. 545

2 — Security 4 - 1 - 3

« 4 - 1 - 4

« 4 - 1 - 5

« 4 - 2 - 5

Central Records Office - Sudan.

ثانيا : مراجع عربية ومعربة :

١ — د. السيد رجب حراز : التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا وتأسيس مستعمرتي إريتريا والصومال « القاهرة ١٩٦٠ » .

٢ — د. تمام همام تمام : حركة الجهاد الوطني في الصومال (القاهرة ١٩٨٣) .

٣ — د. تمام همام تمام : التقارب الأثيوبي الصومالي في عهد ليح إياسو ، ضمن أبحاث الندوة الدولية للقرن الإفريقي (٥ - ١٠ يناير ١٩٨٥) معهد الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة .

٤ — د. تمام همام تمام : موقف عصبة الأمم من الغزو الإيطالي للحبشة (١٩٣٦/٣٥) مجلة الدراسات الإفريقية ، العدد التاسع ، جامعة القاهرة ١٩٨٠ .

٥ — جرانت ، أ. ج. وهارولد تمبرلي : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ - ١٩٥٠) ج ٢ ترجمة محمد علي أبودرة ولويس اسكندر ومراجعة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم (القاهرة ١٩٦٧) .

٦ — د. جعفر محمد بخيت : الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان (١٩١٩ - ١٩٣٩) ترجمة هنري رياض (بيروت والخرطوم ١٩٧٢) .

- ٧ - د. زاهر رياض : تاريخ اثيوبيا (القاهرة ١٩٦٦).
- ٨ - د. شوقي الجمل : سودان وادى النيل ، الجزء الثانى (القاهرة ١٩٦٩).
- ٩ - كريستوفر هيرت : بنيتو موسولينى ، تعريب خيرى حماد (القاهرة ١٩٦٥).
- ١٠ - د. محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ (القاهرة ١٩٥٣).
- ١١ - محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان (١٩٠٠ - ١٩٦٩) ترجمة هنرى رياض وآخرين (الخريوم ١٩٨٠).
- ١٢ - د. يونان لبيب وآخرون : أوروبا فى عصر الامبريالية (القاهرة ١٩٨٣).

ثالثا : مراجع اجنبية :

1. De Bono, General.: Ethiopian War, (Milan 1937).
2. Fabunmi, L.A.: The Sudan in Anglo - Egyptian Relation (London 1960).
3. Francis, R.: Moussolini over Africa. (London 1948).
4. Hertslet, Sir Edward.: The Map of Africa by Treaty, Vol. 11, (London) 1909).
5. Lewis, L.M.: The Modern History of Ethiopia, (London 1964).
6. Oliver, R.: History of East Africa, Vol. 1, (Oxford 1968).
7. Polson, Newman.: Italy's Conquest of Abyssinia. (London 1956).
8. Roland, Wilson.: The Italian Advance to Ethiopia, (London 1962).
9. Thompson, V. and Adolff, R.: Djibouti and the Horn of Africa, (California 1968).

رابعا : الصحف والمجلات :

- ١ - الأهرام القاهرية ١٩٣٥ - ١٩٣٦ .
- ٢ - مجلة الفجر السودانية ١٩٣٥ - ١٩٣٦ .

أبعاد المشكلة الاقتصادية في دول افريقيا جنوب الصحراء

د. جاب الله عبد الفضيل بخيت
كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية
الجامعة الإسلامية - أم درمان

مقدمة

أن جوهر المشكلة الاقتصادية في دول افريقيا جنوب الصحراء يكمن في أن الارتفاع في معدلات النمو السكاني يفوق الزيادة في معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي مما يؤدي الى انخفاض معدل الزيادة في الدخل الفردي . مثل هذا الاداء المتدهور ظهر في أوضح أشكاله من واقع أرقام الواردات وبصفة خاصة الواردات الغذائية والديون الخارجية . فقد ارتفعت هذه الديون بمعدلات لم تشهد لها مثل حتى في أيام الاستعمار الغربي بحيث أصبحت تلك البلاد تواجه مشكلات خطيرة في الالتزام بالسداد .

ومن هنا اكتملت جوانب المشكلة الاقتصادية الطاحنة التي تعيشها دول افريقيا جنوب الصحراء منذ بداية سنوات الثمانينات . وفيما يلي نقدم باستعراض مثلث هذه المشكلة الاقتصادية .

أولا : انخفاض معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي .

ثانيا : الارتفاع المستمر في معدلات الزيادة السكانية

ثالثا : تفاقم أزمة المديونية الخارجية .

المبحث الاول

انخفاض معدلات نمو الناتج المحلى الاجمالى

منذ بداية الستينات وحتى الآن تعاني دول افريقيا جنوب الصحراء من تباطوء معدل الزيادة فى الناتج المحلى الاجمالى والذي ينظر اليه غالبا كـمقياس لمستوى صحة الاقتصاد القومى ، راجع بيانات الجدول الآتى : -

الفترة الزمنية	جميع البلدان النامية	بلدان أفريقيا جنوب الصحراء
٦٥ - ١٩٧٣	٦,٥	٦,٦
٧٣ - ١٩٨٠	٥,٤	٣,٣
٨٠ - ١٩٨٤	٣,٠	١,٥
١٩٨٥	٥,١	٥,٨
١٩٨٦	٤,٧	٢,٦
١٩٨٧	٣,٩	١,٤

المصدر : البنك الدولى « تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٨٨ م »
ترجمة مركز الاهرام للترجمة والنشر ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ،
١٩٨٨ ص ٢١٧ •

إذا رجعنا الى الوراء قليلاً نجد أن الاحوال الاقتصادية في سنوات الستينات وبداية السبعينات لم تكن جيدة بالقدر المطلوب لرفع مستوى معيشة المواطنين ، الا أن معدل الزيادة في الناتج المحلي الاجمالي كان يفوق معدل الزيادة السكانية فقد ارتفع هذا الناتج بمعدل سنوي قدره ٦.٦٪ خلال الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٧٣ . ثم جاءت سنوات السبعينات لتحمل معها نذر الكساد الاقتصادي فقد هبط النمو السنوي للناتج المحلي الى ٣.٣٪ خلال الفترة من ١٩٧٣ الى ١٩٨٠ في الوقت الذي وصل فيه هذا المعدل الى ٤.٥٪ بالنسبة لمجموع البلدان النامية . واخيرا فقد حل عقد الثمانينات ليبدد حلم القادة الافارقة في تحقيق حلم الرفاهية الاقتصادية لشعوبهم حيث أن متوسط النمو السنوي للناتج المحلي الاجمالي أصبح سالباً بمقدار - ١.٥٪ خلال الفترة من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٤ . واذا كانت سنة ١٩٨٥ م قد شهدت عودة الامطار . وتحسن الانتاج الزراعي فان معدل الزيادة في الناتج المحلي الاجمالي لم يتعد ٨.٥٪ كما أن هذا المعدل عاد للانخفاض مرة أخرى الى ٢.٦٪ في عام ١٩٨٦ والى - ١.٤٪ في عام ١٩٨٧ م .

هذا وتجدر الملاحظة الى أن بعض البلدان الافريقية جنوب الصحراء قد استطاعت خلال سنوات السبعينات من الافلات من الجفاف أو التمتع بدخول بترولية مرتفعة من أمثال الجابون ونيجيريا وساحل الحاج وزيمبابوي وكينيا . الا أنه بحلول سنوات الثمانينات نجد أن الغالبية العظمى من دول افريقيا جنوب الصحراء قد غرقت في بحر الكساد الاقتصادي ، كما يتضح من الجدول التالي :

جدول رقم ١٠٢
متوسط النمو السنوى للناتج المحلى الاجمالى
فى بعض الدول الافريقية (فى المائه)

الدولة	١٩٦٥-١٩٨٠م	١٩٨٠-١٩٨٦م
كينيا	٦,٤	٣,٤
زمبابوى	٤,٤	٢,٦
نيجريا	٨,٠	٣,٢-
ساحل العاج	٦,٨	٠,٣-
الجابون	٩,٥	١,٥

المصدر : البنك الدولى « تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٨٨ » ترجمة
 مركز الاهرام للترجمة والنشر ، مؤسسة الاهرام القاهرة ، ١٩٨٨ ،
 ص ٢٥٦ • ولتفسير مدى التدهور الذى طرأ على معدلات النمو الاقتصادى
 فى دول افريقيا جنوب الصحراء فاننا نقوم بدراسة التطور الذى طرأ
 على القطاعات الاقتصادية فى هذا الاقليم من العالم •

المطلب الاول

ضعف عائدات التصدير

تعرضت عائدات الصادرات لدول افريقيا جنوب الصحراء الى انخفاض ملحوظ خلال سنوات لثمانينات • فقد هبط معدل النمو السنوي لهذه العائدات من ٦٦٪ في الفترة من ١٩٦٥ وحتى ١٩٨٠ الى - ٢١٪ في المتوسط خلال الفترة من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٦ (١) • وهذا يعنى أن - عائدات الصادرات لم تحظ بالنمو وانما تعرضت للتدهور خلال سنوات الثمانينات •

ويرجع الانخفاض في حصة هذه الصادرات الى تركيز صادرات دول افريقيا جنوب الصحراء في بضع سلع أولية • فعلى سبيل المثال ، في عام ١٩٨٦ كان نصيب المواد الأولية المعدنية والزراعية حوالى ٨٨٪ من اجمالى صادرات هذه الدول (٢) • وقد كان من شأن تركيز صادرات الدول الافريقية في عدد محدود من السلع الأولية ، جعل اقتصاديات هذه الدول شديدة الحساسية للصدمات الخارجية (٣) • فمنذ منتصف السبعينات تواجه هذه الصادرات - انخفاضا في الطلب العالمى عليها نتيجة لحالة الكساد الاقتصادى السائدة في الدول الصناعية المتقدمة • وقد ترتب على هذا الامر انخفاض في معدلات الزيادة في حجم صادرات المواد الأولية التى تقوم دول افريقيا جنوب الصحراء ببيعها في الخارج وكذلك انخفاض في أسعار بيع هذه الصادرات • فالنظرية الاقتصادية تعلمنا أنه في حالة تراجع الطلب لاي ظرف من الظروف التى تحكمه ، فان منحنى الطلب ينتقل بأكمله الى أسفل وإلى جهة اليسار محدثا بذلك انخفاضا في السعر وفي كمية التوازن ، أى تكون النتيجة انخفاضا في الثمن وفي الكمية التى يمكن بيعها للمشتريين •

أولاً : انخفاض أسعار الصادرات من المواد الأولية :

منذ نهاية عام ١٩٧٩ شهدت أسعار الصادرات من السلع الزراعية مثل القطن والكافور والموز والبن انخفاضاً كبيراً لم تشهده منذ عام ١٩٤٥ (٤) *

جدول رقم (١٠٢) تطور الاسعار العالمية للبن

السنة	ثمن الطن بالدولار (١)	الرقم القياسي	معدل التغير السنوي
١٩٨٠	٣٣٢٢	١٠٠,٠٠	
١٩٨١	٢٥٤٤	٧٦,٥٨	٢٣,٤-
١٩٨٢	٢٧٦٧	٨٣,٢٩	٨,٨
١٩٨٣	٢٨٢٠	٨٤,٨٩	١,٩
١٩٨٤	٣١١٢	٩٣,٦٨	١٠,٤
١٩٨٥	٢٩٤٣	٨٨,٥٩	٥,٤-
١٩٨٦	٣٤٠٥	١٠٢,٥٠	١٥,٧
١٩٨٧	٢٢٩٢	٦٨,٩٩	٣٢,٧-

(١) المصدر :

Jeune Afrique Economie / No. 100, Septembre / Octobre 1987, p. 55.

جدول رقم (١٠٤)
تطور الاسعار العالمية للكاكاو

السنة	ثمن الطن بالدولار (١)	الرقم القياسي	معدل التغير السنوي
١٩٨٠	٢٦٠٣	١٠٠,٠٠	
١٩٨١	٢٠٧٧	٢٩,٧٩	٢٠,٢
١٩٨٢	١٧٤١	٦٦,٨٨	١٦,٢
١٩٨٣	٢١١٩	٨١,٤١	٢١,٧
١٩٨٤	٢٣٩٤	٩١,٩٧	١٣,٠
١٩٨٥	٢٢٥٤	٨٦,٥٩	٥,٨
١٩٨٦	١٩٠٠	٧٢,٩٩	١٥,٧
١٩٨٧	١٨٩٠	٧٢,٦١	٠,٥

(١) المصدر :

Jeune Afrique Economie / No. 100, Septembre / Octobre 1987, p. 55.

جدول رقم (١٠٥)
تطور الاسعار العالمية للقطن

السنة	ثمن الطن بالدولار (١)	الرقم القياسي	معدل التغير السنوى
١٩٨٠	٢٠٧٦	١٠٠,٠	
١٩٨١	١٨٧٩	٩٠,٥	٩,٥-
١٩٨٢	١٦٠٣	٧٧,٢	١٤,٧
١٩٨٣	١٨٦٩	٩٠,٠	١٦,٦
١٩٨٤	١٧٧١	٨٥,٣	٥,٢-
١٩٨٥	١٣٦٢	٦٥,٦	٢٣,١-
١٩٨٦	٩٨٤	٤٧,٤	٢٧,٨
١٩٨٧	١٣٩٦	٦٧,٢	٤١,٩

(١) المصدر :

Jeune Afrique Economie / No. 100, Septembre / Octobre 1987, p. 55.

جدول رقم (١٠٦)
تطور الاسعار العالمية للفوسفات

السنة	ثمن الطن بالدولار (١)	الرقم القياسي	معدل التغير السنوي
١٩٨٠	٥٢	١٠٠,٠٠	
١٩٨١	٥٥	١٠٥,٨	٥,٨
١٩٨٢	٥٠	٩٦,٢	٩,١-
١٩٨٣	٣٧	٧١,٢	٢٦,٠-
١٩٨٤	٣٨	٧٣,١	٢,٧
١٩٨٥	٣٨	٧٣,١	صفر
١٩٨٦	٣٥	٧٦,٣	٧,٩-
١٩٨٧	٤٧	٩٠,٤	٣٤,٣

(١) المصدر :

Jeune Afrique Economie / No. 100, Septembre / Octobre 1987, p. 55.

جدول رقم (١٠٧)
تطور الاسعار العالمية للبترول

السنة	ثمن البرميل بالدولار (١)	الرقم القياسي	معدل التغير السنوي
١٩٨٠	٣٣,٧	١٠٠,٠٠	
١٩٨١	٣٥,٠	١٠٣,٩	٣,٩
١٩٨٢	٣٤,٠	١٠٠,٩	٢,٩
١٩٨٣	٣٠,٠	٨٩,٠	١١,٨
١٩٨٤	٢٨,٠	٨٣,١	٦,٧
١٩٨٥	٢٨,٠	٨٣,١	صفر
١٩٨٦	١٤,٠	٤١,٥	٥٠,٠
١٩٨٧	١٦,٠	٤٧,٥	١٤,٣

(١) المصدر :

Jean Afrique Economie No. 100 Septembre octobre 1987, p. 55.

جدول رقم (١٠٨)
تطور الأسعار العالمية للنحاس

السنة	ثمن الطن بالدولار (١)	الرقم القياسي	معدل التغير السنوي
١٩٨٠	٢١٧٣	١٠٠,٠	
١٩٨١	١٧٤٣	٨٠,٢	١٩,٨-
١٩٨٢	١٤٨٠	٦٨,١٠	١٥,١-
١٩٨٣	١٥٩٣	٧٣,٣	٧,٦
١٩٨٤	١٣٧٨	٦٣,٤	١٣,٥-
١٩٨٥	١٤١٧	٦٥,٢	٢,٨
١٩٨٦	١٣٤٠	٦١,٧	٥,٤-
١٩٨٧	١٢٧٤	٥٨,٦	٤,٩-

(١) المصدر :

Jean Afrique Economie No. 100 Septembre octobre 1987, p. 55.

ان القاء نظرة سريعة على الجداول رقم (١٠٣) ، (١٠٤) ، (١٠٥) توضح لنا أن أسعار صادرات البن والكافور والقطن تعرضت لتذبذبات شديدة خاصة في اتجاه الانخفاض ، بما أدى الى تقلبه وانخفاض هذه الصادرات . فقد كانت معدلات التدهور السنوية في أسعار صادرات هذه السلع خلال الفترة من ١٩٨٠ الى ١٩٨٧ م على الوجه التالي : — ٣٠٪ بالنسبة للبن ، ٤٠٪ بالنسبة للكافور ، — ٣١٪ بالنسبة للقطن ، وعلى سبيل الاستثناء ، نذكر الارتفاع الذي طرأ على أسعار البن في عام ١٩٨٦ ، مما سمح لمصدريه وخاصة ساحل

العاج وكينيا من زيادة إيرادات الصادرات • ولكن بحلول عام ١٩٨٧ ،
سرعان ما عادت هذه الاسعار للانخفاض مرة أخرى مسجلة تدهورا
مقداره - ٣٣.٧٪ بالقياس لمستوى الاسعار الذى كان سائدا في
عام ١٩٨٦ •

بالاضافة الى ذلك تعرضت أسعار الصادرات من المنتجات المعدنية
والنحاس الى الانخفاض المستمر وبصفة خاصة أسعار الفوسفات
والبتروول والنحاس كما يتضح ذلك من الجداول رقم (١٠٦) ، (١٠٧) ،
(١٠٨) • فبالنسبة للفوسفات سجلت أسعار صادراته انخفاضا
بمقدار - ٠.٣٪ سنويا في المتوسط فيما بين ١٩٨٠ و ١٩٨٧ • كما أن
الانخفاض السنوى في أسعار صادرات البتروول كان بمعدل - ٧.٦٪
في المتوسط أثناء نفس الفترة • وأخيرا بالنسبة للنحاس كان معدل
انخفاض الاسعار التصديرية يعادل - ٦.٩٪ في المتوسط خلال نفس
الفترة السابق الإشارة اليها •

وقد ترتب على انخفاض أسعار صادرات دول افريقيا جنوب
الصحراء قياسا بالارتفاع المستمر في أسعار وارداتها أن تدهور معدل
التبادل التجارى الخاصة بها • فبعد أن كان هذا المعدل ١٠٠ في عام
١٩٨٠ ، أصبح ٩٦ في عام ١٩٨٤ ، ٩٢ في عام ١٩٨٦ ، أى أنه فقد ثمانى
نقاط خلال ٦ سنوات فقط (٥) •

ثانيا : انخفاض حجم الصادرات :

هذا ومن الملاحظ أن الانخفاض في أسعار صادرات المواد الاولية
لم يمكن دول القارة الافريقية من زيادة حجم صادراتها من هذه السلع
بل على العكس من ذلك نجد أن حجم الصادرات قد تقلص بصفة
مستمرة فبالنظر الى الاحصاءات الصادرة من البنك الدولى نجد أن
معدل التغير السنوى في حجم الصادرات لدول افريقيا جنوب الصحراء
قد انخفض من ١٥٪ في الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٧٣ ، الى ١٪ في الفترة
من عام ١٩٧٣ وحتى ١٩٨٠ وأصبح سالبا بمقدار - ٧.٥٪ خلال

السنوات من ١٩٨٠ الى ١٩٨٤ م ثم استقر عند - ٦٨٪ في عام ١٩٨٧ (١) •

ويمكن أرجاع تدنى حجم صادرات دول افريقيا جنوب الصحراء في الفترة من عام ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٨٧ الى الاسباب الآتية : -
١ - ارتباط الطلب على هذه الصادرات من السلع الأولية بالاحوال الاقتصادية السائدة في الدول الصناعية الرأسمالية • ونظرا لان هذه الدول تعاني من حالة انكماش تضخمى منذ منتصف السبعينات ، فان طلبها على مستلزمات الانتاج القادمة من الدول الافريقية تعرضت للانخفاض • كما وأن السوق المحلى في الدول الافريقية غير قادر للحال محل الطلب الاجنبى وذلك لمعاناة الاقتصاديات الافريقية من تطبيق سياسات تقشف الميزانية والضغط العام للمنفقات • بالاضافة الى ذلك فقد سعى الاستعمار الاوربى لافريقيا الى خلق بنية انتاجية في القطاع الزراعى والمقطاع التعدينى مرتبهة للخارج ، وبالتالي فهي لا تسمح بتدعيم دورة انتاجية داخلية قائمة على اقتصاد سوق محلى • وبرغم حصول هذه الدول الافريقية على استقلالها الا أنها لم تتمكن بعد من التخلص من التخصصى الانتاجى والتصديرى الذى فرض عليها من قبل القوى الاستعمارية فى الماضى •

٢ - أن الطلب العالمى على المواد الأولية والسلع الزراعية لا يعتمد كثيرا على تحركات الاسعار ، وبالتالي فاذا انخفضت أسعار هذه السلع فان ذلك لا يؤدى الى زيادة الطلب العالمى عليها بصورة كبيرة أى أن مرونة الطلب السعرية على هذه السلع تعتبر ضعيفة •

٣ - توسع البلاد الصناعية المتقدمة فى انتاج المواد الصناعية البديلة أدى الى انخفاض طلبها على المواد الخام المصدرة من البلدان النامية • مثال ذلك التوسع فى انتاج الالياف الصناعية كبديل للقطن والتوسع فى استقلال مصادر الطاقة البديلة للبترول •

٤ - أن الطلب العالمى على المواد الخام لا يعتمد كثيرا على مستويات الدخل فى البلدان الصناعية المستهلكة ، أى انخفاض مرونة الطلب الداخلية على هذه السلع . وفى دراسة أوردها البروفسير تودارو الأستاذ بجامعة نيويورك يتضح أن زيادة الدخل بمقدار ١٪ فى الدول الصناعية المتقدمة يترتب عليه .

— زيادة الواردات من المواد الغذائية بمقدار ٠.٠٦٪ .

— زيادة الواردات من المواد الخام كالمطاط والزيوت النباتية بمقدار ٠.٠٥٪ .

— زيادة الواردات من السلع المصنعة بمقدار ٠.١٩٪ (٧) .

يتضح مما سبق مدى انخفاض مرونة الطلب الداخلية فى الدول المتقدمة على السلع والمواد الأولية المصدرة من قبل دول العالم الثالث وفيها دول — افريقيا جنوب الصحراء .

ويحدث انخفاض حصة الصادرات آثارا سلبية مباشرة وغير مباشرة على معدلات النمو الاقتصادى وذلك من خلال قنوات ثلاث :

١ — نظرا لان حصة الصادرات تمثل أحد مكونات الناتج القومى الاجمالى فان انخفاض هذه الحصة يحدث انخفاضا فوريا فى معدلات نمو هذا الناتج .

٢ — يؤدى انخفاض عائدات التصدير الى اتكماش مصادر التمويل الخارجى مما يؤدى الى تقلص حجم الواردات من السلع الاساسية الاستهلاكية ومستلزمات الانتاج ، وتكون النتيجة حدوث تقلص فى حجم النشاط الاقتصادى وزيادة الطاقة العاطلة فى الجهاز الانتاجى وبالتالي انخفاض معدلات الزيادة فى الناتج القومى الاجمالى — يوضح الجدول التالى مدى التلازم بين تدنى حصة الصادرات وهبوط قيمة الواردات لدول افريقيا جنوب الصحراء .

جدول رقم (١٠٩)
نمو تجارة السلع لبلدان افريقيا جنوب الصحراء
((نسبة مئوية للتغير السنوى المتوسط))

الواردات	الصادرات السلعية	الفترة الزمنية
٤,٩+	٦,٦+	١٩٨٠-٦٥
٧,٥-	٢,١-	١٩٨٦-٨٠

المصدر: البنك الدولي «تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٨» ترجمة
 مركز الاهرام للترجمة والنشر مؤسسة الاهرام القاهرة ، ١٩٨٨
 ص ٢٧٥ .

٣ - نظرا لان هناك حجما معينا من الواردات لابد من الحصول عليه
 من الخارج أى لا يمكن ضغطه سواء بالنسبة للسلع الاستهلاكية
 أو بالنسبة لمستلزمات الانتاج ، فان انخفاض عائدات التصدير يؤدي
 الى انخفاض معدل تغطية الصادرات للواردات مما يضطر الدولة الى
 زيادة الاستدانة من الخارج وما يترتب على ذلك من تضخم أعباء
 خدمة الدين الخارجى فى المستقبل . وبالنسبة للدول الافريقية فقد
 انخفض معدل تغطية الصادرات للواردات من ١١٣٪ فى عام ١٩٨٠ الى
 ٨٢,٣٪ فى عام ١٩٨٦ (٨) .

المطلب الثانى

ضعف أداء قطاع الزراعة

منذ حصول البلاد الافريقية على استقلالها وشروعها فى وضع استراتيجيات للتنمية الاقتصادية ، تعرض القطاع الزراعى الى اهمال متعمد حيث تم تخصيص الجزء الاكبر من الاستثمارات لحساب القطاع الصناعى وقطاع الخدمات • كما تم تطبيق سياسات سعرية غير مجزية بالنسبة للمزارعين وتم تحويل استغلال الارض من محاصيل معيشية تقليدية الى محاصيل نقدية بالرغم من انخفاض أسعارها فى الكثير من السنوات وذلك أملا فى الحصول على احتياجات التصنيع من نقد أجنبى (٩) • كما غادر المزارعون والعمال الزراعيون الريف بحثا عن فرص العمل فى المدن ذات الخدمات المحسنة والحياة السهلة بالقياس لحياة الريف •

بالاضافة الى ذلك ، فقد ضنت الطبيعة بامطارها وتعرضت القارة الافريقية للجفاف والتصحر فى أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات • وقد كانت نتيجة هذه الظروف الطبيعية والسياسات الاقتصادية غير المواتية أن انخفض الانتاج — الزراعى وبصفة عامة انتاج المواد الغذائية فى دول افريقيا جنوب الصحراء • وفيما يلى استعراض للتغيرات التى طرأت على الانتاج الزراعى فى هذا الاقليم من العالم خلال الفترة من ١٩٦٥ وحتى ١٩٨٦ ، ثم تحليل الاسباب التى تعترض نمو الانتاج الزراعى فى السودان كمثال توضيحي باعتباره أكبر الدول الافريقية مساحة وأكثرها تأهيلا لتحقيق نمو مضطرد فى الانتاج الزراعى •

أولاً : التغيرات التي طرأت على معدل نمو الانتاج الزراعى :

تظهر احصائيات البنك الدولى انخفاض معدل النمو السنوى للانتاج الزراعى فى دول افريقيا جنوب الصحراء من ٣.٤٪ فى الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٧٣ ، الى مجرد ٠.٥٪ خلال السنوات من ١٩٧٣ الى ١٩٨٠ ليستقر عند هذا المستوى المنخفض (٠.٢٪) خلال الفترة من ١٩٨٠ الى ١٩٨٦ (١٠) ومن الملاحظ أن هذه الأرقام أقل بكثير من معدل النمو السنوى للانتاج الزراعى بالنسبة لمجموع البلاد النامية والذي ارتفع من ٣.٣٪ فى الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٧٣ ، الى ٣.٦٪ خلال السنوات من ١٩٨٠ الى ١٩٨٦ وأن كان قد مر بفترة هبوط خلال الفترة من ١٩٧٣ حتى ١٩٨٠ (٢.٦٪) .

ولعل هذه الأرقام تؤكد مدى تزايد الحاجة الى استيراد المواد الغذائية من الخارج لمواجهة الفجوة الغذائية فى داخل دول افريقيا جنوب الصحراء .

وتجدر الإشارة الى أن هناك اتجاه الآن نحو تصحيح استراتيجيات وسياسات التنمية الاقتصادية فى البلدان الافريقية وذلك بمنح أولوية مرتفعة للتنمية الزراعية حتى تتمكن هذه البلدان من تحقيق التوازن بين تحقيق الاكتفاء الذاتى فى الأغذية وعلاج هبوط حصة الصادرات من السلع الزراعية المصدرة — كما أن زيادة انتاج المواد الغذائية ونجد اهتماما خاصا من جانب المنظمات الاقليمية والدولية .

ثانيا : الانتاج الزراعى فى السودان كمثال توضيحي :

يعبر السودان اصدق تعبير عن تدهور انتاج القطاع الزراعى فى افريقيا جنوب الصحراء . فهذا البلد يمتلك كافة الموارد الطبيعية المؤهلة لتحقيق نمو مضطرد فى الانتاج الزراعى من أراضى زراعية خصبة حيث تصل مساحة السودان الى ٢٥٠٦ مليون كيلو متر مربع أغلبها أراضى صالحة للزراعة والرعى وقطع الأخشاب ، وتوافر الأيدي

العاملة حيث أن تعداد السودان وصل الى ٢٢ر٦ مليون نسمة في عام ١٩٨٦ ، هذا بالإضافة الى توافر مصادر المياه الموسمية والدائمة (١١) ، وبالرغم من ذلك فقد انخفض معدل النمو السنوي للانتاج الزراعي من ٢.٩٪ في المتوسط خلال الفترة من عام ١٩٦٥ الى ١٩٨٠ ، الى ٠.٤٪ فقط خلال السنوات من ١٩٨٠ حتى ١٩٨٦ (١٢) . وقد ترتب على ذلك أن زادت واردات السودان من الحبوب من مجرد ١٢٥ الف طن متري عام ١٩٧٤ لتصل الى ٦٣٦ الف طن في عام ١٩٨٦ ، أي تضاعفت بمقدار يزيد عن ٥٠٠٪ خلال مدة ١٢ سنة كما أصبحت دولة السودان من كبريات الدول الافريقية المتلقية للمساعدات الغذائية حيث ارتفعت هذه المساعدات من ٤٦ الف طن متري في عام ١٩٧٥/٧٤ الى ٩٠٤ الف طن متري في عام ١٩٨٦/٨٥ ، أي أن احتياجات السودان للمساعدات الغذائية قد تضاعفت بمأدار ١٩٦٥/١٩٦٥ خلال ١١ سنة ، وكان من المفروض أن تتلاشى (١٣) .

حقيقة الامر هناك مجموعة من المشاكل العقبات تعترض نمو القطاع الزراعي ، فان إمكن علاجها بجدية وحزم يستطيع السودان أن يكفى المنطقة العربية بأكملها باحتياجاتها من المواد الغذائية . وفيما يلي استعراض لأهم هذه المشاكل :

١ — عدم توافر مستلزمات الانتاج في الوقت المناسب من بذور منتقاه ومبيدات لمقاومة الافات الزراعية وعناصر الطاقة المحركة من وقود وخلافه .

٢ — بدائية وسائل الانتاج المستخدمة مما يؤدي الى انخفاض انتاجية العامل الزراعي .

٣ — ازدياد حركة النزوح والهجرة الى المدن والخارج مما يحدث نقصا شديدا في الايدي العاملة الزراعية ويصفة خاصة في أوقات غرس المحاصيل وأوقات حصادها .

٤ — اتباع سياسات سعرية غير مجزية بالنسبة لمنتجات المحاصيل الرئيسية — كالقطن والصمغ العربى والحبوب الزيتية والمواد الغذائية •

٥ — عدم توافر امكانيات وأساليب التخزين الحديثة مما يعرض اجزاء كبيرة من المحاصيل للهلاك ، وتشير بعض الدراسات الى أن خسائر ما بعد الحصاد بسبب الممارسات غير الملائمة في مجال التجهيز والتخزين التقليديين تصل الى ثلث الانتاج الزراعى في كثير من البلدان الاقل نموا مثل السودان (١٤) •

٦ — تخلف وسائل الري وانخفاض الاستثمارات الموجهة نحو المحافظة على المياه وحسين استغلالها •

٧ — تجلف قطاع النقل وارتفاع تكاليفه مما يعوق ترحيل المحاصيل من مناطق الانتاج الى مناطق الاستهلاك أو التصدير ، فالطرق المعبدة قليلة ومستواها التقنى غير مرضى ولا تكفى شبكة الطرق الداخلية للربط بين الاقاليم بسهولة كما أن هناك نقصا شديدا في الشاحنات واللواري ، أما بالنسبة لشبكة السكك الحديدية فهي بدائية جدا • كل هذا يفضى الى فترات تأخير وتعرض السلع للتلف • أما عن النقل الجوى فيعتبر مقصورا على المراكز الادارية والتجارية الرئيسية ، هذا بالاضافة الى كونه غير منتظم بوجه عام •

٨ — انعدام أو نقص التمويل اللازم للقطاع الزراعى نتيجة النقص الشديد في مؤسسات الائتمان الزراعى وتخلف ادائها وعدم وصولها الى صغار المزارعين • ونتيجة لذلك ينتشر في الريف السودانى نظام الشيل وهو قريب الشبه بنظام المرابين حيث يقوم على استغلال صغار المزارعين الذين لا تتوافر لديهم الامكانيات المالية الذاتية لدفع تكاليف الانتاج الزراعى بصفة منتظمة •

ومن الملاحظ أن البلاد الافريقية جنوب الصحراء تشترك فيما بينها في العديد من المشاكل وأن كانت هذه المشاكل تختلف من دولة الى

أخرى • ان حل هذه العقبات التي تعوق انطلاق القطاع الزراعي في افريقيا جنوب الصحراء يتطلب اتباع سياسات اقتصادية جادة في مجال تسعير المحاصيل الزراعية لصالح الفلاحين والارشاد الزراعي وتوفير الايدي العاملة المدربة والحد من الهجرة الداخلية والخارجية وزيادة حجم الاستثمارات في مجال المرى والنقل والتخزين وتوفير مستلزمات الانتاج ، بالاضافة الى الاهتمام بتوسيع رقعة مؤسسات الائتمان الزراعي • كما أن تنمية القطاع الزراعي في افريقيا جنوب الصحراء يتطلب تعاوننا اقليميا ودوليا في مجال امداد البلدان الافريقية بالمعونة الخارجية ليس نقدا بل على شكل مستلزمات مباشرة للانتاج الزراعي • فمن المؤكد أن هذه المعونة العينية سوق تصب في القطاع الزراعي وليس غيره • كما أنها ستمكن البلاد الافريقية من تحقيق وفر في مواردها من العملات الصعبة ، بالاضافة الى ذلك سوف تستطيع تعزيز ميزانياتها الحكومية من خلال بيع المستلزمات الزراعية (١٥) •

المطلب الثالث

ضعف أداء قطاع الصناعات التحويلية

يتسم قطاع الصناعات التحويلية في بلدان افريقيا جنوب الصحراء بالخصائص الآتية (١٦) •

١ — غلبة الصناعات الخفيفة على الصناعات الثقيلة •

٢ — اعتماد هذه الصناعات بدرجة كبيرة على الخارج في الحصول على احتياجاتها من قطع الغيار والوقود وبعض مدخلات الانتاج (١٧) •

٣ — يتميز هيكل الصناعات التحويلية بسيادة الصناعات الاستهلاكية القائمة على تجهيز المواد الخام وصناعات بدائل الواردات مثل منتجات المشروبات ومنتجات التبغ وتغليف وتعبئة الشاي والبن والكافو وغزل ونسيج القطن وصناعة الزيوت النباتية وصناعة المصابون والسكر المكرر والمنتجات الخشبية وبعض صناعات الفوسفات والمواد الكيماوية •

٤ — زيادة قوة الروابط بين قطاعي الزراعة والصناعة التحويلية وبالتالي فان الازمة التي عانى منها قطاع الزراعة قد أثرت تأثيرا سلبيا وشديدا على الانتاج في قطاع الصناعة التحويلية •

ومن الملاحظ أن هذه السمات الرئيسية للصناعة التحويلية في دول افريقيا جنوب الصحراء قد تحكمت في اتجاهات النمو للنتاج الصناعي •

وعليه فان دراستنا في الصفحات القادمة ستتطوى على نقطتين

رئيسيتين :

١ — اتجاهات نمو الانتاج في قطاع الصناعات التحويلية •

٢ - الاسباب المسئولة عن ضعف أداء هذا القطاع •

أولا : اتجاهات نحو الانتاج في قطاع الصناعات التحويلية :

بالرغم من مجهودات التصنيع التي بذلتها بعض الدول الافريقية جنوب الصحراء عن طريق توجيه قدرا كبيرا من الاستثمارات القومية المتواضعة الى هذا القطاع من أمثال تنزانيا والستغال وساحل العاج ، الا أن قطاع الصناعات التحويلية لا يمثل إلا ١٠٪ من الناتج المحلي الاجمالي في عام ١٩٨٦ • كما أن نصيب قطاع الصناعة التحويلية من البلدان الافريقية مثل أوغندا (٥٪) ، النيجر (٤٪) ، وبنين الناتج المحلي لاجمالي في نفس العام لم يتعد ٥٪ بالنسبة للعديد من (٤٪) ، الصومال (٤٪) ، جمهورية افريقيا الوسطى (٤) ، سيراليون (٤٪) ، غينيا (٢٪) ، ليبيريا (٣٪) (١٨) • بالاضافة الى ذلك نجد أن نصيب دول افريقيا جنوب الصحراء من القيمة المضافة في قطاع الصناعة التحويلية في الاقتصاديات النامية لم يتعد ٣٨٪ في عام ١٩٨٥ وهو قريب من مستواة في عام ١٩٧٠ حيث كان ٣١٪ (١٩) •

اما فيما يتعلق بمعدل نمو القيمة المضافة المولدة داخل قطاع الصناعة التحويلية في هذا الاقليم من العالم ، فقد انخفض من ٨٥٪ في الفترة من ١٩٦٥ وحتى ١٩٨٠ الى مجرد ٣٠٪ خلال السنوات من ١٩٨٠ الى ١٩٨٦ (٢٠) • ولعل هذا النمو المتواضع للناتج المحلي في قطاع الصناعة التحويلية يعكس بوضوح مدى ضعف الاداء الاقتصادي في هذا القطاع • فما هي أذن الاسباب التي يمكن أن تفسر هذا الانحدار في معدل نمو الناتج الصناعي التحويلي ؟

ثانيا : الاسباب المسئولة عن ضعف أداء قطاع الصناعات التحويلية :

ان البحث الدقيق عن تفسير مرضي للارزمة الاقتصادية التي يعاني منها قطاع الصناعة التحويلية في افريقيا جنوب الصحراء يجب أن يأخذ في اعتبارها المشكلات الداخلية الى جانب العوامل الخارجية •

١ - سبق الإشارة الى أن الروابط بين قطاعى الزراعة والصناعة التحويلية فى افريقيا تتسم بأهمية خاصة ، فقد أدى ضعف الإنتاج الزراعى الى اعاقه نمو الصناعات التحويلية وذلك من زاويتين :

(أ) أن القطاع الزراعى لم يستطع امداد الصناعات القائمة على الزراعة باحتياجاتها من المواد الخام وذلك لنقص الإنتاج فى العديد من المحاصيل كالحبوب الزيتية وقصب السكر والقطن .

(ب) أدى ضعف القطاع الزراعى الى انخفاض دخول المزارعين ، فنقصت القوة الشرائية بين أيديهم مما أدى الى ضغط طلبهم على السلع الاستهلاكية وعلى مستلزمات الإنتاج الصناعية .

٢ - اتجه المستهلكين فى دول افريقيا جنوب الصحراء الى تفضيل المنتجات المستوردة على السلع المنتجة محليا وذلك عندما تتوافر لديهم حرية الاختيار ، مما أدى الى ضيق نطاق السوق المحلى أمام الصناعات الناشئة . ولعلاج هذا الوضع فرضت حكومات الدول الافريقية قيودا على المنافسة الاجنبية ، مما أدى الى خلق هياكل انتاجية مغلقة جامدة مرتفعة التكاليف لم تعد تستطيع أن تنمو بدون هذه الحماية .

٣ - أن انخفاض غائدت الصادرات المشار اليه سابقا ، قد أضر بقطاع الصناعات التحويلية وذلك من زاويتين .

(أ) فمن ناحية أحدث انخفاض حصيلة الصادرات تخفيضا كبيرا فى الواردات من المواد الخام وقطع الغيار . ومن الملاحظ أن المواد الخام الأساسية المستوردة قتبصل فى بعض الأحيان الى نسبة ١٠٠٪ من مدخلات الإنتاج بالنسبة للعديد من الصناعات الثقيلة فى بعض الدول الافريقية . كما أن انتاج السلع الاستهلاكية التقليدية كالجبين والزيت النباتى والدقيق والسكر المكرر والاحذية والاسمنت يحتاج الى مكون أجنسى من المواد الخام يصل الى ٢٥٪ من مدخلات الانتاج الكلية (٣) .

(ب) ومن ناحية أخرى ، أدت ندرة النقد الاجنبي الى تخفيض الواردات من البترول مما أثر تأثيرا مباشرا على معدلات التشغيل بالمصانع ، كما أثر تأثيرا غير مباشر من خلال الاعطال التي تعرض لها مرفق النقل وهذا أدى بدوره الى عدم حصول هذه المصانع على احتياجاتها من المواد الخام بصفة منتظمة وعدم قدرتها على توزيع منتجاتها في الوقت المناسب .

وقد أدى تكاتف هذه العوامل الداخلية والخارجية الى تخفيض معدلات استخدام الطاقة الانتاجية القصوى بحيث تراوحت بين ٢٠٪ ، ٦٠٪ (٣٠) .

وعلى سبيل المثال نذكر أن جمهورية تنزانيا المتحدة التي تبنت تطبيق برنامج صناعي طموح منذ عام ١٩٧٤ (٣٤) . وصلت معدلات استخدام الطاقة الانتاجية في قطاع الصناعات التحويلية بها الى نسبة تراوحت بين ٢٠ ، ٣٠٪ (٣٥) .

المبحث الثاني

الزيادة السكانية

يتمثل الوجه الثاني للمشكلة الاقتصادية في دول افريقيا جنوب الصحراء في افراط الزيادة السكانية والتي تؤدي الى زيادة حجم الحاجات المراد اشباعها من سلع وخدمات . وفي هذا المبحث نحاول الاجابة على السؤال التالي : الى أي مدى يوجد افراط في الزيادة السكانية في دول افريقيا جنوب الصحراء ؟

الا أنه قبل الاجابة على هذا السؤال يجدر بنا أولا استعراض حجم المشكلة السكانية . وعليه فان موضوع هذا المبحث ينقسم الى نقطتين

أولا : حجم المشكلة السكانية .

ثانيا : مدى وجود افراط في الزيادة السكانية .

المطلب الاول

حجم المشكلة السكانية

يوضح الجدول التالى التغيرات التى طرأت على نمو السكان فى العالم

الجدول رقم (٢٠١)

نمو السكان فى العالم

سكان ١٩٨٦ النمو السنوى المتوسط (فى المائة)				مجموعة البلدان
٢٠٠٠-٩٠	١٩٨٦-٨٠	١٩٧٣-٦٥	بالملايين	
١,٩	٢,٠	٢,١	٣٥٢٨	مجموع البلدان النامية
				بلدان أفريقيا جنوب
٣,٢	٣,١	٢,٨	٣٩٩	الصحراء
٠,٤	٠,٦	٠,٧	٧٤٢	البلدان الصناعية
١,٧	١,٨	١,٩	٤٢٩٠	العالم

المصدر : البنك الدولى « تقرير التنمية فى العالم ١٩٨٨ » ترجمة مركز

الاهرام والنشر ، مؤسسة الاهرام القاهرة ، ص ٢١٥ •

تعانى معظم دول أفريقيا جنوب الصحراء من نمو سكاني مفرط مما يعوق قدرة حكومات هذه الدول عن تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية ، وايجاد البنية الاساسية السليمة المادية والبشرية • وفى الحقيقة لا توجد مواءمة بين الزيادة السكانية وزيادة الموارد الاقتصادية ، المستغلة • وفى عام ١٩٨٦ م • وصل سكان دول افريقيا جنوب الصحراء حوالى ٣٩٩ مليون نسمة أى بنسبة ٩٣٪ من سكان العالم فى حين أن نصيب

هذه الدول من الناتج القومي في العالم لا يتعدى ٢.٦٪ ، أما معدل نمو السكان في أفريقيا جنوب الصحراء فنجد أنه يتسم بخاصيتين (راجع الجدول رقم ٢٠١) • فمن ناحية نجد أن معدل النمو السنوي للسكان في أفريقيا جنوب الصحراء أعلى من معدل نمو سكان العالم وسكان الدول الصناعية وسكان البلاد النامية وذلك خلال الفترة من ١٩٦٥ وحتى ٢٠٠٠ ومن ناحية أخرى نجد أنه في حين تتجه — معدلات نمو السكان في العالم وفي البلاد الصناعية وفي مجموع البلاد النامية نحو الانخفاض المستمر ، نجد أن معدل نمو السكان في أفريقيا جنوب الصحراء يتجه نحو الارتفاع فقد ارتفع هذا المعدل من ٢.٨٪ في الفترة من ١٩٦٥ وحتى ١٩٧٣ الى ٣.١٪ في خلال السنوات من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٦ ، ومن المتوقع أن يصل الى ٣.٢٪ خلال السنوات ١٩٩٠ وحتى سنة ٢٠٠٠ • ويرجع هذا الارتفاع الكبير في أفريقيا الى ارتفاع معدلات المواليد والتي تعادل ٤٨ في الالف والانخفاض النسبي لمعدلات الوفيات وخاصة الاطفال من ٢٢ في الالف عام ١٩٦٥ الى ١٦ في الالف عام ١٩٨٦ • وذلك باستثناء بعض الدول التي مازالت تحتفظ بمعدل وفيات مرتفع مثل اثيوبيا (١٩ في الالف) ، بوركينا فاسو (١٩ في الالف) ، النيجر ، (٢١ في الالف) ، غينيا (٢٣ في الالف) وتشاد (٢٠ في الالف) (٢٦) •

ولكن الى أي مدى يمكن القول أن هذه الزيادة السكانية في أفريقيا جنوب الصحراء تعتبر زيادة مفرطة ؟ أن الاجابة على هذا السؤال تنقلنا الى النقطة الثانية في هذا الموضوع •

المطلب الثاني

مدى وجود افراط في الزيادة السكانية

للإجابة على هذا السؤال نستعرض الانواع الاربعة للزيادة السكانية المفرطة التي ذكرها الاقتصادي آرثر لويس ونقف على مدى انطباقها على أفريقيا جنوب الصحراء •

من المعروف أن أرثر لويسن وضع أن هناك أربعة أنواع للزيادة السكانية المفرطة : —

أولا : توجد زيادة سكانية مفرطة عندما يستهلك البلد النامي موارده الاقتصادية غير المتجددة بمعدلات مغالى فيها • فالضغط السكاني يقود بلاد العالم الثالث الى الاستغلال المكثف للأراضي الزراعية بما يحتويه من قطع مساحات كبيرة من الغابات والقضاء على المراعى الخضراء ولا يخفى على أحد الآثار المحتملة من هذا الامر على الاحوال المناخية وتآكل التربة الزراعية وانجرافها ونجد أن هذا النوع من الزيادة السكانية المفرطة ينطبق على معظم دول افريقيا جنوب الصحراء • ففي محاولاتهم للوفاء بالاحتياجات من الغذاء ، يلجأ سكان الريف في افريقيا الى اساءة استخدام الاراضى والافراط في هذا الاستخدام وامتداد الزراعة الى الغابات والمناطق ذات الامكانيات الحدية والايكولوجية الهشة • بالإضافة الى ذلك يلجأون الى الرعى المفرط في المراعى الاخذة في التقلص • ولعل ما يزيد من استفحال تآكل التربة وزوال الغابات والاحراج ، الاعتماد الكبير على الوقود الخشبي تحت ضغط الكثافة السكانية وعدم توافر مصادر الطاقة البديلة أو عدم العمل على تجديد هذه الغابات •

ثانيا : توجد زيادة سكانية مفرطة ، واذا كانت مضار هذه الزيادة تفوق فوائدها • فالزيادة السكانية تؤدي الى زيادة حجم السوق • الامر الذى يسهل تقسيم العمل واحداث التخصص وبالتالي زيادة الانتاجية • وعلى العكس فان الزيادة السكانية تؤدي الى زيادة الاقبال على زراعة اراضى قليلة الخصوبة والقيام باستثمارات مكلفة في قطاع البنية الاساسية هذا بالإضافة الى زيادة تكاليف الخدمات العامة • وبالنظر الى الزيادة السكانية في افريقيا جنوب الصحراء يمكن أن نسوق الملاحظات الآتية :

١ — لم تؤد الزيادة السكانية الى زيادة حجم السوق بالنسبة للسلع الاستهلاكية المصنعة لان اتساع نطاق السوق يتوقف على دخل الفرد الحقيقي أكثر من اعتماده على زيادة السكان • وبالتالي فان

انخفاض دخل الفرد الحقيقي في افريقيا جنوب الصحراء ، قد الغى تأثير الزيادة السكانية على اتساع نطاق السوق .

٢ - اذا كانت الزيادة السكانية قد أدت الى زيادة عرض العمل في افريقيا جنوب الصحراء ، فانها لم تتسبب في رفع الانتاجية التي تتوقف بصفة رئيسية على توافر عنصر رأس المال ومستوى الفن الانتاجي . وللدلالة على ذلك نذكر أن انتاجية العمل في قطاع الزراعة في البلاد المتقدمة تتفوق بمقدار ٢٦ مرة عن تلك الانتاجية المتحصل عليها في البلاد النامية في عام ١٩٨٠ . ومن المنتظر أن ترتفع هذه النسبة الى ٤١ : ١ بحلول عام ٢٠٠٠ (٢٧) .

٣ - تؤدي الزيادة السكانية الى زيادة الطلب على المرافق الاساسية مما يؤدي الى تدهورها وارتفاع تكاليف انتاجها وزيادة المبالغ المالية المخصصة لانشائها أو صيانتها . فعلى سبيل المثال ، نجد أن سكان دولة نيجيريا بلغ عددهم ١٠٣ مليون نسمة عام ١٩٨٦ بمعدل زيادة سنوية مقدارها ٣٣٪ (٢٨) . وهذه الزيادة السكانية أدت الى زيادة الضغط على مشروعات البنية الاساسية مثل الماء والكهرباء والنقل والاتصالات السلكية واللاسلكية والصرف الصحي . وكانت النتيجة انقطاع هذه الخدمات أو رداءة نوعيتها في حالة توافرها (٢٩) . كما أن ٣٥٪ من سكان الحضر في دول افريقيا جنوب الصحراء لا يجدون المياه الصالحة للشرب في حدود ٢٠٠ متر من مسكنهم (٣٠) .

ثالثا : توجد زيادة سكانية اذا لم يتمكن اقليم الدولة من الوفاء بالحاجات الغذائية للسكان . ولعل هذا المفهوم يمثل المعيار الشائع الاستخدام للتعبير عن الافراط في الزيادة السكانية . فالجوع وسوء التغذية يتم ارجاعهما الى زيادة السكان بصفة رئيسية . ومن الملاحظ أن هذا المعيار للافراط في الزيادة السكانية ينطبق على دول افريقيا جنوب الصحراء . ففي عام ١٩٨٦ كانت جميع الدول الافريقية جنوب الصحراء مستوردة للحبوب الغذائية ، وقد بلغ نصيب هذه الدول

٣٤٧٪ في عام ١٩٨٦ (٣١) • حقيقة الامر تؤدي الزيادة السكانية المفرطة الى ارتفاع عدد الافراد المطلوب تغذيتهم • ونظرا لان بلدان افريقيا جنوب الصحراء لا تتوافر لديهم المقدرة على انتاج المزيد من المواد الغذائية في الوقت الحاضر ، فان الفجوة بين عرض وطلب الغذاء تتسع مما يؤدي الى زيادة واردات الغذاء من الخارج • وهذا هو جوهر المشكلة لان دول هذا الاقليم من العالم لا يتوافر لديها النقد الاجنبي اللازم لتمويل تلك الواردات مما يدفعها الى الاستدانة من الخارج • وهذا الدين الخارجي من أجل الاستهلاك يعتبر أخطر أنواع المديونيات لانه لا يساهم في زيادة الطاقة الانتاجية للدولة المقترضة • بالإضافة الى ما سبق نجد أن انفجار النمو السكاني في دول افريقيا جنوب الصحراء يؤدي الى ارتفاع عدد ضحايا سوء التغذية ، فمتوسط الرقم القياسي لنصيب الفرد من الغذاء قد انخفض من ١٠٠ خلال السنوات من ١٩٧٩ حتى ١٩٨١ م • الى ٩٧ خلال السنوات من ١٩٧٤ حتى ١٩٨٦ (٣٢) • ويؤدي انخفاض نصيب الفرد من الغذاء في افريقيا جنوب الصحراء الى تدهور المستوى الصحي للسكان وانخفاض الانتاجية مما يؤثر سلبا على معدلات النمو الاقتصادي •

هذا وتجدر الاشارة الى أن ظاهرة الجوع وسوء التغذية في بعض الدول الافريقية كالسودان يكمن ارجاعها ليس الى الزيادة السكانية ولكن الى عدم استغلال أو سوء استغلال الاراضي الزراعية •

رابعا : تكون هناك زيادة سكانية مفرطة اذا لم ينتج عن الزيادة السكانية زيادة مماثلة في الناتج القومي ويستتبع هذا المفهوم أن تكون الانتاجية الحدية لعنصر العمل مساوية للصفر ، كما وأن الزيادة السكانية تترجم في صورة زيادة البطالة المقنعة • وبالنظر الى وضع الزيادة السكانية في افريقيا جنوب الصحراء نجد أن معدل النمو السكاني يفوق معدل زيادة الناتج المحلي الاجمالي ابتداء من عام ١٩٨٠ كما يتضح من الجدول •

جدول رقم (١٠١)

معدلات نمو السكان والنتائج المحلى الاجمالى

في بلدان افريقيا جنوب الصحراء

البيان	١٩٧٣-٦٥	١٩٨٠-٧٣	١٩٨٦-٨٠
معدل نمو السكان	٢,٧	٢,٨	٣,١
معدل نمو الناتج المحلى الاجمالى	٦,٦	٣,٣	١,٥

المصدر : البنك الدولى : « تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٨ »
ترجمة مركز الاهرام للترجمة واليشر مؤسسة الاهرام ، القاهرة ،
١٩٨٨ ص ١٢٥ •

يتضح لنا من الجدول السابق أن معدل نمو نصيب الفرد من الناتج
المحلى الاجمالى يتناقض باستمرار فبعد أن كان ٣١٪ في الفترة من —
١٩٦٥ وحتى ١٩٧٣ ، انخفض الى ٥٠٪ خلال السنوات من ١٩٧٣
الى ١٩٨٠ سالبا بمقدار ٤٦٪ خلال الفترة من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٦ •

بالاضافة الى ما سبق يمكن القول أن الزيادة السكانية المفرطة
تمتص جزءا هاما من زيادة الناتج القومى يعوق عملية التراكم الرأسمالى •
فمن المعروف أن الزيادة في الدخل القومى يتم التصرف فيها أما بالانفاق
على الاستهلاك أو بالادخار الذى يتحول الى استثمار • وبالتالي فان
زيادة الاستهلاك تحت ضغط الزيادة السكانية يؤدي الى تناقض ذلك
المقدر من الدخل القومى الموجه لزيادة المدخرات مما يتسبب في تدهور
معدلات التراكم الرأسمالى أو الاقتصار من الخارج لتمويل
الاستثمارات ، وفي كلتا الحالتين يتعثر النمو الاقتصادى • فمن الملاحظ
أن معدل الادخار في دول — افريقيا جنوب الصحراء يساوى ١١٪

فقط في عام ١٩٨٦ وهو أقل بكثير من معدل الادخار بالنسبة لمجموع البلدان النامية يساوي ٢٤.٠٪ في نفس العام • وعلاوة على ذلك نجد أن معدل الادخار بالنسبة لدول إفريقيا جنوب الصحراء قد انخفض من ١٥.٪ في عام ١٩٦٥ الى ١١.٪ في عام ١٩٨٦ (٣٣) •

مما سبق نخلص إلى أن الزيادة السكانية تمثل قيوداً خطيراً على تنمية بلدان إفريقيا جنوب الصحراء • فالمشاهدات الواقعية تثبت أن زيادة السكان بمعدلات مرتفعة فرضت ضغطاً كبيراً على السكان بمعدلات مرتفعة فرضت ضغطاً كبيراً على مقدرة حكومات هذه الدول على توفير الخدمات الاجتماعية والمرافق الأساسية وعرقلت الجهود الرامية إلى رفع مستوى المعيشة وزيادة الواردات من المواد الغذائية وارتفاع حجم المديونية من الخارج •

المبحث الثالث

تفاقم أزمة المديونية الخارجية

نتج عن المشكلة الاقتصادية التي تعاني منها دول إفريقيا جنوب الصحراء أن شهدت هذه المنطقة ارتفاعاً كبيراً في حجم مديونيتها الخارجية خلال سنوات الثمانينات • ولهذا السبب توقف عدد ليس بالقليل من هذه الدول عن سداد ديونه ولجأ إلى إعادة الجدولة للعديد من المرات • فطبقاً لتقارير صندوق الدولي يتضح أن اثني عشرة دولة فقط من بين الأربع والأربعين دولة إفريقية جنوب الصحراء استطاعت أن تسدد التزامات ديونها الخارجية دون اللجوء إلى تراكم التأخرات أو إلى عمليات إعادة الجدولة وذلك خلال الفترة من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٧ (٣٤) • وأمام هذا الوضع المتدهور تقدمت الأطراف الدائنة بمبادرات جادة ولكنها غير كافية لعلاج أزمة الدين الخارجي لهذه المنطقة من العالم ، ونستعرض فيما يلي : —

- ١ — تطور حجم المديونية الخارجية لدول إفريقيا جنوب الصحراء •
- ٢ — المبادرات المطروحة لعلاج أزمة المديونية الخارجية لهذه الدول •

المطلب الاول

تطور حجم المديونية الخارجية

تؤكد احصائيات صندوق النقد الدولي المنشورة حديثا مدى خطورة واستمرارية تدهور أزمة الدين الخارجى فى دول افريقيا جنوب الصحراء ، راجع فى ذلك بيانات الجدول رقم (٣٠١) والجدول رقم (٣٠٢) .

جدول رقم (٣٠١)

الدين الخارجى لافريقيا جنوب الصحراء

السنة	حجم الدين الخارجى ببلايين الدولارات الامريكية	الدين الخارجى كنسبة من الناتج المحلى الإجمالى	الدين الخارجى كنسبة من صادرات السلع والخدمات
١٩٨٠	٥٧,٥	٣٨,٦	٩٣,٦
١٩٨١	٦٨,١	٤٣,١	١٣٧,٤
١٩٨٢	٨٠,٢	٤٩,٣	١٨٩,٨
١٩٨٣	٩٠,٦	٥١,٨	٢٢٦,٥
١٩٨٤	٩٣,٤	٥٤,٩	٢١٥,٩
١٩٨٥	١٠٦,٦	٦١,٤	٢٤٨,٤
١٩٨٦	١٢٢,٤	٦١,٦	٣٣٠,١
١٩٨٧	١٣٧,٨	٦٩,٠	٥٥,٤

المصدر :

United Nations Africa Recovery, vol. 2no. 3, August 1988.

p. 9. Also : IMF, IMF survey, supplement of June 1988.

جدول رقم (٣٠٢)

هيكل الدين الخارجى لافريقيا جنوب الصحراء

« نسبة مئوية من الاجمالى ، نهاية ١٩٨٧ »

النسبة المئوية	الدائنون
٣٩,٢	١ - الديون الثنائية
١٨,٥	٢ - ديون المنظمات الدولية
١٣,٨	٣ - ديون المؤسسات المالية الخاصة
٥,٤	٤ - ديون أخرى مضمونة ضمانا عاما
٤,٢	٥ - ديون متوسطة وطويلة الاجل غير مضمونة ضمانا عاما
٥,٢	٦ - تسهيلات صندوق النقد الدولى
٧,٩	٧ - المتأخرات
٥,٨	٨ - قروض قصيرة الاجل

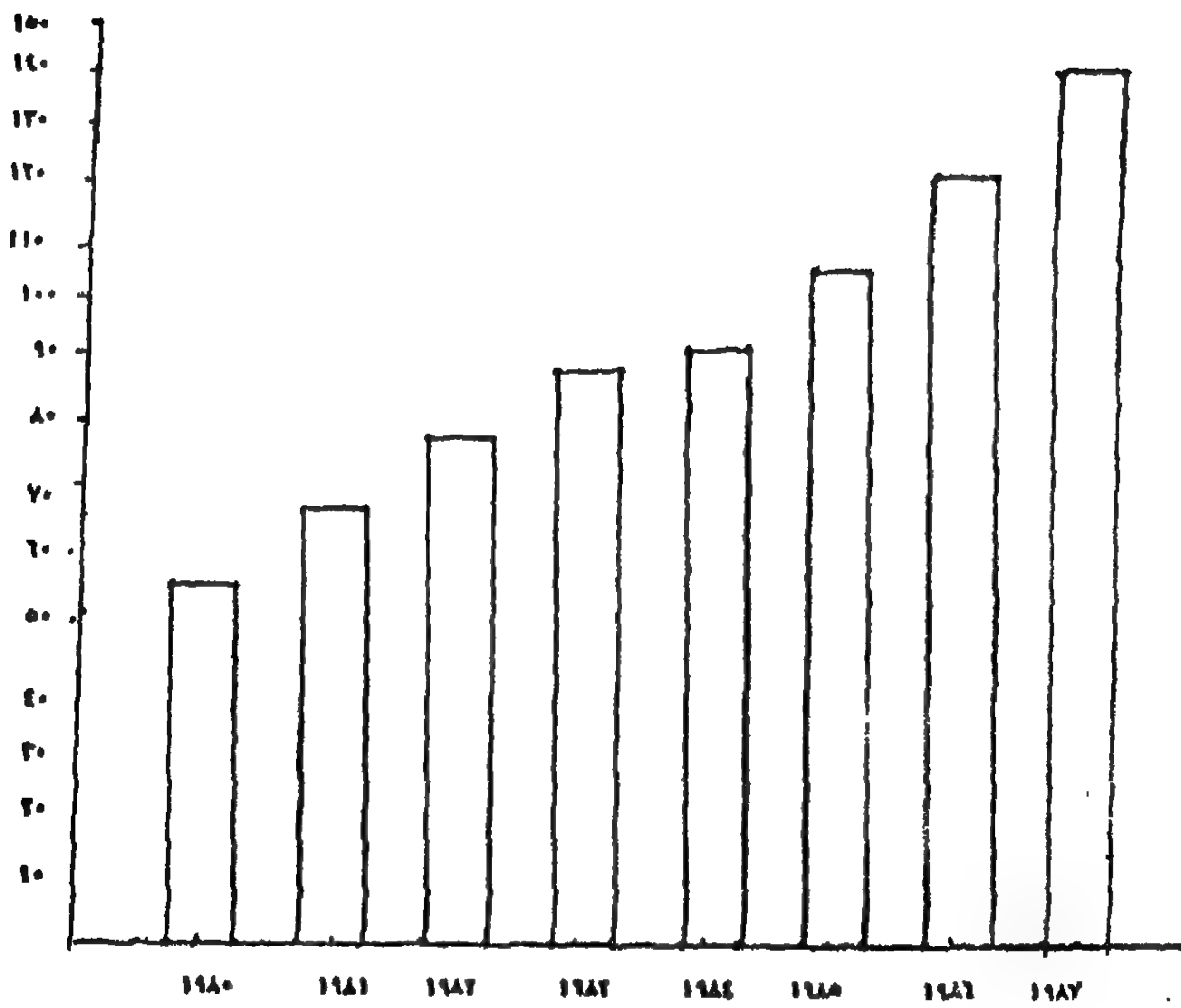
المصدر :

United Nations Africa Recovery Vol. 2, no. 3, August 1988, p. 8

p. 8.

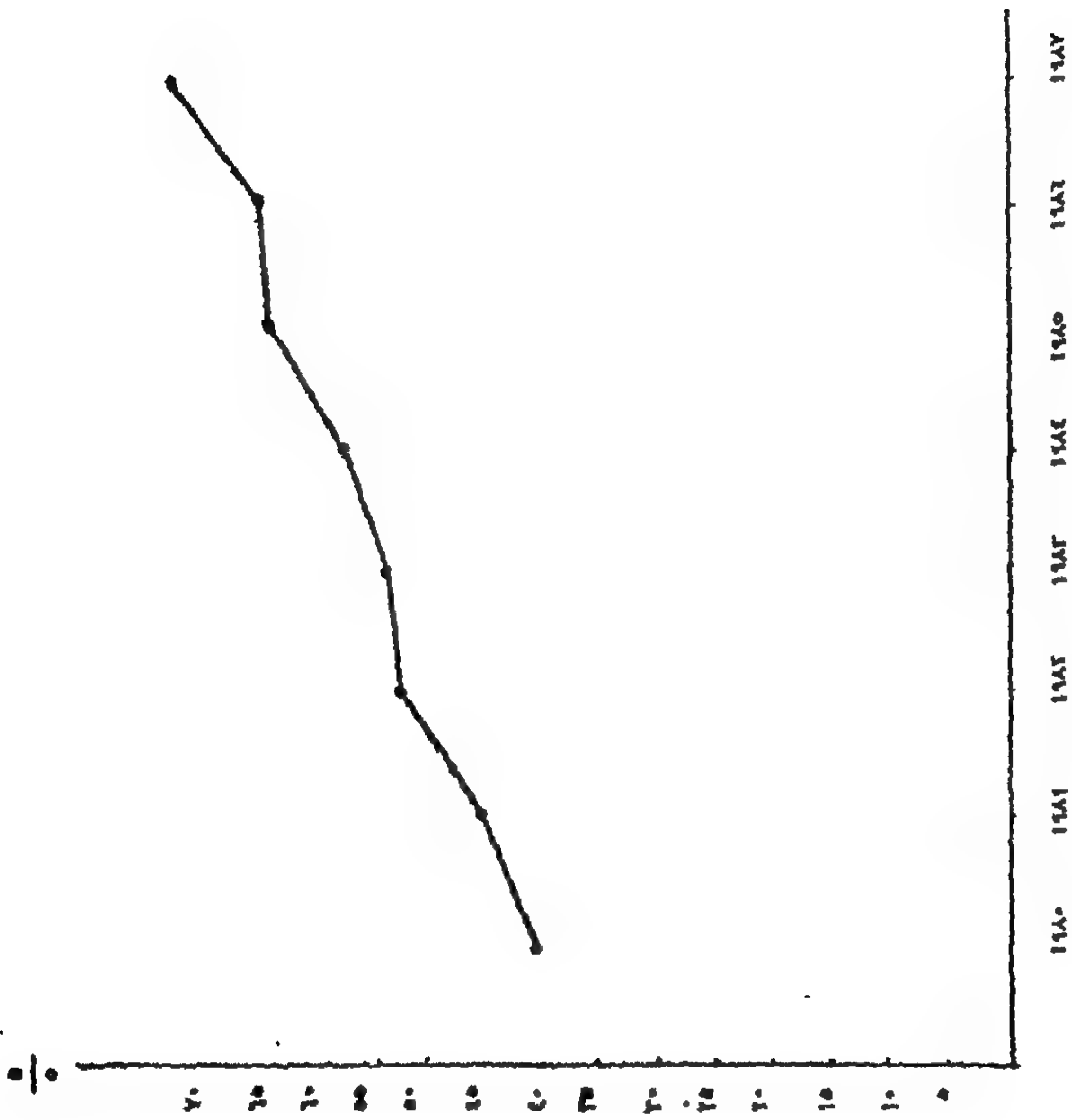
شكل رقم (١)

حجم الدين الخارجى لدول افريقيا جنوب الصحراء
ببلايين الدولارات الامريكية



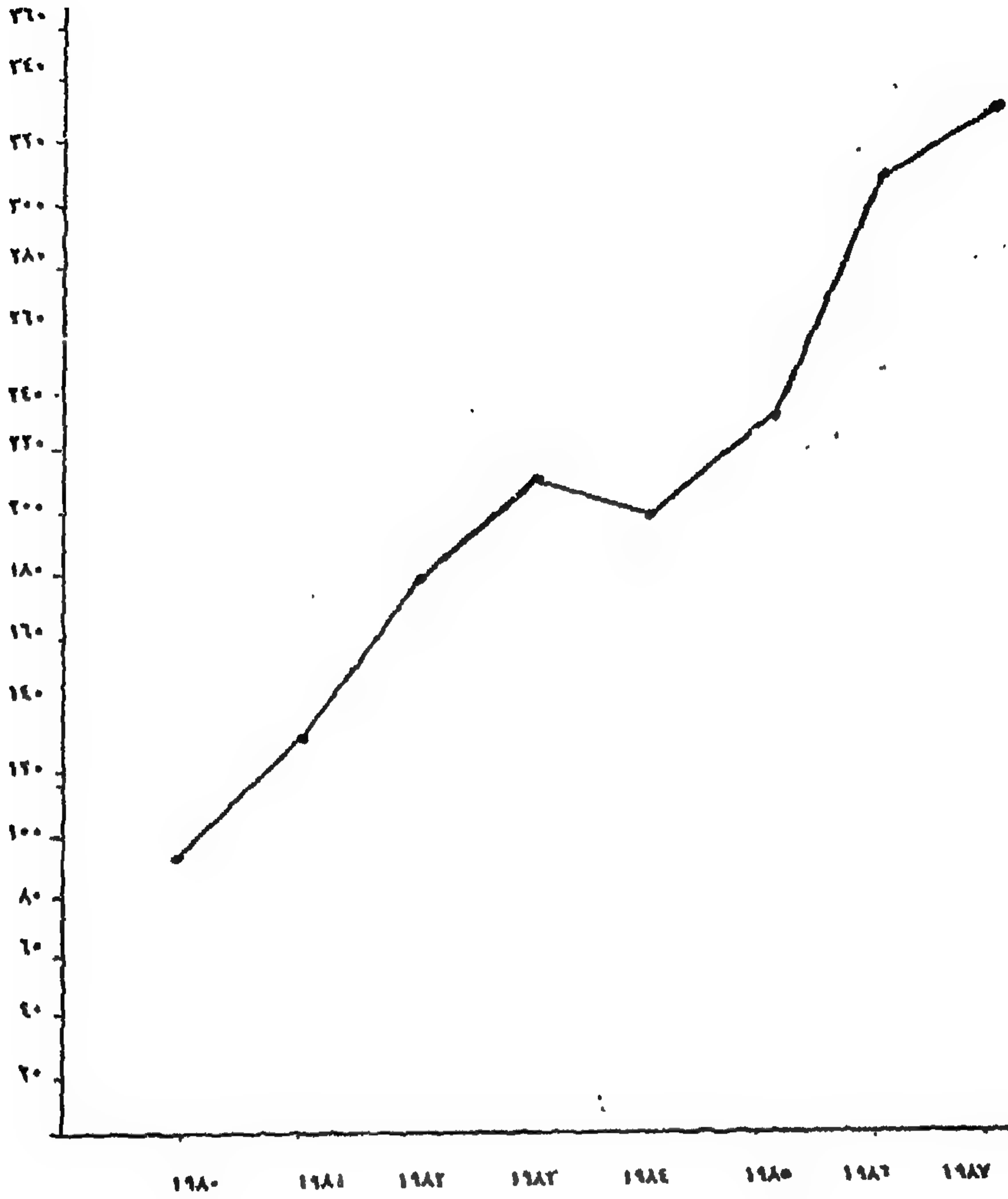
شكل رقم (٢)

نسبة الدين الخارجى الى الناتج المحلى الاجمالى
لدول افريقيا جنوب الصحراء



شكل رقم (٣)

نسبة الدين الخارجى الى صادرات السلع والخدمات
لدول افريقيا جنوب الصحراء



يتضح من الجدول رقم (٣٠١) أن قيمة الدين الخارجى لدول افريقيا جنوب الصحراء — بما فى ذلك المتأخرات وتسهيلات صندوق النقد الدولى — قد ارتفعت من ٥٧ر٥ بليون دولار فى عام ١٩٨٠ الى ١٣٧ر٨ بليون دولار فى عام ١٩٨٧ • ويعنى هذا التطور حدوث زيادة فى قيمة الدين الخارجى بنسبة ٢٤٠٪ خلال سبع سنوات فقط • وتزداد خطورة موقف الدين الخارجى لافريقيا جنوب الصحراء ، اذا علمنا أن قيمة الناتج المحلى الاجمالى وقيمة الصادرات قد ترايدتا بمعدلات ضعيفة ، بل كانتا سالبتين فى بعض السنوات •

ونتيجة لذلك ، ارتفعت نسبة الدين الخارجى الى الناتج المحلى الاجمالى من ٣٨ر٦٪ فى عام ١٩٨٠ الى ٦٩٪ فى عام ١٩٨٧ ، أى أنه اذا ارادت دول افريقيا جنوب الصحراء التخلص من ديونها الخارجية دفعة واحدة ، عليها أن تتخلى عن ٦٩٪ من ناتجها المحلى الاجمالى ، راجع فى ذلك بيانات الجدول رقم (٣٠١) • ويلاحظ أن نسبة الدين الخارجى الى الناتج المحلى الاجمالى قد زادت بكثير عن ذلك بالنسبة لبعض الدول الافريقية جنوب الصحراء • فقد وصلت الى ٨١ر٦٪ بالنسبة لقتزانيا ، ٩٣ر٧٪ بالنسبة لتوجو ، ٩٥ر٦٪ بالنسبة لمالى ، ٩٥ر٩٪ بالنسبة للسودان ٩٩٪ بالنسبة لليبيريا ، ١٠٦ر٨٪ بالنسبة لساحل العاج ، ١٥٢ر١٪ بالنسبة للكونغو (٣٥) •

بالإضافة الى ذلك فان نسبة الدين الخارجى الى صادرات السلع والخدمات والتي تعد مؤشرا لقدرة الدولة على الوفاء بالتزاماتها تجاه الدائنين قد ارتفعت من ٩٣ر٦٪ فى عام ١٩٨٠ الى ٣٥٥ر٤٪ فى عام ١٩٨٧ ، أى أنها سجلت تدهورا بمعدل ٢٨٠٪ خلال الفترة من عام ١٩٨٠ الى عام ١٩٨٧ • ومن الملاحظ أن هذه النسبة أعلى من نسبة الزيادة فى قيمة الدين الخارجى والتي وصلت الى ٢٤٠٪ ، مما يعكس التدهور الكبير فى قيمة الصادرات من السلع والخدمات • ومن الملاحظ أن نسبة الدين الخارجى الى صادرات السلع والخدمات قد

تعدت ١٠٠٠٪ في عام ١٩٨٧ بالنسبة لبعض الدول مثل غينيا - بيساو ،
موزمبيق ، الصومال ، السودان (٣٦) .

وتظهر خطورة الحجم الذى وصلت اليه المديونية الخارجية لدول
افريقيا جنوب الصحراء في تهديد فرص زيادة معدلات النمو الاقتصادى
والارتقاء بمستوى المعيشية وعلاج مشكلة الركود والبطالة والتضخم
ويرجع ذلك الى الاسباب الآتية : -

١ - أن اعباء خدمة الدين الخارجى تلتهم جزءا كبيرا من حصة
صادرات السلع والخدمات لدول هذه المنطقة . فقد استوعبت هذه
الاعباء ٢٩٦٪ من حصة صادرات السلع والخدمات لدول افريقيا
جنوب الصحراء في عام ١٩٨٦ و ٢٦٤٪ في عام ١٩٨٧ . ويرجع انخفاض
هذه النسبة في عام ١٩٨٧ الى سببين (٣٧) :

(أ) زيادة عمليات اعادة الجدولة للديون المستحقة .

(ب) عمليات اعلانات الدين الواسعة التى تلقتها بلدان افريقيا
منخفضة الدخل .

هذا ومن المنتظر أن تصل نسبة اعباء خدمة الدين الخارجى الى
اجمالى الصادرات الى ٥٤٪ في عام ١٩٨٩ (٣٨) .

أن ارتفاع اعباء خدمة الدين الخارجى أدت الى تخفيض كمية
وسائل الدفع اللازمة لشراء الواردات ، مما أدى الى حرمان قطاعى
الصناعة والزراعة من الحصول على احتياجاتها من مدخلات الانتاج
المستوردة ، هذا بالإضافة الى اعاقه تنفيذ الاستثمارات الجديدة
وتخفيض قدرة البلاد الافريقية على المحافظة والصيانة لرأس المال
الموجود من قبل . وأخيرا أدى ارتفاع اعباء خدمة الدين الخارجى الى
تخفيض مستويات الاستهلاك وقهر الباعث على بذل مجهودات تنموية
كبيرة . وقد ساهمت كل هذه العوامل مجتمعة فى تخفيض قدرة البلاد
الافريقية جنوب الصحراء على زيادة الصادرات . ونتيجة لذلك ، دخلت

هذه البلاد في دائرة مفرغة سببها الاساسى يرجع الى تضخم حجم الدين الخارجى واعباء الوفاء به .

٢ — تعاني دول افريقيا جنوب الصحراء من جمود هياكلها الاقتصادية وتخصصها في انتاج وتصدير عدد قليل من السلع الاولى الزراعية والمعدنية ، وهذا لا يسمح لها بتنوع وزيادة الانتاج . ونتيجة لذلك تتضأل فرص هذه الدول في زيادة حصيلة الصادرات وتحسين وضع موازين مدفوعاتها وزيادة قدرتها الذاتية على الوفاء بالتزامات دينها الخارجى في مواعيد استحقاقها .

٣ — أن الجهد الدولى المبذول لايجاد حلولاً لأزمة تفاقم الدين الخارجى لدول افريقيا جنوب الصحراء يعتبر ضعيفا كما سنرى في المطلب لثانى من هذا البحث فبينما نجد أن البحث عن حلول لأزمة الدين الخارجى لدول أمريكا اللاتينية يلقى اهتماما خاصا من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، نرى في نفس الوقت توجه غير كاف من الدول السبع الصناعية الكبرى ومن قبل المنظمات الدولية نحو ايجاد حلول جزرية لازمة الدين الخارجى للدول الافريقية . علاوة على ذلك نجد أن الدول الافريقية لا تملك حتى الآن برنامجا متكاملا وجماعيا لمواجهة ازمة المديونية الخارجية .

ومن الملاحظ أن فرصة ايجاد حلول لازمة الدين الخارجى لدول افريقيا جنوب الصحراء تعتبر أكثر موثاقا اذا قيس بوضع المديونية الخارجية لبقية اجزاء العالم الثالث . فبالنظر الى هيكل الدين الخارجى لدول افريقيا جنوب الصحراء ، نجد أن نصيب الحكومات والمنظمات الدولية وصل الى ٥٧.٧٪ من اجمالى المديونية الخارجية في عام ١٩٨٧ (راجع بيانات الجدول رقم ٣٠٢) . ومن البديهي أن النجاح في ايجاد الحلول لهذه الديون الرسمية يعتبر أكثر احتمالا وأيسر حالا منه فيما لو كانت النسبة الكبرى من المديونية تستحق لبنوك مؤسسات تجارية ومالية ، أى ديون غير رسمية فعلى سبيل المثال أن المؤسسات المالية والتجارية الخاصة أقل استعدادا من الدائنين الرسميين لقبول اقتراحات

الاعفاء من الدين أو الغاء الفوائد بالاضافة الى ذلك فان عنصر المنحة متمثلا في « انخفاض معدل الفائدة + طول فترة السداد + وجود فترة سماح » يكون أكثر ارتفاعا في الديون الرسمية عنه في الدين المستحق لجهات غير رسمية .

المطلب الثاني

المبادرات المطروحة لعلاج أزمة المديونية الخارجية

أمام هذا الوضع الاقتصادي المتردى لدول افريقيا جنوب الصحراء بذلك جهات متعددة جهودا وفيرة ولكنها غير كافية لعلاج مشكلة المديونية الخارجية لهذه الدول وبصفة خاصة تلك الدول الافريقية ذات الدخل شديد الانخفاض ، نستعرض فيما يلي تقييم لهذه الجهود : —

أولا : على مستوى الديون الحكومية :

يمكن تقسيم مبادرات الدول الصناعية الدائنة الى نوعين : مبادرات تتملق بالاعفاءات وأخرى خاصة بمبادرات اعادة الجدولة .

١ — مبادرات الاعفاءات : يمكن تلخيص أهم هذه الاعفاءات في الآتي (٣٩) .

(أ) قيام حكومات كندا وهولندا بالغاء الديون المستحقة على الدول الافريقية منخفضة الدخل .

(ب) قيام حكومات المانيا الاتحادية وفرنسا والسويد بالغاء تسهيلات المصدرين المستحقة السداد .

(ج) قيام بلجيكا بقبول سداد الديون المستحقة بالعملات المحلية لدول افريقيا منخفضة الدخل المدينة .

(د) قيام اليابان بزيادة المنح بقصد تمويل سداد تسهيلات المصدرين المستحقة في مايو ١٩٨٩ •

(هـ) قيام فرنسا بإعلان خطة تقضى بإعفاء الدول الافريقية ذات الدخل المنخفض من ١/٣ الديون الثنائية المستحقة عليها •

(و) وأخيرا فقد قبلت الولايات المتحدة الامريكية مبدأ تخفيض الدين الخارجى وذلك من خلال خطة برادى •

وقد بلغت جملة الاعفاءات المشار اليها عاليا الى ٢٣ بليون دولار والتي ستساهم في تخفيض أعباء خدمة الدين الخارجى بمقدار ١٢٥ مليون دولارا أمريكيا سنويا • ومن الملاحظ أن هذا الرقم يقل بكثير عن احتياجات الدول الافريقية منخفضة الدخل • فقد قدرت احدى دراسات البنك الدولى أن احتياجات الدول الافريقية منخفضة الدخل تقدر بحوالى ١٢ بليون دولارا أمريكيا حتى تتمكن هذه الدول من تخفيف أزمة الدين الخارجى وجعل أعباء هذا الدين في حدود يمكن الوفاء بها ذاتيا (٤٠) •

٢ — مبادرات إعادة الجدولة :

منذ عام ١٩٨٧ ، قامت مجموعة دول منظمة للتعاون الاقتصادى والتنمية (OECD) بتسهيل شروطها لاعادة الجدولة الرسمية من خلال نادى باريس • فقد شهد حلول ابريل ١٩٨٧ ادخال فترات سماح على مدفوعات الدين تصل الى خمس سنوات ، وأطالة أجل السداد ليتراوح بين ١٠ ، ٢٠ سنة (٤١) • وتجدر الإشارة الى أن الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الاتحادية ظلتا تعارض بصفة مستمرة أى اتجاه نحو تخفيف حقيقى لازمة المديونية الخارجية مثل إلغاء الفوائد المستحقة وقصر السداد على أصل الدين أو تعديل شروط إعادة الجدولة ، الا أنه منذ سبتمبر ١٩٨٨ قبلت هاتان الدولتان مبدأ اقرار فترة سماح تصل الى ١٤ سنة ومد فترة السداد لتصل الى ٢٥ سنة قابلة للزيادة وذلك

بالنسبة للديون الثنائية مع ادخال معدلات فائدة منخفضة • ويشترط للاستفادة من هذه التسهيلات التزام الدولة المدينة المستفيدة بتنفيذ برامج تكييف اقتصادية هيكلية يقرها صندوق النقد الدولي •

ومن الملاحظ على هذه التسهيلات أنها تعطي الدولة المدينة المتعثرة في دفع ديونها ، فسحة من الوقت لالتقاط الانفاس ، الا أنها تؤدي الى زيادة قيمة الدين عن طريق تراكم الفوائد • ويحدث هذا في الوقت الذي تعجز فيه الدول الافريقية المدينة عن سداد أصل الدين •

ثانيا : على مستوى المنظمات الدولية :

نتيجة لعجز الكثير من بلدان افريقيا جنوب الصحراء عن الوفاء بالتزامات خدمة الدين ، فقد أنشأ صندوق النقد الدولي تسهيلات ائتمانية جديدة ، كما قام البنك الدولي بتخفيض مدفوعات الفوائد وزيادة قروض مؤسسة التنمية الدولية للدول الافريقية منخفضة الدخل •

١ - صندوق النقد الدولي :

في استجابة جزئية للاوضاع الاقتصادية المتدهورة في البلدان ذات الدخل شديد الانخفاض ، أقام صندوق النقد الدولي نوعين من التسهيلات الائتمانية وذلك لتقديم مساعدات بشروط ميسرة •

(أ) في مارس ١٩٨٦ ، أقام الصندوق تسهيل التكييف الهيكلي

The Structural Adjustment Facility (SAF)

وقد بلغت الموارد المتاحة لهذا التسهيل ٢٧ بليون وحدة سحب خاصة (١ وحدة سحب خاصة = ١٢٤ دولار امريكي) • ويهدف هذا التسهيل الى تقديم مساعدات بشروط ميسرة للبلدان منخفضة الدخل التي تضطلع بتنفيذ برامج اقتصاد كلي وتكييف هيكلية شاملة (سعر نصف في المائة ، فترة سداد تصل الى عشر سنوات ، فترة سماح خمس سنوات ونصف) (٢) •

(ب) في ديسمبر ١٩٨٧ • استطاع صندوق النقد الدولي من الحصول على موارد مالية من البلدان الاعضاء وبصفة خاصة من مجموعة لدول الصناعية السبع بخلاف الولايات المتحدة الامريكية ومن المملكة العربية السعودية • وقد مكنت هذه المورد صندوق النقد الدولي من اقامة تسهيل التكيف الهيكلي الموسع •

The Enhanced Structural Adjustmen Facility (ESAF)

ويلاحظ أن تسهيل التكيف الهيكلي الموسع (ESAF) يتمتع بنفس شروط الاقراض الخاصة بتسهيل الكيف الهيكلي (SAF) لا أن قيمة القروض التي يتيحها التسهيل الاول للدول المدينة تعادل ثلاثة اضعاف ونصف قيمة القروض التي يتيحها التسهيل الثاني •

وتجدر الملاحظة الى أن عمليات التعهد بالقروض وعمليات السحب المتعلقة بهذين التسهيلين جاءت مخيبة للامال ففي خلال الفترة من مارس ١٩٨٦ الى مارس ١٩٨٩ ، بلغت تعهدات الاقراض المخصص لدول افريقيا جنوب الصحراء حوالي ١٦ بليون وحدة حقوق سحب خاصة ، ولم تتمكن هذه الدول الا من سحب مبلغ ٦٦٢ مليون وحدة حقوق سحب خاصة (٤٣) • كما أن تدفق ائتمان صندوق النقد الدولي لدول افريقيا جنوب الصحراء كان سلبيا في عامي ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ مع استحقاق الاقساط عن ترتيبات ديون الصندوق السابقة بمبلغ ٣ بليون دولارا امريكيا (٤٤) •

في واقع الامر كان برامج الاصلاح الاقتصادي التي يشترط الصندوق تطبيقها من قبل الدول التي ترغب في الحصول على تسهيلات الائتمانية ، غالبا لا تراعى الظروف الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية لهذه الدول ، مما يضطرها في النهاية الى رفضها أو عدم اكمال تنفيذها • ويهدف صندوق النقد الدولي من وراء تطبيق هذه البرامج الى تدعيم نمو المبادلات التجارية الدولية داخل اطار قوانين السوق الحر • كما يرى خبراء الصندوق أن تنفيذ هذه البرامج يحقق توازن الموازنة العامة ويحسن أوضاع موازين المدفوعات في البلد المتلقى لتسهيلات الصندوق

الائتمانية • ومن هنا تهدف برامج الصندوق الى تشجيع الانشطة التصديرية لتحقيق الهدفين الآتين : —

فمن ناحية تساعد زيادة الصادرات الدولة المدينة في الحصول على العملات الاجنبية من أجل دفع ديونها الخارجية ، ومن ناحية أخرى تعضد نظام دولي للمبادلات قائم على نظرية التكاليف النسبية •

وانطلاقا من هذه الفرضية نجد أن خبراء الصندوق ، صاغوا وصفاتهم العلاجية على النحو التالي (٤٥) •

— التدخل الحكومى لتخفيض الطلب المحلى عن طريق تخفيض اعانات الاستهلاك وتجميد الاجور وتخفيض حجم الاموال الموجهة لتنفيذ استثمارات غير انتاجية في المدى القصير •

— تحويل جزء من الثروة القومية التى تديرها الدولة أو القطاع العام الى القطاع الخاص وتشجيع هذا الاخير عن طريق الحوافز المالية والضريبية •

— تخفيض قيمة العملة الوطنية بهدف زيادة القوة التنافسية للصادرات وتقليل الواردات لارتفاع اثمانها •

— هذا بالاضافة الى تنازل الدولة المدينة عن جزء من سيادتها القومية لخبراء صندوق النقد الدولى الذين يتدخلون بصورة مباشرة أو غير مباشرة لوقف تنفيذ مشروع معين لانعدام جدواه الاقتصادية فى نظرهم أو لارتفاع تكاليفه أو التدخل لتصفية مؤسسة معينة لسبب أو لآخر •

ولا يخفى على أحد الآثار الاجتماعية والتضحيات التى تحملتها شعوب الدول التى تبنت هذه البرامج التصحيحية سواء فى ساحل العاج أو فى توجو أو فى مالى أو فى السنغال أو فى كينيا • فعلى سبيل المثال ، اضطرت كينيا تحت طلب خبراء صندوق النقد الدولى الى رفع اسعار

الالبان والذرة والقمح والخبز بنسبة ١٦٪ خلال ثلاثة شهور فقط هي
ابريل ومايو ويونية ١٩٨٩ (٤٦) •

ولكن هل مقابل ذلك ، استطاعت الدول الافريقية التى طبقت البرامج
الاصلاحية للصندوق أن تستعيد صحتها الاقتصادية والمالية ؟

والاجابة على هذا السؤال تأتى بالنفى ، ولتوضيح سبب هذا
النفى نسوق المبررات الآتية :

— اذا كان القطاع العام يعانى من مشاكل ادارية وسياسية انتاجية
وسعريّة تحتاج الى التصحيح ، فان تصفية مشروعات هذا القطاع لم
يشهد حتى الآن خلق قطاع خاص قادر وراغب فى التوجه الى المجالات
الانتاجية وبصفة خاصة فى المجال الصناعى • أن أنشطة المضاربة
ومشروعات الربح السريع مازالت تمثل المجال الخصب للقطاع
الخاص (٤٧) • حقيقة الامر ، أن خلق عقلية رجل الاعمال الصناعى
لا يمكن تكوينها بين ليلة وضحاها كما يرى خبراء صندوق النقد الدولى •

— أن الادخار المحلى المزمع زيادته بفضل الوصفات العلاجية
لصندوق النقد الدولى • لم يشهد تحسنا ملحوظا وظل احتياج الدول
الافريقية جنوب الصحراء للمساعدات الخارجية يتزايد يوما بعد يوم •
فقد ارتفع نصيب هذه الدول من صافى المنصرف من المساعدات الانمائية
الرسمية من جميع المصادر والمنسابة الى جميع الدول النامية من
٢٧٪ فى عام ١٩٨٠ الى ٣٤٪ م عام ١٩٨٦ (٤٨) •

— أن تخفيض قيمة العملة لم يتسبب فى زيادة الصادرات فى البلاد
الافريقية فمن المعروف أن الموارد الاولى الزراعية والمنجمية والتي
لا يتحكم المصدر فى تحديد أسعارها فى الغالب الاعم ، تمثل الجزء الاكبر
من صادرات البلاد الافريقية جنوب الصحراء • بالاضافة الى ذلك ،
فإن مرونة الطلب العالمى السعريّة على هذه السلع تنقسم بالانخفاض

وبالتالى فلا يتوقع زيادة حجم هذه الصادرات زيادة ملحوظة بمجرد انخفاض أسعارها •

— الا أن تخفيض قيمة العملة أدى الى انخفاض الواردات •
ونظرا لأن معظم هذه الواردات تتمثل فى سلع رأسمالية وقطع غيار ووقود ، فان تخفيضها أدى الى ركود النشاط الصناعى وزيادة الطاقة الانتاجية غير المستغلة فى اقتصاديات البلاد الافريقية • وكانت النتيجة أن أدت هذه البرامج التصحيحية الى اغتيال النمو الاقتصادى •
وللتدليل على ذلك ، نبين فى الجدول التالى مدى انخفاض معدلات نمو الناتج المحلى فى عينة من البلدان الافريقية التى قامت بتنفيذ برامج اصلاح قوية فى الفترة بين ١٩٨٠ و ١٩٨٦ •

الجدول رقم (٢٠٣)

معدلات نمو الناتج المحلى الاجمالى فى عينة من البلدان الافريقية

البلد	١٩٦٥ — ١٩٨٠	١٩٨٠ — ١٩٨٦
نيجيريا	٨,٠	٣,٢-
ساحل العاج	٦,٨	٣,٠-
النيجر	٠,٣	٢,٦-
أثيوبيا	٢,٧	٠,٨
توجو	٤,٥	٢,١-
غينيا	٣,٨	٠,٩
كينيا	٦,٤	٣,٤

المصدر : البنك الدولى « تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٨٨ »
ترجمة مركز الاهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٢٥٦ —
٢٥٧ •

— أن الوصفات العلاجية لصندوق النقد الدولى لا تختلف كثيرا من بلد مدين الى آخر بالرغم من الفروق الواضحة بين البلدان النامية سواء أكان على الصعيد الاقتصادى أو على الصعيد الاجتماعى • وعليه

يمكن القول أن هذه الوصفات العلاجية تمثل أداة لتنميط الهياكل الاقتصادية والاجتماعية طبقا لمتطلبات الاقتصاد العالمى الذى تهيمن عليه الدول الصناعية الرأسمالية الكبرى (٤٩) .

٢ - البنك الدولى :

فى سبتمبر ١٩٨٨ ، أعلن البنك الدولى عن تخفيف مدفوعات الفوائد المتعلقة بالقروض السابقة والتي تعاقدت عليها الثلاث عشرة دولة الأكثر فقرا فى افريقيا مع البنك الدولى . ويتم تمويل قيمة هذه العملة البالغة ٦٥٠ مليون دولار أمريكى من أصل ٧٠٠ مليون دولار أمريكى بمتحصلات القروض المسددة الى مؤسسة التنمية الدولية IDA ومن ميزانية المساعدات المقدمة من دولتى النرويج والسويد (٥٠) . كما أن البنك تعهد بتقديم قروض اضافية بمبلغ ٤٠٠ مليون دولار أمريكى كل سنة . وتتولى مؤسسة التنمية الدولية مسئولية تقديم هذه القروض الى الدول الافريقية ذات الدخل المنخفض والمتعثرة فى سداد اعباء ديونها . ويلاحظ أن تقديم هذه القروض يتم من خلال تمويل مشترك تساهم فيه المساعدات الثنائية المقدمة من الدول الصناعية الكبرى بمبلغ ٩٥٠ مليون دولار أمريكى كل سنة (٥١) . وتجدر الإشارة الى أنه بالرغم من أهمية هذه القروض المقدمة من البنك الدولى من حيث اتجاهها لزيادة العرض من السلع والخدمات بالاضافة الى تمتعها بشروط ميسرة فى السداد ، إلا أنها تعد غير كافية اذا قورنت بالاحتياجات المالية للدول الافريقية جنوب الصحراء .

وفى الختام نود أن نشير الى أنه بالرغم من أهمية المبادرات الثنائية والمتعددة الاطراف الموجهة لمساعدة دول افريقيا جنوب الصحراء ، فليس من المؤكد أن تستطيع مصادر المعونة الحالية تقديم العلاج الكاف لمشكلة الديونية الخارجية لهذه الدول والتي بلغت الترامات اعبائها السنوية واحد وعشرون مليار دولار أمريكى . أن الخروج من دوامة تفاقم الدين الخارجى لهذه المنطقة من العالم لا يتم الا من

خلال توسيع الاعفاء من الديون الثنائية وتدبير موارد اضافية في صورة منح لا ترد تمكن دول هذه المنطقة — خاصة الفقيرة منها — من الوفاء بالتزامات خدمة تجاه المنظمات الدولية • ولا يفوتنا أن نركز على الجهد الهام الذى يجب أن تبذله دول افريقيا جنوب الصحراء تجاه زيادة مدخراتها المحلية وتحقيق أمنها الغذائى وتشجيع مشاريع التصنيع الكفئة وتتويج وزيادة الصادرات وبصفة خاصة بالنسبة للدول الافريقية ذات الدخل المتوسط كالكامبيون ونيجيريا والجابون وساحل العاج كينيا وغيرها •

الخاتمة

مما سبق يتضح أن المشكلة الاقتصادية التي تعاني منها دول افريقيا جنوب الصحراء لا يمكن أن تفسر كلية بتدهور المناخ الاقتصادي الدولي من انخفاض أسعار الصادرات وضيق نطاق السوق الخارجى أمام صادرات هذه الدول . فمن الواضح أن العوامل المحلية ذات أثر هام فى هذا الصدد : مثل ضعف أداء القطاع الزراعى ، وبصفة عامة انتاج المواد الغذائية وانخفاض معدلات الأداء فى قطاع الصناعة التحويلية وعجزه عن انتشال الاقتصاد الافريقى من حالة التخلف ونمو سكان افريقيا جنوب الصحراء بمعدلات أعلى من أى منطقة أخرى فى العالم وأعلى - أيضا - من معدلات نمو الناتج المحلى الاجمالى .

وقد نتج عن تفاقم المشكلة الاقتصادية فى افريقيا جنوب الصحراء أن ارتفع دينها الخارجى بمعدلات مرتفعة بحيث أصبحت معظم دولها تواجه مشكلات خطيرة فى الالتزام بسداد أعباء هذه الديون . كما أن المبادرات الدولية الثنائية منها والدولية والتي طرحت لصالح دول هذه المنطقة قد عجزت عن الاتيان بحل ناجح وجزرى لمشكلة تفاقم المديونية الخارجية .

أن هذا البحث الذى يقدم صورة قاتمة الأداء اقتصاديات الدول الافريقية جنوب الصحراء ، يجب الا يفهم ، بأى حال من الاحوال ، على أنه دعوة للاحباط واذااعة روح التشاؤم ، بل أنه تحذير لشحذ الهمم وتصحيح الخطى . فالمستولون الاقتصاديون الافارقة مطالبون باتخاذ اصلاحات اقتصادية جادة وبتصحيح سياساتهم الاقتصادية والنقدية واستراتيجيات تخصيص الاستثمارات من أجل زيادة وحسن استغلال الموارد الاقتصادية ، وذلك لمواجهة الانفجار الاسكانى الذى لابد من

ترشيد زيادته • ولكن يجب أن تتمشى هذه الاصلاحات الاقتصادية مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لكل بلد افريقى على حدة • كما أن هؤلاء المسئولين مطالبون بزيادة التعاون والتكاتف من أجل الضغط لاعادة صياغة التقسيم الدولى الحالى للعمل والتخصص ، وذلك بهدف ايجاد حلول جادة لمشكلة المديونية الخارجية وتحقيق انسياب الصادرات الافريقية نحو اسواق البلاد الصناعية المتقدمة بلا قيود وعراقيل مصطنعة وعلى اساس من الاستعار العادلة • بالاضافة الى ذلك لابد من العمل على زيادة المعاملات التجارية بين دول القارة الافريقية ، وبينها وبين بقية دول العالم الثالث •

الهوامش

- (١) البنك الدولي « تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٨ » ترجمة مركز
الاهرام للترجمة والنشر ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، ١٩٨٨ ص ٢٧٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

(٣) A.I. Mac Bean and D.T. Nguyen «Commodity Policies :
Problems and Prospects» Croom Helm, London, 1987 pp. 132 - 150.

(٤) D. Currie and D. Vines «Maro econmic interactions
between Northand South», Cambridge University Press, New Rochelle,
U.S.A. 1988.

(٥) لبنك الدولي « تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٨ » مرجع سبق
ذكره ص ٢٧٥ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(٧) M.P. T Iaro, «Economics for a developing World» second
Edition, Longman, Essex, U.K. 1985, p. 286.

(٨) Ch. Kerdellant, «Les six plaies du continent» Jeune Afrique
Economie, no. 100 septembre, Octobre 1987, pp. 54 - 57.

(٩) R. Lenair, «le Tiers Monde Peut Se Nourrir : Fayard, Paris, (٩)
1984, pp. 21 - 38.

(١٠) البنك الدولي « تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٨ » مرجع
سبق ذكره ص ٢١٧ .

(١١) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

(١٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

(١٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

(١٤) UNCTAD, «The Least Developed Cauntries, Report 1986»
Geneva, TD/B1120, 1986. p. 24.

A. Chhibber, «Raising agricultural out put : Price and non (١٥)
price Factors, Firance and Development volume 25, no2, June 1978. pp,
44 - 47.

U.J. Lele «Managing agricultural development, volume 26,
no 1, march 1989, pp, 42 - 48.

UNIDO Industry in the 1980 «1985, p. 196. (١٦)

(١٧) وليم ف. ستيل ، تكييف السياسة الصناعية في أفريقيا
جنوب الصحراء مجلة التمويل والتنمية ، المجلد ٢٥ ، العدد ١ ، مارس
١٩٨٨ م ص ٣٦ - ٣٩ .

(١٨) البنك الدولي « تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٨ » مرجع
سبق ذكره (ص) ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(١٩) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(٢١) انطوني موتسيرز « التنمية الزراعية وحتمية النمو الصناعي »
سيرز مجلة منظمة الاغذية والزراعة ، السنة ٢١ ، العدد ٢ ، مارس -
أبريل ١٩٨٨ م ص ٤٢ - ٤٨ .

UNIDO, Industry and general debt in Africa : apreliminary (٢٢)
analysis Industry and Development no 17, pp. 20 - 21.

Report of Economic committee of Africa (E/ECA/LDCs. (٢٣)
5/4) March 1985, p.5.

World Bank, «Tanzania Country Economic Memorandum» (٢٤)
Washington, August 1984.

UNCTAD, The Least Developed Countries, Report, 1986 (٢٥)
(TD / B / 1120). 1987, p. 228.

(٢٦) البنك الدولي « تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٨ » مرجع
سبق ذكره ص ٣٠٨ .

M.P. Todaro «Economics for adeveloping World Op. cit. (٢٧)
p. 225.

(٢٨) البنك الدولي « تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٨ » مرجع
سبق ذكره ص ٣٠٦ .

(٢٩) المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٣٠) المرجع السابق ص ١٦٨ .

(٣١) المرجع السابق ص ٢٦٧ .

(٣٢) المرجع السابق ص ٢٦٧ .

(٣٣) المرجع السابق ص ٢٦٣ .

United Nations Africa Recovery, Vol, 2, No. 3, Ougust (٣٤)
1988, p. 9.

(٣٥) البنك الدولي « تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٨ » مرجع
سبق ذكره ص ٢٨٨ .

United Nations Africa Recovery, Vol 2, No. 3, August (٣٦)
1988, P. 9.

J. Greene, «The debt problem of Sub-Saharan Africa» Fina- (٣٧)
nce and Development, Vol. 26, No. 2 June 1989, pp. 9 - 12.

United Nations Africa Recovery, Vol. 2. No. 3, August 1988, (٣٨)
p.

United Nations Africa Recovery Programme No. June 1989, (٣٩)
pp. 4 - 6.

C. Humphreys and J. Underwood., «The external debt (٤٠)
difficulties of low - income Africa», world Bank, mimeo April, 1989.

United Nations Africa Recovery, Programme, No. 1 June, (٤١)
1989, p. 5.

J. Greene, «The debt probem of Sub-Saharan Africa» Fina- (٤٢)
nce and Development, op. cit. p. 10.

T. Killick «and M. Martin, » Africa Debt : The Search for (٤٣)
solutions,» UN Africa Recovery Programme, No. 1, June 1989, p. 4.

Ibid, p. 4. (٤٤)

H. G. Chua-Eoan, «The debt police», International Pime, (٤٥)
No. 31, July 31, 1989, pp. 30 - 35.

Ibid, p. 33. (٤٦)

S. Bessis, Les annees FMI», Jeune Afrique Economie No.(٤٧)
100, Septembre-Octobre 1988, pp. 58 - 62.

(٤٨) البنك الدولي « تقرير عن التنمية في العالم » مرجع سبق ذكره
ص ٢٩٧ .

M.F.L «Hertteau Le Fonds monetaire international et les (٤٩)
pays du Tiers Monde, P.U.F., paris. 1986.

T.Killick and M.Martin, : Africa Debt : The search for (٥٠)
Solutions, op. cit. p. 4.

Ibid., p. 4.

تم الطبع بمطبعة جامعة القاهرة
والكتاب الجامعى
المدير العام
البرفس حمودة حسين
١٩٩٥/٢/٨

الخانات البيئية لأنواع الحلم الأوريباتيدية المفككة للنثار

اعداد

أ.د/جورج ب. كانسيل دافونسيكا

جامعة باريس (٧)

يختص هذا البحث بدراسة تواجد ٣ أنواع من الحلم الأوريباتيدية المفككة في طبقات النثار والدبال والتربة المعدنية السفلية . وتتواجد هذه الأنواع مع بعضها في كل من هذه الطبقات الثلاث بنسب تختلف من شهر الى آخر على مدار العام . ولذا كان من الضروري دراسة امكانية التعرف على خصائص خاناتها البيئية وكيفية اختلافها انطلاقا من المعطيات الاحصائية التي توفرت من جمع العينات . وقد أظهرت الدراسة اختلافات واضحة بين الأنواع الثلاثة في أنماط التوزيع المكاني والزمني وفي خصوبة الاناث وفي المواسم المناسبة للاغتذاء كذلك في أنواع الفطر المفضلة كغذاء .

لذلك يعتبر نوع البيئة الموضعية على المستوى المجهرى ، بما ينطوى عليه من اختلافات في الفجوات المتاحة للحركة وفي توزيع الغذاء العضوى، عاملا هاما في الفصل بين الخانات البيئية لأنواع الحلم الأوريباتيدية المفككة للنثار في طتقات التربة المختلفة . وحيث أن هذه البيئات الموضعية المجهرية موزعة في طبقات التربة بشكل متداخل ، فمن الممكن لهذه الأنواع الثلاثة من الحلم أن تتواجد معا بسهولة في المساحات التي تقرب من المتر المربع ، ولكنها قلما تتواجد معا في مساحات العينات المأخوذة بمساحة ٢٠ سم ٢ .

ويبين هذا البحث أهمية استخدام الأساليب الاحصائية المتقدمة لمعالجة المعطيات ، مثل أسلوب التحليل التوافقي ، في استشفاف العلاقات بين الأنواع الحيوانية وبيئاتها على المستوى المجهرى ، انطلاقا من جداول بيانات غير واضحة من حيث العلاقات البيئية المتداخلة ، والتي لا يمكن استقراؤها من مجرد قراءة أرقام هذه الجداول .

17. KIFFER E, CANCELA DA FONSECA JP (1971) : Sur les rapports entre Microarthropodes et Micromycètes d'un sol forestier. *Zbl. Bakteriologie* 126 : 510-520.
18. LEBRUN Ph. (1566) : Contribution à l'étude écologique des Oribates de la litière dans une forêt de Moyenne-Belgique. *Mem. Inst. roy. Sc. nat. Belg.* 153 : 1-96.
19. LEBRUN Ph. (1971) : Ecologie et biocénologie de quelques peuplements d'arthropodes édaphiques. *Mém. Inst. roy. Sc. nat. Belg.* 165 : 1-203,
20. LEVINS R. (1968) : *Evolution in changing environments*. Princeton University Press, Princeton, NJ.
21. LUXTON M. (1972) : Studies on the oribatid mites of a Danish beech wood. soil I. Nutritional biology. *Pedobiologia* 12 : 434-463.
22. LUXTON M. (1981 a) : Studies on the oribatid mites of a Danish beech wood soil, IV. Developmental biology. *Pedobiologia* 21 : 318-340.
23. LUXTON M. (1981 b) : Studies on the oribatid mites of a Danish beech wood soil. V. Vertical distribution. *Pedobiologia* 21 : 365-386.
24. MITCHEL MJ, PARKINSON D. (1976) : Fungal feeding of Oribatid mites (Acari : Cryptostigmata) in an aspen woodland soil. *Ecology* 57 : 302-312.
25. PIANKA ER (1973) : The structure of lizard communities. *Ann. Rev. Ecol. Syst.* 4 : 53-74.
26. PIELOU EC (1972) : Niche width and niche overlap : A method for measuring them. *Ecology* 53 : 687-692.
27. SCHUSTER R. (1956) : Der Anteil der Oribatiden an der Zersetzungs Vorgängen im Boden. *Z. Morph. Okol. Tiere* 45 : 1-33.
28. SIEGEL S. (1956) : *Non-parametric statistics for the behavioral sciences*. McGraw-Hill, New York.
29. USHER MB (1975) : Seasonal and vertical distribution of a population of soil arthropods : Cryptostigmata. *Pedobiologia* 15 : 364-374.
30. VAN DER DRIFT J. (1951) : Analysis of the animal community in a beech forest floor. *Tijdschr. Ent.* 94 : 1-168.
31. WEBB NR, ELMES GW (1979) : Variations between populations of *Steganacarus magnus* (Acari; Cryptostigmata) in Great Britain. *Pedobiologia* 19 : 390-401.
32. WILLMANN C. (1931) : Moosmilben oder Oribatiden (Oribatei). *Die Tierwelt Deutschlands* 22 : 79-200.

REFERENCES

1. ANDERSON JM (1971) : Observations on the vertical distribution of Oribatei (Acarina) in two woodland soils. In : d'Aguitar J, Athias-Henriot C, Bessard A, Bouché MB and Pussard M (eds) **Organismes du sol et production primaire**, I.N.R.A., Paris, pp. 1-15.
2. ANDERSON JM (1975) : Succession, diversity and trophic relationships of some soil animals in decomposing leaf litter. **J. Anim. Ecol.** 44 : 475-495.
3. ANDERSON JM (1977) : The organization of soil animal communities. In : Lohm U and Persson T (eds) **Soil organisms as components of ecosystems**, **Ecol. Bull.**, (Stockholm) 25 : 15-23.
4. ATHIAS-HENRIOT C, CANCELA DA FONSECA JP (1976) : Microarthropodes édaphiques de la Tillaie (Forêt de Fontainebleau). Composition et distributoin spatio-temporelle d'un peuplement en placele a litière de hêtre pure (Acariens et Collemboles). **Rev. Ecol. Biol. Sol.** 13 : 315-329.
5. BARBAULT R. (1981) : **Ecologie des populations et des peuplements**. Masson, Paris.
6. BERTHET P. (1964) : Field study of the mobility of Oribatei (Acari), using radioactive tagging. **J. Anim. Ecol.** 33 : 443-449.
7. BOUCHON J, FAILLE A, LEMEE G., ROBIN AM, SCHMITT A (1973) : **Cartes et notices des sols, du peuplement forestier et des groupements végétaux de la reserve biologique de la Tillaie en forêt de Fontainebleau**. Laboratoire d'Ecologie Végétale, Université Paris XI, Orsay.
8. CANCELA DA FONSECA JP. (1966) : L'outil statistique en biologie du sol. IH. Indices d'intérêt écologique. **Rev. Ecol. Biol. Sol** 3 : 381-407.
9. CANCELA DA FONSECA JP (1980 a) : Le concept de diversité, le chevauchement des niches écologiques et l'organisation des systèmes écologiques. **Acta OEcológica, OEcol. Gener.** 1 : 293-305.
10. CANCELA DA FONSECA JP (1980 b) : Quelques approches analytiques en dynamique de populations édaphiques (Acariens Oribates). **Rev. Ecol. Biol. Sol.** 17 : 445-477.
11. CANCELA DA FONSECA JP. (1984) : L'outil statistique en biologie du sol. VIII. Diversité et complexité dans les écosytèmes : réflexiens sur leur valeur adaptative. **Rev. Ecol. Biol. Sol.** 21 : 299-27,
12. CANCELA DA FONSECA JP (1987) : About the ecological niches of three beech litter panphytophage Oribatid mites. In : Striganova BR (ed) **Soil fauna and soil fertility**, Nauka, Moskow, pp. 289-295.
13. CANCELA DA FONSECA JP, KIFFER E, POINSOT-BALAGUER N. (1979) : Sur les rapports entre Microarthropodes et Micromycètes d'un sol forestier. II. Quelques obesrvations sur les Acariens Gamasides (non Uropodes) et les Collemboles. **Rev. Ecol. Biol. Sol.** 16 : 181-194.
14. COLWELL RK, FUTUYMA DJ (1971) : On the measurement of niche breadth and overlap. **Ecology** 52 : 567-576.
15. DAGNELIE P (1960) : Contribution a l'étude des communautés végétales par l'analyse factorielle. **Bull. Serv. Carte phytogéogr. (B)** 5 : 7-71, 93-195.
16. FISHER RA (1958) : **Statistical methods for research workers**. 13th ed, rev. Oliver & Boyd, Edinburgh.

4. Species diversity (i species) :

$$H(S) = - \sum_i P_i \ln P_i$$

5. Cenotic diversity (j cenotic levels) :

$$H(T) = - \sum_j Q_j \ln Q_j$$

$H(T)_i$ is the cenotic diversity of each species i , separately

6. Average species diversity by level :

$$H_T(S) = - \sum_j Q_j \sum_i q_{ij} \ln q_{ij}$$

7. Average cenotic diversity by species :

$$H_S(T) = - \sum_i P_i \sum_j p_{ij} \ln p_{ij}$$

8. Where :

$P_i = N_i/N$ is the marginal probability of occurrence of each species i

$Q_j = N_{.j}/N$ is the marginal probability of the species occurrence in each level j

$p_{ij} = N_{ij}/N_i$ is the conditional probability of occurrence of the same species i in all levels j

$q_{ij} = N_{ij}/N_{.j}$ is the conditional probability of occurrence of all species i in the same level j

N_i is the total number of individuals of the species i

$N_{.j}$ is the total number of individuals of all species i in the same level j

N_{ij} is the number of individuals of the species i present in the level j

N is the total number of individuals in the ecological system, all species together

h is the number of levels (=resources)

Annexe 4. Pianka's niche overlap index (Pianka 1973)

$$O_{ij} = \frac{\sum_{h=1}^k p_{ih} \cdot p_{jh}}{\sqrt{\sum_{h=1}^k p_{ih}^2 \cdot \sum_{h=1}^k p_{jh}^2}}$$

Where :

$$p_{ih} = \left(\frac{N_i}{N_i + N_j} \right)_h \quad p_{jh} = \left(\frac{N_j}{N_i + N_j} \right)_h$$

are the probabilities of occurrence of the species i and j on the resource h

N_i is the number of individuals of the species i

N_j is the number of individuals of the species j

$h = 1, 2, \dots, k$ are the resources

Annexe 5. Measure of the niche overlap and the niche width by the Shannon - information diversity index (Levins 1968, Colwell and Futuyma 1971, Pielou 1972, Barbault 1981, Cancela da Fonseca 1984).

1. Overall niche overlap :

$$L = \frac{H_T(S)}{H(S)} \quad 0 \leq L \leq 1$$

2. Overall niche width :

$$W = \frac{H_S(T)}{H(T)} \quad 0 \leq W \leq 1$$

3. Species niche width :

$$A'_s = \frac{e^{H(T)} i}{h} \quad (\text{Levins 1968, Barbault 1981})$$

Annexe 2. Vertical distribution of the soil species : mean depth parameter (Usher 1975).

$$\text{Mean depth} = M = \frac{\sum_{i=1}^k d_i \cdot n_i}{N}$$

Where :

k is the number of layers

d_i is the (relative) depth of the i th layer (the depth of the centre of the i th layer)

n_i is the number of individuals of the species in the i th layer

N is the total number of individuals of the species in the k layers of the sample

Annexe 3. Soil species vertical distribution index (Lebrun 1971)

$$DV\% = \frac{D.CI}{D.CI + D.CS} \times 100$$

Where :

D. CI is the species density in the lower layer

D. CS is the species density in the upper layer

$0 \leq DV \leq 20\%$ Litter species

$20 < DV \leq 40\%$ Sublitter species

$40 < DV \leq 60\%$ Inrifferent species

$60 < DV \leq 80\%$ Humus species

$80 < DV \leq 100\%$ Subhumus species

sterile mycelium and *C. albidus*. It follows that the localization of *A. coleoptrata* in the L layer and that of *N. silvestris* in the fermentation zone (F layer) can be predicted by these feeding preferences (Luxton 1981 b).

The type of microhabitats, with their spatial and food characteristics, is certainly one of the most important factors in the separation of the ecological niches of soil oribated mites. These microhabitats are normally distributed in a mosaic (Anderson 1977), so that *A. coleoptrata*, *N. silvestris* and *N. elegantula* can easily coexist.

Annexe 1. Measure of the degree of species asrociation by the contingency table method (Fisher 1958, Dagnelle 1960, Cancela da Fonseca 1966)

		SPECIES A		
		PRESENCE	ABSENCE	TOTAL
S P E C I E S B	PRE			
	SEN	c11	c12	t10
	CE			
	CE			
	AB			
S	SEN	c21	c22	t20
	TO			
B	TAL	t01	t02	n

Where n is the number total of samples (observed) :

$$n = c11 + c12 + c21 + c22$$

The statistics is

$$X^2 = \frac{n (1c11. c22 - c12. c211 - n/2)^2}{t10. t01. t20. t02}$$

To measure the association we must compare the c11 observed with a calculated C11 :

$$C11 = t10. t01/n$$

Then, for

c11 > C11 the association is positive

c11 = C11 the arsociation is null

c11 < C11 the association is negative

In terms of vertical distribution, *N. elegantula* and *N. silvestris* are closer to each other than to *A. coleoptrata*, their niche overlap index being the highest observed and their type of association positive though not significant. In terms of mean number of eggs per gravid female, *N. silvestris* and *A. coleoptrata* are closer to each other (2.10 versus 2.50) than to *N. elegantula* (1.26). However, the fecundity tendency and the potential number of eggs to be laid are at a maximum for *N. elegantula* and for *N. silvestris* at the same season (spring and early summer) while for *A. coleoptrata* they are later in the year, and are more evenly spread during the winter and the spring. The three species are clearly differentiated by their patterns of fecundity.

Trophic differences also characterise the ecological niches of these species, although the census data do not clearly reflect these differences. However, counts of food boli present in the gut at different times of the year illustrate differences that suggest the season when suitable food is available. The best feeding months seem to be those of winter and spring for *N. silvestris*, and those of spring and summer for *N. elegantula* and *A. coleoptrata* females. For *A. coleoptrata* males no dominant season was detected.

Anderson (1975) found some evidence that the trophic separation of oribatid mites was related to their mean body size, as is the case for the panphytophage species *N. elegantula* and *N. silvestris*. Nevertheless, other trophic differences between these two species that conform with differences in their vertical distribution were found experimentally in the laboratory (Kiffer and Cancela da Fonseca 1971).

In the presence of pure cellulose attacked by cellulolytic fungi, and of the soil underneath, *N. elegantula* was 2.5 times more numerous on the cellulose than in the soil and 1.3 times more numerous on this substrate (cellulose) than *N. silvestris*. On the other hand, in the soil, *N. silvestris* was about 4 times more numerous than on the cellulose and about 7 times more numerous than *N. elegantula*. Although the preferred cellulolytic fungus for both species seemed to be the fungus *Oidiodendron chinulatum* Barron, *N. elegantula* was secondarily more attracted by *Chrysosporium pannorum* (Link) Hughes, and *N. silvestris* by *Cordana pauciseptata* Preuss (Cancela da Fonseca et al. 1979).

According to Luxton (1972), *N. silvestris* feeds preferentially on beech leaves, black sterile mycelium and *Cryptococcus albidus* (Saito) Skinner and is not attracted by *Phoma* sp. and *Aureobasidium pullulans* (de Bary) Arnaud, common on the surface litter (L layer). On the other hand, *A. coleoptrata* strongly prefers the last two fungi, together with the black

Table 9. Temporal variation of the mean number of food boli present per adult of *N. elegantula*, *N. silvestris* and *A. coleoptrata*

Months	<i>N. elegantula</i>	<i>N. silvestris</i>	<i>A. coleoptrata</i>	
	Females	Females	Females	Males
1971 May	2.00	2.20	2.25	1.00
June	1.67	1.79	2.25	1.67
July	1.40	2.00	1.40	1.50
August	1.40	--	2.00	1.20
September	0.25	1.92	0.40	3.00
October	1.00	0.57	--	0
November	1.67	0.33	1.14	1.60
December	--	1.50	0.88	1.38
1972 January	1.00	2.25	0.50	1.00
February	--	2.50	0.71	1.56
March	2.00	3.00	1.00	1.33
April	1.75	2.67	0.71	1.00
May	0.67	2.25	1.33	1.43

0 : Adults present without food boli -- : No adults present

DISCUSSION AND CONCLUSIONS

Although *N. elegantula*, *N. silvestris* and *A. coleoptrata* occur together and are most abundant in the F layer, some significant differences are evident in their vertical distribution. *A. coleoptrata* is more attracted by the litter of the year (litter-dwelling species) than the other two species, while *N. elegantula* is attracted primarily by the fermentation layer and secondly by the humus-mineral layer (sub-litter-dwelling species), and *N. silvestris* is present in almost the same proportions in the F and the A11-H layers (indifferent-dwelling species). This agrees with the observations made by other authors (Van Der Drift 1951, Anderson 1971, Luxton 1981 b, and some others).

Tough *N. elegantula* is smaller ($590 \times 255 \mu$) than *N. silvestris* ($760 \times 405 \mu$) their vertical colonization of the substrate seems not to be directly correlated with the lower porosity of the humus-mineral layer. (It is interesting to note that the length of *A. coleoptrata* - 600μ - is close to that of *N. elegantula* and that its width - 395μ - is closer to that of *N. silvestris*).

Table 7. Temporal variation of the potential number of eggs laid per square meter by *N. elegantula*, *N. silvestris* and *A. coleoptrata*

Months	<i>N. elegantula</i>		<i>N. silvestris</i>		<i>A. coleoptrata</i>	
	Mean number of eggs/ ♀	number of eggs laid	Mean number of eggs/ ♀	number of eggs laid	Mean Number of ♀	Number of eggs/ laid
1971 May	1.20	378	2.20	693	2.25	563
June	0.67	127	2.47	2939	2.50	625
July	1.00	315	2.00	130	1.80	567
August	0.80	252	—	—	0.25	63
September	0.50	125	0.25	188	1.00	315
October	0	0	0.29	128		
November	0.67	127	0	0	1.86	818
December	—	—	0	0	2.00	1000
1972 January	0	0	0	0	3.00	375
February	—	—	2.00	250	2.07	1811
March	1.00	65	1.00	65	3.00	375
April	0.25	63	1.67	317	2.57	1131
May	0.33	63	1.75	438	3.83	1436

0 : females present without eggs

— : no females present

Table 8. Sex ratio (females/total adults) of *A. coleoptrata*

Months	Sex ratio
1971 May	0.80
June	0.57
July	0.56
August	0.44
September	0.83
October	0
November	0.41
December	0.50
1972 January	0.50
February	0.61
March	0.40
April	0.47
May	0.46

The mean number of eggs per female (with or without eggs) varies throughout the year and permits a rough estimate of the number of eggs laid per month and per square meter (Table 7). The mean number of eggs per female was highest for *N. elegantula* and *N. silvestris* in spring and early summer and for *A. coleoptrata* in winter and spring. This agrees with observations made in a Danish beech woodland (Luxton 1981 a). The density of females is also at a maximum at the same periods, so that the potential number of eggs laid attains the maximum values, i.e., about 400 in May 1971 for *N. elegantula* (annual mean, 121/m²), about 3000 in June 1971 for *N. silvestris* (annual mean, 393/m²), and about 2000 in February 1972 for *A. coleoptrata* (annual mean 637/m²).

We must point out that *N. elegantula* and *N. silvestris* are «inferior» oribatids, not very far from one another from systematics point of view, and are parthenogenetic, with only females present. But *A. coleoptrata* is a «superior» oribatid and is bisexual, an important biological difference from the other two species. Thus, although the number of females of *A. coleoptrata* varies from month to month as for the other two species, the number of males also varies, which implies a wide range of mating probabilities. The sex ratio went from zero (only males) in October 1971 to 0.83 (females more abundant) in September 1971; at other times, the sex ratio was about 0.40-0.50 (Table 8).

ADULT FEEDING POTENTIAL NICHE COMPONENT

The number of food boli present in the gut gives an indication of the feeding activity of the species (Mitchell and Parkinson 1976).

For *N. silvestris* the highest mean numbers of food boli were observed during winter and spring (January-May 1972 : 2.25-3.00 boli per female) and the lowest values in autumn (October-November 1971 : 0.57 and 0.33 boli per female). For *N. elegantula* and *A. coleoptrata* females the lowest values were observed first in September 1971 (0.25 and 0.40 respectively) and afterwards in January 1972 (1.00 and 0.50) with a peak (1.67 and 1.14) in November 1971 when the lowest value (0.33) for *N. silvestris* was observed. The striking difference between *N. elegantula* and *A. coleoptrata* was that the mean number of food boli was greater in *A. coleoptrata* during the spring and the summer (May to September 1971) and in *N. elegantula* from autumn to early spring (October 1971 to April 1972) (Table 9).

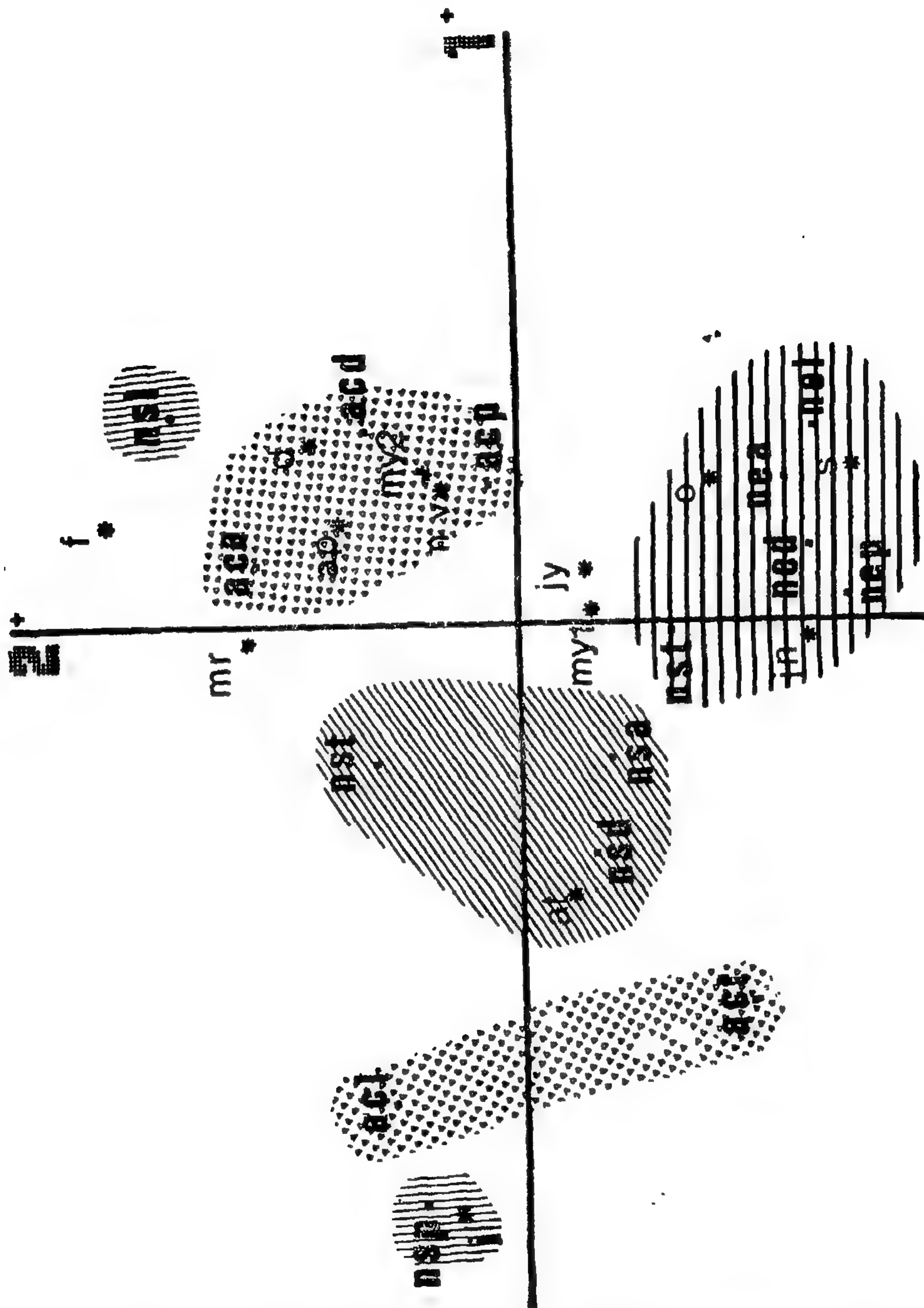


Figure 2. Temporal component of the spatial (ecological) niches of the species *N. elegantula* (NE), *N. silvestris* (NS) and *A. coleoprata* (AC) put in evidence by the correspondence analysis (From Cancela da Fonseca 1980 b). - .. A : adults; .. T : tritonymphs; .. D : deutonymphs; .. P : protonymphs; .. L : larvae.

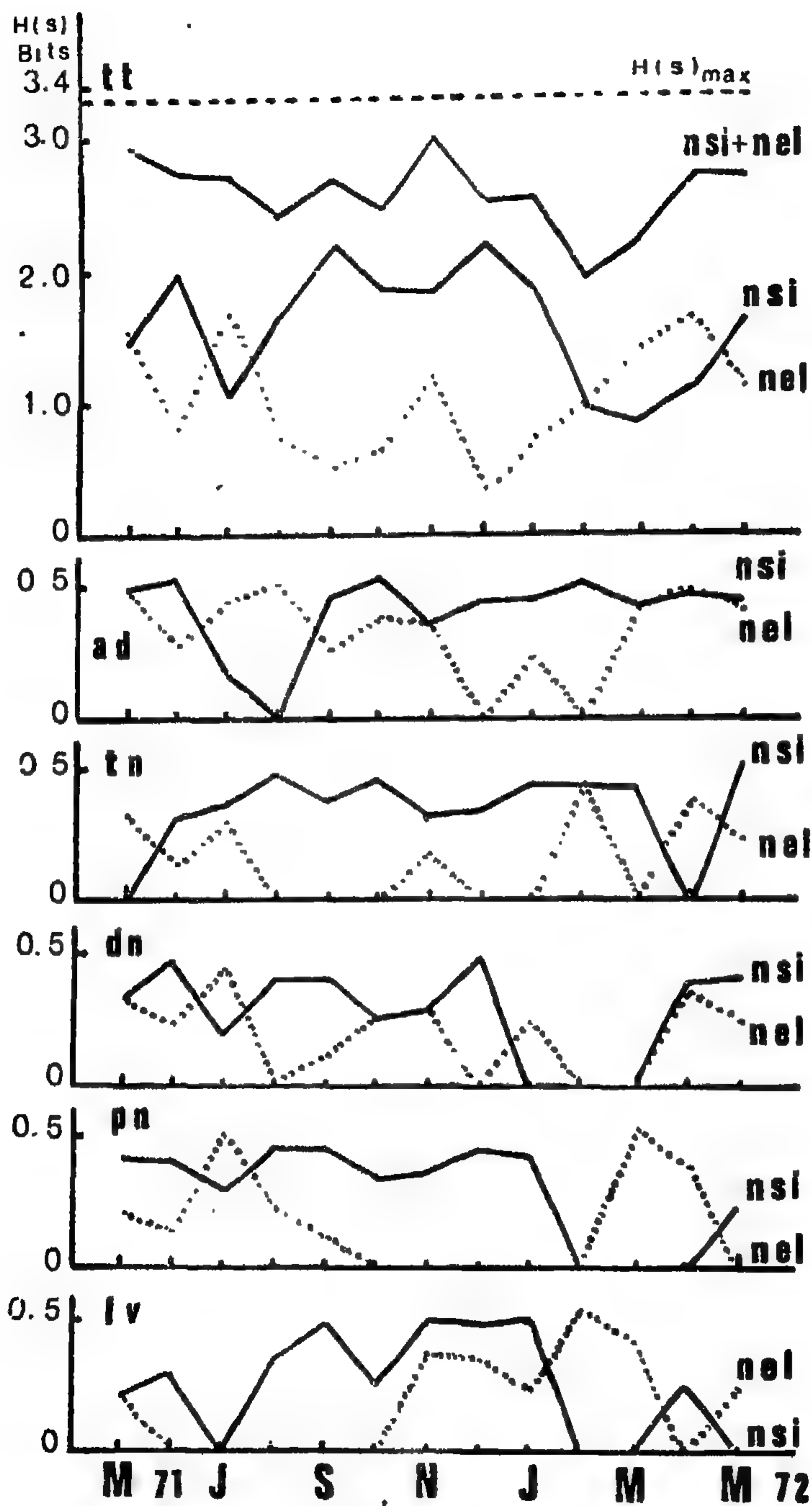


Figure 1. Temporal variation of the intraspecific diversity of the community *N. elegantula-N. silvestris* (NEL-NSI) (From Canceled da Fonseca 1980 a). - TT : total of the instars; AD : adults; TN : tritonymphs; DN : deutonymphs; PN : protonymphs; LV : larvae.

Table 6. Spatial niche overlap of *N. elegantula*, *N. silvestris* and *A. coleoptrata* : annual mean (four layers), annual (13 months) and global (annual totals, four layers) (Pianka's index O_{ij})

Pairs of species	Annual mean	Annual	Global
<i>N. elegantula</i> — <i>N. silvestris</i>	0.583	0.641	0.759
<i>N. elegantula</i> — <i>A. coleoptrata</i>	0.489	0.826	0.740
<i>N. silvestris</i> — <i>A. coleoptrata</i>	0.428	0.662	0.436

Another interesting way to compare the two closest species, *N. elegantula* (NEL) and *N. silvestris* (NSI), and to reduce their different annual behaviour to a common basis, is by means of the diversity index, taking into account that the community formed by the two species is constituted by ten instars, five for each species : larva, protonymph, deutonymph, tritonymph and adult. In this way, and with the Shannon-information diversity index, $H(S)$ distinct differences can be seen (Figure 1), even if for some two months the overall diversity index is similar : June and July 1971, $H(S) = 2.76$ and $H(S) = 2.74$. Nevertheless, the individual values for each species separates them : June - $H(S)$ NEL = 0.79 and $H(S)$ NEL = 1.97; and $H(S)$ NSI = 1.71; and July - $H(S)$ NES = 1.71 and $H(S)$ NSI = 1.03 (Cancela da Fonseca 1980 a).

The temporal component of the ecological niches of the three species was made evident by a multivariate analysis method : correspondence analysis (Figure 2; Cancela da Fonseca 1980 b). Thus, in early autumn the juveniles of *N. elegantula* were absent, from late autumn to late spring an absolute dominance of the juveniles of *A. coleoptrata* was observed, and in summer some of the stages of *N. silvestris* were present in significant numbers (deutonymphs and tritonymphs) or absent (larvae and adults).

FEMALE POTENTIAL FECUNDITY NICHE COMPONENT

The maximum number of eggs a gravid female can carry depends on the size of the female (Webb and Elmes 1979). Thus, the maximum observed inside *N. elegantula* was three, compared with four inside *N. silvestris* and *A. coleoptrata*. As not all the females had eggs, the average number of eggs per female is lower than the mean number of eggs per gravid female : *N. elegantula*, 0.7 versus 1.3; *N. silvestris* versus 2.1; and, *A. coleoptrata*, 2.1 versus 2.5.

Table 4. Annual mean of the spatial niche overlap (four layers) of *N. elegantula*, *N. silvestris* and *A. coleoptrata*, two by two (Pianka's index, Oij)

Pairs of species	Annual mean \pm Standard deviation
<i>N. elegantula</i> — <i>N. silvestris</i>	0.583 \pm 0.224
<i>N. elegantula</i> — <i>A. coleoptrata</i>	0.489 \pm 0.177
<i>N. silvestris</i> — <i>A. coleoptrata</i>	0.428 \pm 0.212

Table 5. Temporal variation of the spatial niche overlap (four layers) of *N. elegantula*, *N. silvestris* and *A. coleoptrata*, two by two (Pianka's index Oij)

Months	Pairs of species		
	<i>N. elegantula</i> <i>N. silvestris</i>	<i>N. elegantula</i> <i>A. coleoptrata</i>	<i>N. silvestris</i> <i>A. coleoptrata</i>
1971 May	0.576	0.588	0.215
June	0.139	0.251	0.149
July	0.883	0.377	0.304
August	0.460	0.467	0.572
September	0.503	0.633	0.938
October	0.599	0.803	0.547
November	0.685	0.554	0.220
December	0.430	0.307	0.474
1972 January	0.762	0.545	0.289
Februrary	0.619	0.363	0.459
March	0.958	0.448	0.473
April	0.667	0.266	0.597
May	0.299	0.751	0.331
Mean	0.583	0.489	0.428

Table 3. Temporal variation of the mean depth of *N. elegantula*, *N. silvestris* and *A. coleoptrata* (May 1971 to May 1972)

Months	<i>N. elegantula</i>	<i>N. silvestris</i>	<i>A. coleoptrata</i>
1971 May	2.17	2.83	1.67
June	2.50	2.52	1.56
July	2.00	2.00	1.50
August	2.00	2.31	1.52
September	2.33	2.51	2.43
October	2.33	2.57	2.13
November	2.56	2.72	1.67
December	2.00	2.22	1.75
1971 January	2.67	2.95	2.95
February	2.67	2.00	1.94
March	2.00	2.00	2.16
April	2.10	1.83	1.67
May	1.83	2.08	1.63

In terms of Pianka's index, the highest average annual niche overlap over the four layers is that of the niches of *N. elegantula* and *N. silvestris* (about 60%) and the lowest that of the niches of *N. silvestris* and *A. coleoptrata* (about 40%) (Table 4). The temporal evolution of these niche overlaps shows a succession of peaks from July to October of the three pairs of species *N. elegantula*-*N. silvestris*, *N. silvestris*-*A. coleoptrata*, *N. elegantula*-*A. coleoptrata*, and a dominance of the niche overlap of *N. elegantula*-*N. silvestris* from January to April (Table 5). But, if by the same index we take into account the global annual niche overlap over the four layers or over the totals (the four layers together) month by month, their values are much higher (Table 6) which indicates that the earlier monthly estimate over the four layers is the better one, i.e., a more realistic way of measuring the interspecific coexistence.

The overall estimate based on the diversity index shows that the niche overlap of the three species together is very high (about 84%). The overall niche width based on the average cenotic diversity index (86%) is similarly high. However, in terms of the measure of each species niche width through the measure of its cenotic diversity index (Levins 1968, Barbault 1981), *N. elegantula* is the species with the lowest niche width (0.531) while *N. silvestris* has the highest (0.619), *A. coleoptrata* being in between (0.594).

Pianka's Oij index (Annex 4; Pianka 1973) or by some other index, such as those which take into account the measure of species diversity, and the total and average diversity by cenotic level (Annex 5; Colwell and Futuyma 1971, Pielou 1972, Cancela da Fonseca 1984).

Table 2. Vertical distribution of *N. elegantula*, *N. silvestris* and *A. coleoptrata*

Vertical layers	<i>N. elegantula</i> (NEL)	<i>N. silvestris</i> (NSI)	<i>A. coleoptrata</i> (ACO)
1 (L)	4.40%	1.88%	30.80%
2 (F)	72.52%	50.23%	62.28%
3 (A11-H)	21.98%	44.13%	6.25%
4 (A11)	1.10%	3.76%	0.67%
DV index	23.08%	47.89%	6.92%
Mean depth (13 months)	2.20	2.50	1.77
Mean depth (9 months)*	2.24	2.51	1.81

* May 1971 to January 1972

Analysis of the differences between mean depths by the Friedman test (Siegel 1956) :

13 Months

NEL versus NSI $X^2 = 3.77$ Not significant

NEL versus ACO $X^2 = 6.23$ Significant ($P < 0.05$)

NSI versus ACO $X^2 = 9.31$ Highly significant ($P < 0.01$)

9 Months

NEL versus NSI $X^2 = 7.11$ Highly significant ($P < 0.01$)

different patterns of vertical distribution and feeding preferences. In the humus-mineral layer A11-H, for the three associations, the type of association is not significant : almost null for *N. elegantula*-*N. silvestris* and negative for the two other associations.

Table 1. Significance of the sample-units with two species association :

Species association	Layers		F 88 (sample-units)		
	C ₁₁	C ₁₁	Association	X ²	Significance
<i>N. elegantula</i> <i>N. silvestris</i>	17	13.4	C ₁₁ > C ₁₁ Positive	1.87	N.S.
<i>N. elegantula</i> <i>A. coleoptrata</i>	17	22.6	C ₁₁ < C ₁₁ Negative	6.01	*
<i>N. silvestris</i> <i>A. coleoptrata</i>	19	26.1	C ₁₁ < C ₁₁ Negative	9.66	* *

Both species present : C₁₁ - observed
C₁₁ - calculated

X² (P=0.05)=3.84 X² (P=0.01)=6.34 X² (P=0.001)=10.83

The vertical distribution pattern of the three species differs (Table 2) when synthesized by Usher's mean depth (Annex 2; Usher 1975) and by Lebrun's vertical distribution (DV) index (Annex 3; Lebrun 1971). Though *N. elegantula* and *N. silvestris* are both mainly present in the F and the All H layers, *N. elegantula* is more a litter species than *N. silvestris* which seems more indifferent to the depth-organic matter factor. On the contrary, *A. coleoptrata* is typically a litter species, being much more abundant in the L-layer than the other two species. The mean depths of *N. elegantula* and *N. silvestris* (layer 2.20 and 2.50) were significantly different from that of *A. coleoptrata* (layer 1.77) for the 13 months of observation, but for the same period the mean depth for *N. elegantula* was not significant, however, for the period between May 1971 and January 1972 (Table 2), which is indicated by the temporal variation of the mean depth (Table 3).

These different patterns in the vertical distribution of the species can be translated in terms of spatial niche overlap measured by the

subject was also approached in our communication to the IX International Colloquium on Soil Zoology, Moscow 1985 (Cancela da Fonseca 1987).

The plot studied has no herbaceous cover and its soil is a leached soil with a mull-moder type of humus (Bouchon et al. 1973). Four layers were sampled from May 1971 to May 1972; litter of the year (L), litter-fermentation layer (F), humus-mineral layer, A 11-H 0-3cm, and mineral layer, A 11 : 3-6 cm (Athias-Henriot and Cancela da Fonseca 1976).

On this soil the annual mean density of oribatid mites is not very high, only about 16450/m² (Athias-Henriot and Cancela da Fonseca 1976), of which about one fourth (3750/m²) corresponds to the annual mean density of the three species : *A. coleoptrata*, 2250/m²; *N. silvestris*, 1050/m²; and *N. elegantula*, 450/m².

SPATIAL AND TEMPORAL NICHE COMPONENTS

Although *N. elegantula*, *N. silvestris* and *A. coleoptrata* coexist on a square meter area, coexistence is not necessarily observed on a smaller area, the sample-unit area (20 cm²), which is more related to the size and the average low rate of daily movement of this category of oribatid mites (Berthet 1964, Lebrun 1965). Thus, on only 14-19% of the sample-units with at least one of these species present (183 out of 416, i.e. 44%) two species were present simultaneously, and on only about 8%, three. The concurrence of two or three species was more frequent in the F and A11-H layers where the density of all the species but *A. coleoptrata* in A11-H is higher : for the doubles about 10% of the sample-units in F and 2-6% in A11-H and for the triples about 6% in F and 2% in A11-H. No species coexistence was observed in the mineral layer.

Analysis of the coexistence of the species by the two by two contingency table method (Annex 1; Fisher 1958, Dagnelie 1960, Cancela da Fonseca 1966), can show whether this association is statistically significant or not and if it is positive or negative : positive if the species have some niche affinities, negative if not (Table 1). In the litter fermentation layer (F), the association *N. elegantula*-*N. silvestris* is positive but not significant. It agrees with the highest spatial niche overlap estimated (Pianka's index), the more similar vertical distribution, and the identical feeding preferences. However, the associations *N. elegantula*-*A. coleoptrata* and *N. silvestris*-*A. coleoptrata* in the same layer (F) are significant but negative, the highest value being for *N. silvestris*-*A. coleoptrata*. Again, it agrees with the lowest Pianka's niche overlap index, and the

ECOLOGICAL NICHES OF DECOMPOSER ORIBATID MITES

JORGE P. CANCELA DA FONSECA

«Analyse des Systèmes Ecologiques, Ecologie du Sol», Centre National de la Recherche Scientifique and University Paris 7, Laboratoire de Biologie végétale et d'Ecologie forestière, Route de la Tour Denecourt, F-77300 Fontainebleau, France.

SUMMARY

In the beech litter of the biological reserve of La Tillaie, Fontainebleau Forest, *Achipteria coleoptrata* (Linné), *Nothrus silvestris* Nicolet and *Nanhermannia elegantula* (Berlese sensu Willmann 1931) are among the most abundant panphytophage oribatid mites present simultaneously. As their populations overlap and as they were present in greater numbers in the same F-layer, it seemed important to look at the possibility of identifying some of their ecological niche characteristics from periodical census data. This study shows well marked differences between these species in the annual pattern of either their spatio-temporal distribution or their female potential fecundity and adult feeding potential.

KEY WORDS : Oribatid mites - ecological niches - beech litter.

INTRODUCTION

Achipteria coleoptrata (Linné), *Nothrus silvestris* Nicolet and *Nanhermannia elegantula* (Berlese sensu Willmann 1931) are three panphytophage oribatid mites amongst the most abundant species occurring together in beech (*Fagus silvatica* Linné) litter of the biological reserve of La Tillaie, Fontainebleau Forest. Being panphytophages, these species play an important role in the decomposition of the beech litter, feeding on the leaf material as well as on bacteria and fungi (Schuster 1956, Luxton 1972). Thus, as they were present in greater numbers in the same F-layer, it seemed important to examine the possibility of identifying some of their ecological niche characteristics from periodical census data. This

* Seminar made at the Institute of African Research & Studies, Cairo University, the 4 November 1985.

CONTENTS

	Page
1. JORGE P. CANCELA DA FONSECA : Ecological Niches of Decomposer Oribatid Mites	1

Editor : Prof. Dr. Soliman ABD EL - SATTAR KHATER

Contributions to this magazine are welcomed and should be sent to :

Prof. Dr. T. EL - HOSSINY ABDOU

P. O. Box 12613 Giza Egypt

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 15

1994

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.
P. O. Box 12613 Giza Egypt

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 15

1994

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.
P. O. Box 12613 Giza Egypt



Bibliotheca Alexandrina



0531631